

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تألیف

مولانا الإمام أحمد رضا خان الحنفي

ترجمة

محمد جلال رضا - غلام محمد بت

دار البيان

للاطبع والنشر والتوزيع

إهـ داعـ 2005

الاستاذ / محمد حسين قادری

انجلترا

# الفلسفة والاسلام

تأليف

مولانا الامام احمد رضا خان الحنفي  
١٩٢١ م / ١٣٤٠ هـ -

فرجهه من الارديه

غلام محمد بٹ

محمد جلال رضا

# دار البيان



للطباعة  
والنشر  
والتسويق

٤ عمارت العجل الأخضر

بجوار نادي السكة الحديد

ووزارة التربية الجديدة

مدينة نصر

تيليفاكس: ٤٨٢٢٤٨٧

٤٨٣٤٣٢٧

رقم الإيداع

٢٠٠٢/١٤٣٧٨

الترقيم الدولي

I.S.B.N.977-335-093-2

**مقام الجدید**

**على خد المنطق الجدید**

**المعروف بـ**

**الفضفة والإسلام**



# الفلسفة والإسلام

تألیف

مولانا الإمام أحمد رضا خان الحنفي

١٩٢١/١٨٥٦ هـ / ١٢٧٢ م

ترجمة من الأردية

محمد جلال رضا • غلام محمد بت

قسم التفسير

قسم التفسير

كليةأصول الدين

كليةأصول الدين

جامعةالأزهر الشريف

جامعةالأزهر الشريف

القاهرة . مصر

القاهرة . مصر



اسم الكتاب: مقام العجيد على خد المنطق العجيد  
المعروف بـ الفلسفة والإسلام

تألیف: مولانا الإمام أحمد رضا خان الحنفي

ترجمة: محمد جلال رضا

ناشر: المكتبة القادرية ٢٩ شارع والخط ، لانكاشیر، بولطن. بريطانيا.

الطبعة الأولى: جمادى الأولى ١٤٢٢هـ / أغسطس ٢٠٠٢م.

المطبع: دار البيان

تعداد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

تصحيح الأخطاء المطبعية: محمد أفتات عالم

جميع الحقوق محفوظة للمترجم



## شكر وأدبه

طبع هذا الكتاب على نفقة الحاج الأخ /  
حسن صالح بتيل وقد عاوننا في ذلك بجهودات  
مشكورة كل من الحافظ والقارئ فضيلة الشيخ /  
محمد مقصود المصباحي الخطيب والإمام بجامع  
الغوثية يوزيري، بولطن - بريطانيا  
وفضيلة الشيخ العلامة محمد إقبال المصباحي خطيب  
وإمام بجامع نور الإسلام، بولطن - بريطانيا  
وتتضرع إلى المولى الكريم أن يجعل هذه المساهمة  
السخية منهم في ميزان حسناتهم يوم لا ينفع  
مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب

ـ سـ لـ يـ سـ



# لِهُرَارَ

إلى روح الإمام العارف بآللله أستاذ المتكلمين وخاتم  
المحققين جامع المعقول، والمنقول، بحر الشريعة والطريقة،  
العلامة الشيخ / محمد نقي علي خان (والد المؤلف العلامة -  
رحمهما الله تعالى رحمة واسعة) الذي أثرى المكتبات  
الإسلامية بعشرات المؤلفات الممتدة ونفض من وجهه  
العقيدة الإسلامية الغبار المشار من بعض الأقلام الزائفة،  
ووقف حياته في الدفاع عن الإسلام والمسلمين والرد على  
البدع والمنكرات والزيف والانحراف، وخرج لصالح الإسلام  
أعظم مدافعاً عن العقيدة الإسلامية في شبه القارة  
الهنديّة أعني ابنه البار الشيخ الإمام أحمد رضا خان  
الحنفي.

فجزاهم الله أعظم الجزاء

محمد جلال رضا



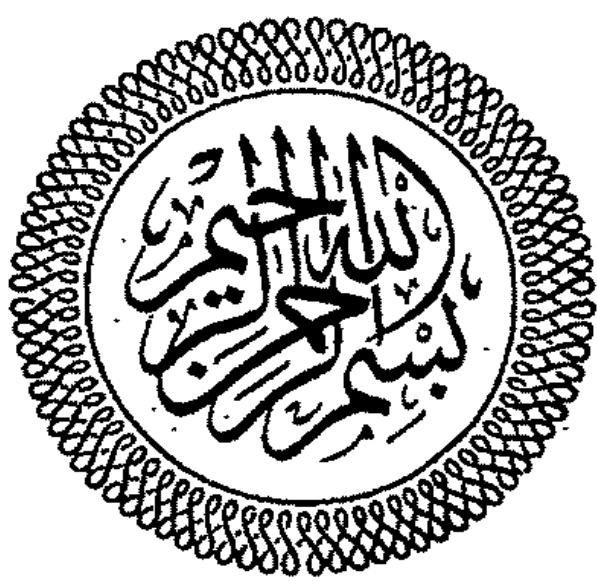
## أمل الآمال إلى مولانا الإمام أحمد رضا خان الحنفي

فهذا شمس مولانا الإمام \* لا صاحبي آني روا في الظلام  
ويهدكم إلى سبل السلام \* يبعد نورها حجب الدياجي  
وحب المصطفى خير الأنام \* ويملا قلبكم بسنا اليقين  
هم واهتنا حسن المقام \* المتس مع لأصوات تندى  
عظيم الجود والفضيل المدام \* ندى، أحمد رضا، زين الفقيه  
وذكر طيب عند الكرام \* له صوت وصيت في التوادي  
وقول قاطع وقت الخصم \* له حجج إذا عجز الفحول  
وأمن الخائفين من العمام \* أدلة شفاعة للنفس وسوس  
وسيف فوق أعناق المذموم \* وبرق فوق رأس المارقين  
وعن تاج الغلا والاحتشام \* برئ عن هوى نفسه وجسام  
وماض في الإرادة كالمجام \* عظيم همة فوق الجبال  
بلا رد وستع وازدحشام \* وسياق إلى نيل المعالي  
ونفاذ إلى قمم المرام \* قوى العزم في حل الصعاب  
وهدى المصطفى خير الأنام \* ومستوح من القرآن رشدًا  
إذا هدف أرماه بالسهام \* فلا يتتجاوز المرمى حزافا  
رجال صفوة البلد الحرام \* وشاهدة على ما أدهمه  
إلى يوم القيمة بالدوام \* سقى المؤمن شراه كل آن  
شتا يرباك أمطار الغمام \* وإنزل فسوق مدقنه الشريف  
له أمل إلى حسن الختام \* أجب هذا دعاء من أثيم

من شعر محمد جلال رضا

من أبناء الأزهر الشريف







## مقدمة

لفضيلة الأستاذ الدكتور محيي الدين الصافي  
الأستاذ المتفرغ بقسم العقيدة والفلسفة  
 بكلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة  
 وعميد الكلية ورئيس القسم سابقاً

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فقد قرأت كتاب «الفلسفة والإسلام»، «مقامع الحدید على خد المتنطق الجدید» تأليف مولانا الإمام أحمد رضا خان الحنفي المتوفى سنة ١٣٤٠ هـ الموافق ١٩٢١ م، وقد ألفه ليرد به على كتاب «المتنطق الجدید لاطلق الناله الحدید» وقد نسبه لزيد الفلسفی، وقد ضمته ثمانية أبوالا، أي ثمان مسائل من مسائل الفلسفة، وقد رد على كل مسألة باستفاضة، وكفر زيداً الفلسفی في الأربع أبوالا الأول، والقول الأول منها يتناول نظرية الصدور، أو ما يسميه الفلسفة بنظرية العقول العشرة، المتعلقة كل منها بكوكب من الكواكب السيارة التي تدور حول الشمس، وأخرها العقل الفعال، وهو عقل فلك القمر، الذي فاضت عنه النفس الكلية، وعنها فاض العالم الأرضي بما فيه من جمادات ونبات وحيوان، وهذه النظرية اخترعها الفلسفه ليبرروا بها قولهم بقدم العالم، وأساس هذه النظرية اعتقادهم بأن الواحد البسيط من كل وجه لا يصدر عنه إلا واحد، ثم قالوا «والله تعالى واحد بسيط، فلا يصدر عنه إلا واحد، وهكذا تفتت ذهنهم عن هذه الخزعبلات، فقالوا، إن الله تعالى فكر في نفسه ففاض عنه عقل أول، وهذا العقل الأول له جهتان يفكر فيها، ففكرا أولاً في مبدئه وهو الله ففاض عنه عقل ثان وفكرا في نفسه ففاض عنه نفس وجسم الفلك الأقصى، وهكذا عن العقل الثاني فاض العقل الثالث، ونفس وجسم الفلك الثاني وهكذا توالت الف gioipas إلى أن

وصلت إلى العقل العاشر وهو عقل ذلك القمر وهو العقل الفسال عندهم وعنه فاضت النس الكلية، وعنها فاض العالم الأرضي بما فيه، ولذا قال الفلسفه بقدم العقول العشرة، وقالوا بقدم ما يسمى عندهم بالهيولى والصورة، وقالوا بقدم العناصر أربعة التي تكون منها الموجودات الجزئية في الكون، وهذه العناصر هي الماء والتربة والهواء والنار، فما جتمعاها تكون الحوادث الجزئية، فالمادة قدية، والصور والأعراض حادثة، وبافتراق هذه العناصر تفنى الحوادث، وتتجدد في جزئيات أخرى وهكذا إلى غير ذلك من حماقاتهم وأقوالهم الباطلة، وقد أفاض الشيخ أحمد رضا خان في الرد على من يقول: بقدم العالم أو بقدم شيء منه، كالعناصر الأربع، والهيولى والصورة كما يدعون، وساق آيات كثيرة من القرآن الكريم تبين أن العالم بجميع ما فيه حادث ومخلوق، وكفر كل من يقول بنظرية العقول العشرة، أو بقدم شيء من العالم، وأنه أوافقه في تكثير كل من يقول بقدم العالم أو بقدم شيء منه، وكذلك القول بنظرية العقول الباطلة، وقد سبقنا في هذا التكثير الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى فقد كفراهم في كتابه «تهافت الفلسفه» لقولهم بقدم العالم ولقولهم بعدم علم الله تعالى للجزئيات، ولقولهم بعدم حشر الأجسام، وقال عن نظرية العقول إنها باطلة، ولو حكها الإنسان عن منام رأه لاستدل بها على سوء مراججه، وكتب أود أن يتضمن الكتاب بعض هذه الأدلة التي رد بها الغزالى على الفلسفه لقولهم بقدم العالم، وأنه مع الشيخ أحمد رضا خان في نفيه أن تكون الملائكة هي العقول المجردة؛ لأن العقول عندهم مجردة عن المادة وعن جميع شوائب النقص والقبح والجهل كما يدعون: وهي لا يعزب عن علمها ذرة من ذرات كل موجود في العالم كلياته وجزئياته، وما دياته ومجرداته، وأما الملائكة فهي عند أهل السنة أجسام نورانية خلقهم الله تعالى من العدم، وخلقهم لعبادته، وهم لا يأكلون ولا يشربون، ولا يتناحرون ولا يتناسلون بل عباد مكرمون لا يسبقوه بالقول وهم بأمره يعملون» وهم لا يعلمون كل شيء كما يدعى الفلسفه في العقول، وقد ورد في تفسير قوله تعالى من سورة الأعراف

: «خذ العفو وأمر بالمعروف واعتراض عن المخالفين» أنه لما قرأها جبريل على النبي ﷺ سأله النبي ﷺ ما هذا يا أخي يا جبريل: قال: لا أدرى حتى أسائل رب العزة سبحانه وتعالى، فغاب وجاء فقال: يا محمد إن الله تعالى يأمرك أن تعمفو عن ظلمك وأن تصلح من قطعك، وأن تعطي من حرمك، فهذا يدل على أن الملائكة لا تعرف إلا ما يفهم الله تعالى، وأنا لست مع الشيخ في ذم الفلسفة ككل لأن الفلسفة فيها حق وباطل، فتحققها حق، وباطلها باطل، فحين تستدل على وجود الله ووحدانيته فهي حق وعندما تقول بقدم العالم وعلم حشر الأجسام فهي باطل والكتندي فيلسوف استخدم الفلسفة في استدلاله بالأدلة الباقية على حدوث العالم، وقال إن الله تعالى أحدثه من كتم العدم المحسن، فلا هيولى ولا صورة كما يدعى الفلاسفة؛ لأنه تعالى يقول للشيء كن فيكون، فقدرته تامة لا يعجزها شيء ومن تعريفات الفلسفة أنها محبة الحكمة، فكيف تكون محبة الحكمة مذمومة، وقد قال تعالى : «بِيَوْتِي الْحِكْمَةَ مِنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتَى خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يُذَكَّرُ إِلَّا لِلْأَلْبَابِ» على خلاف في تفسير الحكمة.

وقد ذكر ابن رشد في كتابه «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» أن الفرض من هذا القول أن نفحص على جهة النظر الشرعي هل النظر في الفلسفة، وعلوم المنطق مباح بالشرع أم محظور أم مأمور به إما على جهة التنب، وإما على جهة الوجوب فنقول: إن كان فعل الفلسفة ليس شيئاً أكثر من النظر في الموجودات، واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع أعني من جهة ما هي مصنوعات، فإن الموجودات إنما تدل على الصانع لمعرفة صنعتها، وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم، وكان الشرع قد ندب إلى اعتبار الموجودات وحث على ذلك: فبين أن ما يدل عليه هذا الاسم إما واجب بالشرع وإما مندوب إليه، فاما أن الشرع دعا إلى اعتبار الموجودات بالعقل، وتطلب معرفتها به، فذلك بين في غير ما آية من كتاب الله تبارك وتعالى مثل قوله تعالى : «فَاعْتَبِرُوا يَا أُولَى الْأَيْمَارِ»، وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي، أو

العقلاني والشرعاني معاً ومثل قوله تعالى : «أولم ينظروا في ملوك السموات والأرض وما خلق الله من شيء» وهذا نص بالاختصار على النظر في جميع الموجودات» هذا ما كتبه ابن رشد في مقدمة كتابه «فصل المقال» وهو الحق وعلى هذا فلم الشيخ أحمد رضا خان للمنطق ليس بصحيح؛ لأن الغزالى قال: من لا معرفة له بالمنطق فلا يوثق بعلمه.

وقد كتب الشيخ الأخضرى في منظومته في المنطق وهي متن السلم الخلاف في ذلك والرأى الحق فقال: والخلف في جواز الاشتغال به على ثلاثة أقوال، فابن الصلاح والنبوى حرم، وقال قوم ينبغى أن يعلموا، والقولة المشهورة الصحيحة جوازه لسالم القربيحة، ممارس السنة والكتاب ليهتدى به إلى الصواب أما قول الفلاسفة يقدم العالم وعدم الله تعالى بالجزئيات وعدم حشر الأجسام، فإنهم في أقوالهم هذه قد خالفوا المنطق، وقلدوا أرسطو في أقوالهم هذه، ولذلك كفراهم الغزالى من غير تردد، أما مسألة التكفير بالأقوال التي تصدر من الناس فقد فصلها الشيخ تفصيلاً بينا وقد قال: إن فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة كفروا من قال يقدم العالم اقتداءً بالغزالى؛ ولأن الفلسفة في قولهم يقدم العالم، يكتبون الله تعالى في قوله «خلق السموات والأرض» والخلق هو الإنشاء من العدم، فمن يكذب الله تعالى فهو كافر.

ولكن ينبعى أن يترى الإنسان في تكثير المسلمين، وكما قال الغزالى في «فيصل التفرقة بين الإسلام والزنادقة» أن الإنسان إذا وجد في قول أخيه تسعة وتسعين في المائة كفر، وواحد مع الإسلام والإيمان فيحمل قوله على الإسلام، ويترك التسعة والتسعين المكفرة، وقد أشار إلى هذا الشيخ في خاتمة كتابه، هذا لأن التكثير أمر عظيم؛ لقول الرسول ﷺ: إذا قال المسلم لأخوه المسلم يا كافر فقد باه بها أحدهما، وقد فصل الإمام عضد الدين الإيجي القول في هذا في كتابه «الموافقات»، وسعد الدين التفتازاني في كتابه «المقاصد». والشيخ عمر النسفي في كتابه «العقائد النسفية».

وقد خرج الإمام أبو حامد الغزالى جميع الأقىسة النطقية سواء أكانت حملية أم شرطية من القرآن الكريم في كتابه «معيار العلم» وهو كتاب في المنطق ، فمن الأقىسة الحملية خرج الشكل الأول من قوله تعالى على لسان إبراهيم: أنا أحسي وأتبت وكل من يحس ويبيت إله . . . أنا إله.

ومن القياس الشرطي الاستدلال على الوحدانية لو كان فيهما آلة إلا الله لفسدنا لكنهما لم تفسدا بالمشاهدة إذن ليست هناك آلة غير الله.  
والله تعالى الموفق للحق والهادى إلى سواء السبيل.

**لفضيلة الأستاذ الدكتور محيي الدين الصافي**  
**الأستاذ المتفرغ بقسم العقيدة والفلسفة**  
**بكليةأصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة**  
**وعميد الكلية ورئيس القسم سابقاً**

القاهرة يوم الاثنين الثالث من جمادى الآخرى لسنة ثلاث وعشرين وأربعين مائة ألف للهجرة النبوية  
الشريقة الموافق الثاني عشر من أغسطس لعام اثنين وعشرين للميلاد



## حَفَظَ اللَّهُ عَزَّلَهُ

الحمد لله الذي أكرم الإنسان بالعقل، وميّزه به على كثير من خلقه، وجعل العقل مناط الأحكام الشرعية، وحرم كل ما يؤدي إلى إتلافه أو تعطيله، وأبعد كل العوائق والموانع عن طريقه، وحضر على استعمال العقل والتفكير بكل لون من ألوان الحض والإغراء، بل جعل من لا يستعمل العقل أضل وأهون من الحيوان، والصلة والسلام على من أكرمه بذلك المعجزة العقلية الخالدة معجزة القرآن الكريم، وعلى الله وصاحبه العقلاه الفطنه وعلى علماء أمته أجمعين، أما بعد.

فلا شك أن الإسلام قد قدم للعالم عبر التاريخ شخصيات خلاقة في مختلف المجالات العلمية، النظرية، والتجريبية، وعقولاً جباراً قادرة على الإحاطة ب مختلف الثقافات والتأثير فيها، وصفحات التاريخ أعدل شاهد عليه.

وها نحن نعرف للعالم العربي علماً من أعلام الإسلام وعيارياً من عباقرته كان له تأثير كبير في الحياة العقلية ونفوذه واسع في الحركة الفلسفية في الهند، ألا وهو الشيخ الإمام أحمد رضا خان الحنفي وهو جدير بهذا التعريف لاعتبارات شتى.

غير أن تعريف الإمام يحتاج إلى دفتر طويل أو موسوعة ضخمة، لما في شخصيته من تنوع واستيعاب لكل جانب من جوانب الثقافة الإسلامية، وإنما تأم في جميع العلوم العقلية والنقلية.

وقد رأيت أن أوقع تعريف للشيخ الإمام لغير الناطقين بالأردية إنما يتم من خلال نقل تراثه العلمي الهائل الضخم، وترجمة مؤلفاته القيمة الفريدة، الدالة على جلاله شأن المؤلف وعلو كعبه في العلوم والمعارف، إذ به معرفة الإمام بالإمام مباشرة بلا وساطة.

وانطلاقاً من هذه الفكرة الطيبة، قام الطلبة الهدود الدارسون بالأزهر الشريف بترجمة ثلاث رسائل للإمام إلى اللغة العربية في العام الماضي، وطبعت باسم «القاديانية» من القاهرة، وما نحن نقوم ببيان الناحية العقلية في شخصية الإمام،

واستثناله النكرى والعلنى فى هذا العام رغم مزاحمة الشواغل والواجبات - رغبة فيما عند الله - عزَّ وجلَّ - وذلك من خلال ترجمة مؤلف قيم يسمى بـ «مقامع الحديد على خد المنطق الجديد» من اللغة الأرديّة إلى اللغة العربية العريقة. وقد ناقش المؤلف العلام - رحمة الله تعالى - فيها بعض المضلات الفكرية التي بللت عقول البعض، وقد سميّنا هذه الترجمة المتواضعة «الفلسفة والإسلام».

ولا محيد عن ترجمة هذا التراث العلمي النقى الذى خلفته شخصية الإمام العبقرية الخلاقة، لالتوالى التماطل والتبادل العلمي بين الشعوب المختلفة العقليات من أهمية لدى أولى الألباب والنهاى، وبصفة خاصة بين الشعوب الإسلامية، وبهذا يقوم دليلاً بين على سماحة الإسلام لاحتضان مختلف الثقافات والعقليات من العالم أجمع، وصلاحيته للتأثير فيها بالتوجيه والتصحیح.

وها نحن نكتب في التعريف بهذه الشخصية الموسوعية الفذة لتجليه بعض الجوانب العقلية الممتعة. وإبراز آراءه الكلامية وابتكاراته الفكرية الرائعة.

ولد هذا المولود المبارك ببلدة «بريلى»، بالهند، يوم الاثنين العاشر من شوال المغضّم سنة ١٢٧٢ من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، الموافق الرابع عشر من شهر يونيو سنة ١٨٥٦ الميلادية.

الخلفية الأسرية: لقد كانت أسرته أسرة علمية عريقة ذات مكانة عالية منذ قديم. وما لا شك فيه أن البيئة الأسرية لها أثر فعال في تكوين شخصية الطفل الذي يعيش فيها ويستشق من جسدها العاطر بالأخلاق الكريمة والعادات الحسنة فلا غرو بعد هذا أن يُصْنِعَ شيخنا عبقريا من عباقرة الإسلام.

لقد كان أبوه الشيخ نقى على خان (١٢٤٦هـ / ١٢٩٧هـ) من مشاهير العلماء في ذلك العصر، كما كان متكلماً مسلقاً وعالماً ربانياً أطربت شهرته أنحاء الهند، وقد أثرى المكتبات الإسلامية بتأليفات ممتعة ومؤلفات قيمة وهذا نذكر بعض مؤلفات الشيخ على سبيل المثال:

- ١- الكلام الأوضح في تفسير المشرح.

- ٢- سرور القلوب في ذكر المحبوب.
- ٣- جواهر البيان في أسرار الأركان.
- ٤- أصول الرشاد لقمع مباني الفساد.
- ٥- هداية البرية إلى الشريعة الأحمدية.
- ٦- الرواية الروية في الأخلاق النبوية.
- ٧- لمعة النبراس في آداب الأكل واللباس.
- ٨- أحسن الوعاء لأداب الدعاء.
- ٩- إذاقة الآثام لمانعى عمل المولد والقيام.
- ١٠- الكواكب الزهراء في فضائل العلم وأداب العلماء.
- ١١- خير المخاطبة في المحاسبة والمراقبة.
- ١٢- هداية المشتاق إلى سيد الأنفس والأفاق.
- ١٣- أجمل الفكر في باحث الذكر.
- ١٤- عين المشاهدة لحسن المجاهدة.
- ١٥- نهاية السعادة في تحقيق الهمة والإرادة.
- ١٦- أقوى الذريعة إلى تحقيق الطريق والشريعة.  
وغيرها من المؤلفات الغالية.

وتوفي الشيخ محمد نقى على خان فى ليلة الجمعة الثلاثين من شهر ذى القعدة عام ١٢٩٧ للهجرة المافق ١٨٨١ للميلاد.

وقد فتح الشيخ أحمد رضا خان عينيه فى هذا الجبو العلمي الطاهر، ونشأ فى بيت يشبه المكتبة أو الجامعة وبذلك نرى أنه لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره إلا وقد امتلك ناصية البيان وتسلم مقاليد الفتووى والإرشاد وشرع فى التأليف والتصنف.

تلقى العلوم الإسلامية والعربية عن والده وعن نخبة ممتازة من العلماء النابغين فى ذلك العصر، ولم يزل يوسع ثقافته ويعمق معرفته حتى أتقن خمسة وخمسين

علمًا وفناً، ولم يترك علمًا أو فناً إلا وقد أجاد وأتقن وألف فيه، بل أضفى فيه  
قواعد وأصولاً من عقليته المفتوحة المستقلة.

وقد ابتكر عشر قواعد لمعرفة جهة القبلة من أي قطر من أقطار الأرض، وقال:  
قواعدنا في غاية الصحة حتى لو أزيلت الحجب لتجعل الكعبة بمرأى من العيون،  
إذا روعيت هذه الأصول مراعاة دقيقة. ونقل هذه القواعد تلميذه الوفي العلامة  
ظفر الدين أحمد البهاري في كتابه «توضيح التوقيت». فإن دل هذا على شيء  
فيدل على عقليته الخلاقية وتفكيره المخالج المبدع.

وفوض إليه أبوه مسؤولية الإفتاء والإرشاد لما رأى فيه من الذكاء المفرط والذاكرة  
المدهشة وإصابة الرأي غير أن الشيخ الإمام لم يزل يعرض فتاواه على أبيه  
للتصحيب والاستزاده من خبراته الفقهية ومعرفته الشرعية حتى توفاه الله - عز  
وجل - .

كان الشيخ أحمد رضا خان من أهل السنة والجماعة حنفي المذهب قادرى الطريقة  
بائع على يد الشيخ آل رسول الملا هروى سنة ١٢٩٥هـ ونال منه الإجازة والخلافة فى  
السلسل كلها كما نال الإجازة فى علوم الحديث والفقه وغيرها وكان شيخه من أشهر  
تلامذة فضيلة الشيخ العلامة عبد العزيز المحدث الذهولى صاحب كتاب «تحفة الاثنى  
عشري» وغيرها من التصانيف العلية وكان الشيخ أحمد رضا خان شديد الاعتصام  
بالكتاب والسنة وسلف الأمة، راسخ الاتباع للرسول الكريم عليه أفضل الصلوة وأتم  
التسليم، وللصحابة والأئمة قوى الحب بالغ الإجلال لهم، حتى أن أدنى إساءة  
لأحدهم كانت تثير غيرته الدينية فما كان ليداهن فى الدين ويصالح مع المبطلين إلا أن  
يرتدعوا عن الأباطيل ويرجعوا إلى الحق المبين.

جهاده بالقلم: لقد رد على النصارى، والهندوس، والرافضة، والقاديانية،  
والديوبندية، والنياشرة، والتصوفة المغالبة وغيرها.

وكلما ظهرت بدعة قام بالرد عليها حتى أن كثيرًا من المبطلين كان يمتنع من  
إعلان بدعته زمناً طويلاً مخافة من قلم الإمام أحمد رضا خان الحنفي، كما كان

شديد الإنكار على كل حرام ومنكر يظهر في المجتمع الإسلامي، وتصابيفه تزخر وتتدفق بالرد على البدع والمنكرات، التي راجت في عصره أو ظهرت قبل زمانه. ذكر بعض مصنفاته: بلغت مؤلفاته ألفاً ما بين صغير كبير، وذلك مع كونه صاحب اليد الطولى والنفس الطويل في الإيجاز وجمع المعانى الكثيرة في المبانى القليلة.

وفي مقدمتها:

- ١- العطایا النبویة فی الفتاوی الرضویة، فی النسخ عشر مجلداً كل مجلد يتتجاوز خمس مائة صفحة كبيرة ويقارب ألف صفحة.
- ٢- جد المختار على رد المحتار لابن عابدين الشامي، فی خمس مجلدات.
- ٣- الصمصمam على مشكك فی آیة علوم الأرحام (فی الرد على التنصاري).
- ٤- كیفر کردار آریه (فی الرد على الہندادیک).
- ٥- السوء و العقاب على المسيح الکذاب.
- ٦- الجراز الديانی على المرتد القادیانی.
- ٧- المبین ختم النبین<sup>(١)</sup>.
- ٨- جزی اللہ عدوہ بیانیہ ختم النبوة. (فی الرد على منکری ختم النبوة)<sup>(٢)</sup>.
- ٩- مقام الحدید على خد المنطق الحدید<sup>(٣)</sup>.
- ١٠- الكلمة اللهم، فی الرد على الفلاسفة.
- ١١- الدولة المکیة بالمادة الغیریة.
- ١٢- الفیوضات الملکیة لمحب الدولة المکیة.
- ١٣- الأدلة الطاغنة فی آذان الملائكة.

(١) وقد ترجمت هذه الرسائل الثلاثة من الأردية إلى اللغة العربية بجهود من الطلبة الهندود النشطاء حفظهم الله تعالى وطبع من القاهرة، مصر.

(٢) وقد ترجم هذه الرسالة القیسیة إلى اللغة العربية كل من الأخ الفاضل منظر الإسلام ونعمان الأعظمي حالاً وطبع باسم «محمد خاتم النبین»، وصدر في دار البيان، القاهرة، مصر.

(٣) الرسالة التي بين أيديکم الآن.

- ١٤- رد الرفضة (في الرد على الشيعة).
- ١٥- إكمال الطامة على شرك سوى بالأمور العامة.
- ١٦- الزيادة الزكية في تحريم سجود التسجية. (قدم فيها أربعين حديثاً وماة وخمسين نصاً من كتب الفقه على حرمة سجود التعظيم لأحد من الخلق).
- ١٧- جمل النور في تهذيب النساء عن القبور.
- ١٨- مروج النجا لخروج النساء.
- ١٩- جل الصوت لنهي الدعوة أمام الموت.
- ٢٠- منير العين في تقبيل الإبهامين.
- ٢١- اعتقاد الأحباب في الجميل المصطفى والأك والأصحاب.
- ٢٢- حياة الموات في بيان سماع الأموات.
- ٢٣- كنز الإيمان في ترجمة القرآن.
- ٢٤- أنوار المنان في توحيد القرآن.
- ٢٥- المقالة المسفرة عن أحكام البدعة المكفرة.
- ٢٦- سبحان السبوج عن عيب كذب مقيوح.
- ٢٧- فتاوى الحرميين برجف ندوة المين.
- ٢٨- بارقة تلوح من حقيقة الروح.
- ٢٩- تحلى اليقين بأن نبينا سيد المرسلين.
- ٣٠- صفاتي اللجين بكون التصافح يكتفى بالدينين.
- ٣١- المعتمد المستند بناء لتجاه الأبد.
- ٣٢- النيرة الوضية في شرح الجوهرة المضيئة.
- ٣٣- الأمن والعلى لناعنى المصطفى بدافع البلاء.
- ٣٤- أنوار الانتباه في نداء يا رسول الله.
- ٣٥- الشريعة البهية في تحديد الوصية.
- ٣٦- تنوير القنديل في أوصاف المنديل.

- ٣٧- لمع الأحكام أن لا وضوء من الزكام.  
 ٣٨- الأحكام والعلل في أشكال الاحتمام والبلل.  
 ٣٩- نبه القوم أن الوضوء من أي نوم.  
 ٤٠- بركات السماء في حكم إسراف الماء.  
 ٤١- صيقل الرين عن أحكام مجاورة الحرمين.  
 ٤٢- أجمل الإعلام أن الفتوى مطلقاً على قول الإمام.  
 ٤٣- الظفر لقول زفر.  
 ٤٤- الطلبة البدية في قول صدر الشريعة.  
 ٤٥- الكشف شافياً حكم فونوغرانيا.  
 ٤٦- عطايا القدير في حكم التصوير.  
 ٤٧- أطائب الصبيب على أرض الطيب.  
 ٤٨- حسام الحرمين على منحر الكفر والمن.  
 ٤٩- الدلائل القاهرة على الكفارة النياشرة.  
 وغيرها من المؤلفات الكثيرة النافعة.

وله حواش جليلة وتعليقات أنيقة على كتب التفسير والحديث والفقه والسيرة والكلام وغيرها من العلوم والفنون وغتاز هوامشه بأنها فيض خاطره وما كان يفرغ لكتابتها كغيره من المحسينين الذين إذا أرادوا كتابة حاشية على كتاب جمعوا حولهم ذخائر من كتب وشروح وحواش وتعليقات وأخذوا منها ونقلوا عنها ما أحبوا حتى تكون حاشية ضخمة وهذا أيضاً عمل نافع له قدره غير أن العلامة أحمد رضا خان لم يكن كذلك، بل كان إذا طالع كتاباً ورأى بحثاً عوبيضاً أو زللاً من صاحب الكتاب أو مسألة تحتاج إلى زيادة الكشف والإيساح أو موضحاً اختلفت فيه الأفكار والأقلام كتب هناك جملاً يسيرة تتحل بها العقد ويندفع الزلل وتنكشف العلل وينجلى الحق الأبلج.

إن الشيخ الإمام عايش القرآن والستة بفكرة وروحه وحالتهما بعقله وشعوره، وترجمهما بعمله و فعله ترجمة صادقة وصيغ قلبه وقالبه روحه وجسده بالصيغة الربانية حتى استزجت معانى القرآن والستة بلحمة ودمه. كما أحاط بكل ما كان يموج به ذلك العصر من مخاطر وتهديدات تحيط بالإسلام وال المسلمين وأدرك تلك الدسائس والمخططات التي كانت تنسج حول محو الهوية الإسلامية وإبعاد المسلمين عن القرآن وصاحب القرآن وطالع المجتمع الهندي بتروّنا كما يطالع الطبيب الحاذق المريض لمعالجته، ورحب جميع التحديات بكل شجاعة وبسالة؛ فحرص حرصاً شديداً ناشئاً من الإيمان والعقيدة ونشط للحفاظ على المizza الإسلامية على نقاءها وصفاءها من المؤثرات الأجنبية والهيجمات الخارجية. فلم يكن مؤمن كهذا ليخلد الملامح الإسلامية لتذوب في بوتقة تلك الموجات العارمة من مشات التقاليد والعادات الخرافية في بلد يزخر بالأديان والمعتقدات ويموج بالخرافات والأباطيل.

وقد عرض الإمام كل نشاط من نشاطات المجتمع وكل حركة من حركاته على محك القرآن والستة، فما كانت منها صالحة نافعة ومسجنة مع طبيعة القرآن والستة أقرها وما كانت سيئة ضارة مضادة لروح الخيفية السمحاء بذلك كل ما في وسعه لإزالتها وتطهير المجتمع الإسلامي منها ومن أضرارها، وحذر المسلمين من عواقبها الوخيمة في الدنيا والآخرة بأسلوب حكيم ينبع من بروح العقيدة الصادقة ونور الإيمان الوضاء، كما يلاحظ ذلك بوضوح من أسماء الكتب التي عرضنا بعضها منها في السطور السابقة وقد رأيت أنها أحاطت كل جانب من جوانب الشريعة والعقيدة والسلوك.

وقد آن الأوان أن نقدم بعض الشواهد والأمثلة على ما قلنا من خلال مؤلفات الإمام؛ لتأكد من عظمة هذا المجاهد الباسل الجليل.

**تطهير المجتمع من البدعة الاعتقادية** كان قد نسبت في المجتمع الهندي

كالطفليات أناس نلاعبوا بأحكام الشريعة الإسلامية واستهانوا بعظمتها وانحرقوا عن الجادة وحادوا عن الصراط المستقيم، ففرقوا بين الشريعة والطريقة وفضلوا الطريقة على الشريعة، فوجه إلى شيخنا الإمام استفتاء في هذه القضية حيث كان مرجعاً موثوقاً به في أمور الدين.

وكان هؤلاء المترفون قد استندوا إلى بعض الشبهات التي زينها الشيطان لهم فقالوا: إنما الشريعة عبارة عن بعض الفرائض، والواجبات وشيء من السنن والمستحبات والحلال والحرام، أمثال الوضوء والصلة وغيرها، أما الطريقة فعبارة عن الوصول إلى الله - عز وجل - وفيها تكشف حقائق العبادات وفيها تتجلى أسرار الصلاة والصيام وخفاياها و قالوا إن الطريقة بحر لا ساحل له والشريعة بالنسبة إليها قطرة صغيرة، والطريقة هي الوراثة الحقيقة والنيابة الكاملة للأئمّة وهي التي بعث من أجلها الأنبياء والرسول، وعلماء الظواهر هم أهل القشور لا يصلحون بحال من الأحوال لعظمة الخلاقة النبوية.

كما لا يسوغ إطلاق «العلماء الربانيين» عليهم بخلاف أصحاب الطرق ويجب على الناس أن يحذرُوا من خداع هؤلاء العلماء المزعومين فإنهم شياطين بل حجب واستثار دون الوصول إلى الله - عز وجل -

هذه هي الشبهات التي استند إليها بعض من فضل الطريقة على الشريعة وسنرى في السطور التالية، فوران غيرة الشيخ الدينية وغليان حماسه الإيمانية على هذه البدعة الفكرية والانحراف اعْقَدَى الخطير، مع ملاحظة أنه أحد مشائخ الطريقة القادرية في الهند، ونجده أن الشيخ الإمام لم يكن ليصنف إلى هذه الشطحات المفلترة التي تصادم مع روح الشريعة الإسلامية وطبيعة الخلقية السمحاء، وأنه كان شديداً التمسك والاعتصام بأدلة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. قال الشيخ ردأ عليهم:

إن وصفهم الشريعة المطهرة بأنها عبارة عن بعض الأحكام مثل الفرض والواجب والحلال والحرام، ناشيء من الجهل والعمى و دال على الغي والجهوى، وهو إلحاد صريح وضلالة مبين.

إنما الشريعة عبارة عن مجموعة كاملة من الأحكام الإلهية التي تشمل الجسم والروح، القلب والقلب، والظاهر والباطن، وهو اسم لجملة العلوم الربانية والمعارف اللامتناهية والطريقة والمعرفة جزء من تلك المنظومة المتكاملة الشاملة، ومن هنا أجمع العلماء قاطبة على حتمية العرض بجميع معارف الأولياء والصالحين ومكاشفاتهم وحقائقهم على الشريعة الإسلامية المطهرة، فما وافقت منها القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة فهي مقبولة وإلا مرفوضة جملة وتفصيلاً.

وعلى هذا فالشريعة هي الأصل وهي المحك والميزان بها العبرة وعليها الاعتماد، والشريعة لغة تطلق على الطريق وشريعة محمد ﷺ تعنى طريقة المصطفى عليه التسبيحة والثناء، ولا شك أنها عامة ومطلقة فلا يعقل قصرها على بعض الأحكام الخاصة بالأجسام وهذه هي الطريقة التي يجب على المسلم أن يسأل المولى - عز وجل - السلوك والاستقامة والثبات عليها في الصلوات الخمس، ألا ترى أن دعاء، إهدنا الصراط المستقيم يتكرر في الصلوات كلها.

ويقول المولى - عز وجل - إن ربى على صراط مستقيم، وهذه هي الطريقة التي لو حاد عنها أحد، ضل وغوى، قال المولى - عز وجل - «وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَسْبِقُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقُ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاحَبُكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ تَتَقَوَّنُهُمْ».

انظر كيف صرخ القرآن العظيم بوضوح أن الشريعة هي وحدتها الكفيلة بالإيصال إلى المولى - عز وجل - وكل طريق سواها فمبعد عن المولى - عز وجل - قولهم إن الطريقة عبارة عن الإيصال أو الوصول إلى الله - عز وجل - لا يعدو أن يكون جنوناً أو جهالة، إذ لا يخفى على عامة الناس فضلاً عن غيرهم أن الطريقة والطريق تعنى السبيل الذي يؤدى إلى غيره وليس معناه الوصول أو البلوغ في آية لغة.

فالطريقة لو كانت غير الشريعة فلن تكون مؤدية إلى المولى - عز وجل - بل تؤدي إلى الشيطان الرجيم، ولا نصل إلى الجنة بل نوصل إلى النار، كما شهد بذلك القرآن العظيم حيث رفض كل السبل والطرق غير الشريعة الإسلامية.

ومن هنا يلزم أن تكون الطريقة هي الشريعة فالطريقة عبارة عن جزء هام من الشريعة الغراء لا يقبل الانفكاك عنها في حال من الأحوال ومن فضل الطريقة عن الشريعة فقد فصلها وقطعها عن طريق الله - عز وجل - وربطها بطرق الشياطين، إن الطريقة الحقة ليست من طرق الشياطين في شيء وبالتالي هي طريق الله - عز وجل - ولا يغيب عنك أن كل ما ينكشف في الطريقة على العبد إنما ينكشف ببركة الشريعة واتباعها، ألا ترى أن الرهبان، والمتبتلين والزهاد من الكفار والمشركين قد تنكشف عليهم أشياء كثيرة غير أن ذلك لا ينفعهم بشيء في الآخرة بل هو الذي سيوصلهم إلى النار ويقذفهم في سقر.

عجبًا لمن قال إن الشريعة قطرة والطريقة بحر، وهل يصدر هذا إلا من مجحون أو معتوه سمع عن سعة البحر وعمقه ولم يدر المسكون من أين جاءت هذه السعة في البحر، ولا يخفى على العاقل أن سعة البحر بسعة النبع وغزارته فلو لم تكن السعة في النبع والصادر لما كانت تلك السعة في البحر فالشريعة بمثابة النبع أو العين والطريقة كبحر يستمد بقاءه منه بل هذا المثال أيضًا غير دقيق كما يتبين؛ لأن البحر قد يستقل عن النبع والعين في سقي المزارع عند المرور بها، وقد يستغني المتぬف به عن النبع والعين بخلاف منيع الشريعة الغراء فإن البحر المستمد منها لا يستغني عنها ولو للحظة واحدة.

هذه نبذة يسيرة من تلك الرسالة القيمة التي ألفها المؤلف العلام في دحض هذه الشبهة واستصالها وسماها «مقال عرفاء باعزاز شرع وعلماء».

ويذل الشیخ الإمام مجھودات مشکورة في محو تلك البدعة النيشرية التي نصت رأسها في عصر المؤلف العلام، تلك الفتنة الصماء والظلمة الدهماء، التي

حاولت نزع الإسلام من قلوب المسلمين بتحليل كثيرة من المكر والخداع والغدر  
بستار الإسلام، كما كان شأن المستعمرات في جميع البلاد المستعمرة حيث كانوا  
يستخدمون المسلمين المزعمين لزعزعة الإسلام في نفوس المسلمين فكتب الشيخ  
الإمام رسالة بين فيها أحوال هذه الطائفة الضالة وأحكامها في ضوء القرآن الكريم  
والسنة النبوية المطهرة، ثم أرسل إلى علماء وفقهاء الحرمتين الشريفتين. للتصديق  
والتوثيق لما كان يُكتن الشیخ تجاههم من ثقة وأولوية في الأمور الدينية والشرعية  
ورد أيضاً على الطوائف المنحرفة الأخرى التي عاصرته. وهذا نحن نفسح المجال  
لتقرأ ذلك كله بقلم المؤلف الرصين. قال:

ولنعد بعض من يوجد في أعصافنا وأمساكنا من هؤلاء الأشقياء (أى الذين  
خرجوا من الإسلام بإنكارهم ضروريات الدين) فإن الفتنة دائمة والظلم متراكمة،  
والزمان كما أخبر الصادق المصدوق عليه السلام يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي  
مؤمناً ويصبح كافراً، والعياذ بالله تعالى، فيجب التبه على كفر الكافرين المسترين  
باسم الإسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الرد على الفلسفة قام الشیخ الإمام بفرضية الرد على الفلسفة القديمة  
والجديدة وحطم قصورهما الشامخة وزلزل أركانها التي كانت بثابة المسلمات  
المقررات عندهم.

وألف في ذلك رسالة عظيمة سميت بـ «الكلمة الملة»، وقد اعتبرها بعض  
أعلام الهند «نهافت الفلسفة» في العصر الجديد، وهي جديرة بذلك؛ لأهمية  
مضمون الكتاب وقيمة في هذا الفن.

لقد كان الشیخ طويل النفس قوى الشكيمة في مناقشة الفلسفه ومجادلتهم  
حتى تراه يضيق الخناق على أعنئ الفلسفه وأعذهم ويسد أمامهم كل الطرق  
والمناذ لليجدهم إلى الاقتناع والاعتراف بالحق والتنازل عن الباطل. وكل ذلك  
بنفس المناهج وبنفس المبادئ التي آمنوا بها واطمئنوا إليها.

فإليك جانباً من هذا الرد الرائع الممتع.

الحمد لله إن الأفلاك، والكواكب، وحركاتها، ودوراتها قد أكدها تأكيداً يقطع  
دابر كل شك وريب، أن الخالق جل وعلا مختار مطلق، وأنقسمت أنواع الفلسفه  
كذلك حجراً بأيديهم. لأن الفلسفه تدعى.

- إن الأفلاك بسائط، وكل ذلك له طبيعة واحدة ومادة واحدة وإن كانت الأفلاك  
جميعها مختلفة الطبائع ومتباينة المواد فيما بينها.. كما تدعى.

- إن الطبيعة الواحدة في المادة الواحدة لا تفعل إلا فعلاً واحداً على نسق واحد،  
ووتيرة واحدة، ولا يمكن التفاوت فيها في حال من الأحوال.

ولذلك كان الشكل الطبيعي كروياً لكل بسيط لأن الشكل الكروي هو الذي  
يكون على نسق واحد بخلاف المثلث والمربع وغيرهما فإنهما لا يخلوان عن الخط  
والسطح والنقطة فلم يكن على نسق واحد.. وكذلك تدعى الفلسفه .

- إن الفاصل لا يتأتى منه الترجيح بين المتساوين لأن نسبة إليهما سواسية  
والترجح لأحدهما مع استواء النسبة ترجح بلا مرجع وهو باطل.

وهنا نود أن نذكر الفلسفه السفيهه هذه الدعاوى الثلاث ونبهها إلى مسلماتها  
التي أسلفتها آنفـاً، ثم نتساءل ، أين المخرج؟ وأين السبيل؟ وأين البرر؟ لذلك  
التبـين والاختلاف الذين اعترفـتم بهما في الأفلاك والـكواكب؟

وها نحن نذكر بادئ ذي بدء كلمات وجيزـة في أشكال كل ذلك وحركاته وجهاته  
وأجزاءـه، وحركـات الأجزاءـ وجهـاتها ثم نأتي بـيرادتنا عليه.

فالـأفلاك بـصفـة عـامـة كـرات مـجوـفة فيـها سـطـحـان أحـدـهـما مـحدـبـ والأـخـرـ مـقـعـرـ،  
وـالـأـفـلـاكـ بـعـضـهـا فيـ جـوـفـ بـعـضـ، وـفـلـكـ القـسـمـ أـخـرـهـا وـأـسـفـلـهـاـ، وـفـيـ بـطـنـهـ تـحـتلـ  
الـعـنـاصـرـ الـأـرـيـعـةـ الـفـلـكـ الـأـطـلسـ، وـهـوـ أـعـلـىـ الـأـفـلـاكـ جـمـيـعـاـ وـأـسـرـعـهـاـ، يـدـورـ عـلـىـ  
مرـكـزـ الـعـالـمـ مـنـ الـشـرـقـ إـلـىـ الـمـغـربـ، وـيـتـمـ دـورـتـهـ فـيـ يـوـمـ وـلـيـلـةـ أـيـ ٢٤ـ سـاعـةـ إـلـاـ  
ثـلـاثـ دـقـائقـ ٥٦ـ ثـانـيـةـ. الـقـطـبـ الـشـمـالـيـ وـالـجـنـوـبـ قـطـبـانـ لـهـ. وـمـعـدـلـ النـهـارـ مـنـطـقـهـ

تش في سطحها يقع خط الاستواء. وهذا الفلك يدير جميع الأفلاك التي تتحه مع حركته وطلع جميع الكواكب وغرويها مرتبطان بحركته، ولا يوجد فيه أى كوكب أو جزء.

أقول: إن قولهم «لا يوجد فيه أى كوكب» مجازفة عشواء بل أقصى ما يمكن أن يقال إننا لا نعلم؛ لأنه يمكن أن تكون فيه بعض الكواكب ولا ترى لنا بسبب شدة البعد بل من المحتمل أن تكون بعض هذه الكواكب التي نراها نحن، في الفلك الأعظم أو وراء المجرة أو الشرة أو كف الخصيب، بل كل موضع يبدو فيه الأشكال السحرية يتحمل احتمالاً صريحاً أن تكون هذه الكواكب فوق جميع الثوابت، ولكن لا تبين أجرامها بسبب تقاربهما فيما بينها وبعدها عنا بعداً شديداً وبذلك تبدو مثل السحاب الأبيض كأنه سطح لام.

فلك الثوابت، مركز فلك الثوابت ومركز الفلك الأطلس متهددان غير أن قطبه يختلف عن قطبي العالم بـ ٢٣ درجة و ٢٧ دقيقة وحركته من المغرب إلى الشرق (عكس حركة الفلك الأطلس). ولا تتم دورته في مدة اثنين وعشرين ألف عام، وزعم المتقدمون أنه يكمل حركته في ستة وثلاثين ألف عام، وجميع الكواكب الثوابت المتباينة الأحجام المختلفة الألوان توجد فيه، ومثلثات السموات السبع من المراكز والأقطاب والجهات والحركات والمقادير والسرعة متساوية، ولذلك تسمى بالمثلثات لأنها تحاذي ذلك البروج في هذه الأمور، ولا توجد فيه أجزاء سوى هذه الكواكب الثوابت.

أقول، أجل، توجد الآلاف فضلاً عن الواحد. وحركات الثوابت متباينة فيما بينها كما ذكر في زيج الأجد، وقد ضبطت فيه حركات الشمائل منها، فبعضها تقطع مسافة درجة واحدة في ثلاثة وستين سنة كمرقوب الرامي وبعضها تقطع درجة واحدة في أربع وستين سنة كالنسر الواقع، وبعضها الأخرى تقطع درجة واحدة في مدة خمس وستين سنة، كركبة الرامي كما تقطع الأخرى هذه الدرجة

في ستة وستين عاماً، كالسهيل اليماني، والنصر الطائر وجدي الفرق، وبعضها في سبعة وستين عاماً كثير الفلكة حتى يبلغ هذا الاختلاف إلى الثنين وثمانين سنة. في درجة واحدة فإذا كان هذا التفاوت في درجة واحدة بسعة عشرة سنة ففي الدورة الكاملة يبلغ هذا التفاوت إلى ست آلاف سنة تقريرياً فإن دل هذا فإنه يدل على اختلاف التداوير والحركات.

وكذلك تختلف التفاصيل في ذلك زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة والعطارد، والقمر.

وقد أورد المؤلف العلام الثنين وثلاثين مؤاخذة قوية وقضى محكماً على مذاهب الفلسفه مستعيناً في ذلك بذكاءه المفرط وذهنه الوقاد إليكم خلاصة المؤاخذة الحادية والثلاثين والثانية والثلاثين أولاً :

أ - من خصص التداوير في الحوامل بالوضع المعين من الفلك مع أن كل نقطة من نقاط الفلك تحتمل ذلك وتستوي نسبة جميعها إليها، فمن أين نشأت هذه الأجزاء المتباينة من الطبيعة الواحدة في المادة الواحدة؟ وأخل أيسر وأسهل، غير أن الجحود والإنكار والعناد الأعمى لا دواء لها.

ب - هذا التباين كما يمكن أن يحدث من القابل يمكن كذلك أن يحدث من الفاعل أيضاً، ولا يمكن ذلك من القابل فيما نحن فيه إذ القابل هنا مادة بسيطة فما المانع أن يكون هذا التباين من الفاعل، (ذكره الطوسي).

حقاً إن الأضطرار والعجز ليؤديان إلى مثل هذا التناقض البين واللف والدوران والخلل العقيدة. وتساءل هنا وحق لنا التساؤل هل الفاعل يتصرف حسب استعداد القابل وصلاحته، أم يمشي على هواه واستبداده، والأول مفقود والثاني هو المقصود. وقد لاحظت كيف تداعت لبيات الفلسفه متسلقة بعضها فوق بعض وانهارت قصورها الشامخة من أساسها وهي خاوية على عروشها.

وبذلك لم يستطع الفيلسوف الجونفوري أن يتمالك نفسه على حل الطوسي فانفلت منه هذه الجملة، قد بنى قصراً وهم مصرأً وبطل الدليل واثلمت أصول كثيرة.

جــ إن هذا التباين يمكن تفسيره بأن الصور النوعية نزلت على بعض الموضع من الأفلاك على شكل متفرق، ولهذا تكونت الكواكب والتدابير والحوامل والخوارج على ألوان شتى من جرم الفلك، فمغارات الأفلاك وأجوف التدابير، قد حدثت بأنفسها، ولما كانت الحوامل والخوارج على خير المركز فحدث تغير التمامات تلقائياً.

و واضح أن المعضلة لم تنجلي بعد، وذلك أولاً، لأننا قد افترضنا أن المادة ليست فيها استعدادات متباعدة، فمن أين انطبعت هذه الصور المتنوعة في أنحاء من الفلك؟.. ومن أين في الحوامل هذه المغاربة التي فيها هذه التدابير؟.. ومن أين في التدابير هذا الجوف الذي فيه الكواكب؟.. ومن أين نزلت هذه الأفعال المتباعدة. هذه هي المعضلات والمعويضات التي حار في حلها الحائزون، وإن محل أيسر بكثير من التلف والدوران والتحايلات الملتوية كما سرى.

لقد ذكر في «المواقف» وغيرها أربعة حلول لهذه الأسئلة.

الأول: وما أروع هذا الحال، وما أبدعه حيث يكشف عن حوار الفلسفة ومعاييرها إذ يقولون، إن الحوامل والتدابير، والثوابت والسيارات والشمس والقمر إنما هي أوهام افتراضية، وأحلام خيالية لا وجود لشيء منها في الواقع وحقيقة الأمر، وإنما السماء صفة ملساء لا تدوير فيها ولا كوكب.

انظر: هل هناك حل أفضل من هذا يا للعجب، لقد نقل هذا الحال الركيك المتكلف الجونفوري ثم علق عليه قائلاً، لا أزيد على الحكاية، أى انظر ظاهرة ولا تبحث عن باطنها.

هل رأيتم عناداً كهذا الذي يرضى بكل هذا السفه وهذه السفسطة ولا يرضى

بالإيمان بالخلق المختار. وهذا الخل الأول هو الخل الحقيقي الذي رأيت حاله، أما بقية الحلول الثلاثة فإنها تستلزم الإيمان بالخلق المختار - الذي يهربون منه ما يمكن - بطريق مباشر أو غير مباشر.

ثانياً: أقول ومن خص كل قطعة من المواد المشابهة للصور النوعية ولم لم تتطبع كل صورة على كل قطعة، وقد يكرر هنا نفس الرد المار بك آنفأً أي كون ذلك من الفاعل كما ذكره السيد الشريف ثم يتوجه إليك نفس النقض الذي أسلفناه في (ب) هل الفاعل يتصرف حسب استعداد القابل وصلاحيته أم حسب استبداده وهواء).

إن العلامة السيد الشريف مسلم من أهل السنة والجماعة وبذلك نراه قد اطمئن قلبه بهذا الخل وسطره قلمه، والطوسى أيضاً ادعى الإسلام، وقد سبق به قلمه ولم يخطر بباله أن هذا الخل يهدم بنisan الفلسفة من أساسه غير أن الفلاسفة والجلونوفرى قد وقع هذا الخل على رءوسهم كصاعقة، وبذلك قال الجنوفورى الفيلسوف، قد بنى قصرًا وهدم مصرًا وبطل الدليل واثلمت أصول كثيرة.

د - وقد قام الجنوفورى بنقض هذه الحلول بأسرها، واعترف بأن هذه الإيرادات قوية للغاية ومعقدة جداً لا تتحل، وأن الأذهان حائرة في حالها وكلما أراد الفلسفة حل هذه المعضلات ازدادت معاقدها، حتى عجزوا عن آخرهم وهنا تسائل الجنوفورى، إذا كان الفلسفة قد عجزوا عن حل هذه المعضلة، فلأت ابن الفلسفة البار، ومحرز قصبات السبق في هذا المضمار، وللفلسفة فيك أمل كبير، فلتدل أنت بدلوك ولتنفذها من انهيار، غير أنها لمجدك أيضاً عاجزاً مسكتاً، معترضاً بعجزه وضيق حيلته، واقعاً في تناقض سافر، حيث قال، إن الفلكيات كرات كثيرة من مواد مختلفة، وقد اقتضت نهاية الخالق بأن تكون بعضها في جوف بعض وبعضها في ثخن البعض كما اقتضت نهاية الإلهية، أن يكون مركز البعض الذي في الثخن شاملًا للمحيط ومركز البعض الآخر لا يكون شاملًا للمحيط، ومن هنا

حدثت هذه المغارات، وإذا افترضنا أن العناية الإلهية لم تقتضي ذلك، ل كانت الأفلاك كلها غير مجوفة مثل الكرة الأرضية، فكما أن كونها جوفاء لم يؤد إلى تكثير قوة الفعل.

فكذلك هذه المغارات والتداویر لا تؤدي إلى تكثير الفعل، إنما اللازم الذي لا يختلف أبداً أن يكون السطح كروياً فحسب (أعم من أن يكون فيها مغارات وتداویر) وعدم كروية السطح هو الذي يؤدي إلى تكثير الفعل وليس مراد القوم - الفلسفه - من بساطة الفلك أن لا تكون فيه الكواكب والأجزاء (فلا منافاة بين بساطة الفلك وكونه ذا أجزاء وكواكب) أو مرادهم من بساطة الفلك أنه لا يقبل الكسر والانكسار والمزاج كما يقبل ذلك كله المواليد الثلاثة - المعادن والنباتات والحيوانات - أو مرادهم من بساطة الفلك بساطة أجزاء الفلك من الكواكب والحوامل والخواج والتداویر والتممات، أي كل جزء من هذه الأجزاء بسيطة.

أقول، هل لاحظت حيل العجز المضحكة وأفاعيل الاضطرار النادرة وما أصدق قول القائل - الغريق يتشبث بشمامته - أولاً، إن جميع الكتب المعنية بهذا الفن ناطقة بصوت مدو، أن الأفلاك بسائط، وما نحن نرى أن بساطة الفلك قد آن أوانها وحان رحيلها على لسان هذا الفيلسوف العبرى، ألا ترى أنه قال: إن الفلك ليس بسيطاً إنما البسيطة أجزاءه.

ثانياً: وإن لم تسلم المزاج فقد سلمت الأجزاء، ونستفسر هنا، هل طبيعة الأجزاء متعددة أم متباعدة، على الأول من أين هذا الاختلاف وعلى الثاني أين البساطة؟ ..

ثالثاً: لقد ذكر أن كون الفلك ذا جوف لا يؤدي إلى تكثير الفعل، كأنه من المسلمات المقررة، غير أنه ليس كذلك حيث إنه يتوجه إليه نفس النقض، وقد اعترف الجونفورى بأن افتقاء الطبيعة عدم الجوف، وبهذا قد قوى إيرادنا وازداد به استحكاما.

رابعاً: أجل! إن العناية الإلهية فعلت ما فعلت غير أن اختلاف العنايات لا يزال معضلة، فلم تباينت نسبة العنايات إلى الأجزاء ثم تعين الأجزاء والمقادير والوضع وغيرها إما أن يكون بحسب استعداد القابل أم بحسب استبداد الفاعل وهواء، والأول مستحيل، فمن أين تباين الاستعداد في المادة البسيطة وعلى الثاني يجب الإيمان بالخلق المختار.

نفهمت أن الطوسي قد هدم مصرًا، فهل سلمت منك لينة من لبنت الفلسفة فقد لعبت نفس اللعبة وقد صدق عليك تماماً، كرّاً إلى منه فرّ.

سبحان الله، انظر كيف يفرون من الإيمان بالخلق المختار، حتى كادت تنقطع أنفاس هؤلاء في حل هذه الإيرادات وعجزوا عن آخرهم، وتفوهوا بما لا ينبغي أن يصدر منهم من الأباطيل والمضحكات ولم يبق أمامهم في مقتضى العقل خيار سوى الإيمان بالخلق المختار، وقد آمنت قلوبهم وانقلب من استهتم، غير أنهم لا يعترفون بذلك لثلا ينهار قصر الفلسفة جحدوا بها واستيقنوا أنفسهم ظلماً وعلوا.

خامساً: هذا هو الحسونفورى الذى قال فى فصل الحيز من كتابه الظلمة النازفة المسمى ظلماً، «بـالشمس البازة»، وجود الجسم بدون فاعل وإن كان غير ممكن لكن نسبة الفاعل إلى جميع الأحيان على السواء فلا يمكن تعين الحيز منه ما لم يكن لطبيعة الجسم خصوصية معه.

إذا لم يمكن تعين الحيز من الفاعل ما لم يكن لطبيعة الجسم خصوصية معه فمن أين جاءت هذه التعيينات المتعددة بغير خصوصية في الطبيعة؟..

هذه قطرة من ذلك البحر الموج بالدرر الفريدة والجواهر الكريمة التي التقينا منها ببعضاً معدوداً حسب استطاعتنا وفهمنا للقاريء الكريم وإلا فكل مؤلف من مؤلفات الإمام يزخر بأمثال هذه الابتكارات الإيمانية الرائعة التي تملأ القلوب والوجودان نوراً وبهاءً والعقل والمشاهير ضياءً وسناءً.

وربما يعتقد من يرى رد الإمام على الفلسفة بهذا الأسلوب الرصين وذلك المنهج القوى أنه كان مدمداً للعلوم الفلسفية ليل نهار، والتفلسف كان شغله الشاغل، غير أن الحقيقة بخلاف ذلك تماماً كما نجد ذلك في كلماته حيث قال: لقد قرأت بعض الكتب في الفلسفة القديمة بين يدي والدى الماجد - قدس سره الشريف - حسب المقرر في المنهج النظامي - في الهند - ثم قمت بشرح بعض الدراس منها للطلبة أياماً قلائل لكن نفسى كانت نافرة من أول يوم من ضلالاتها وظلماتها.

وقد مضى خمس وأربعون سنة ولم أتفت إلى الفلسفة ولم أفتح أى كاب في هذا الفن، ولقد وفقت بعجاشه المصطفى عليه السلام أن أقوم بهذه الخدمة المتواضعة، خدمة الرد على الفلسفتين والكشف عن قباحتهم وشناعتهم وحشاظهم وضلالتهم للإخوة المسلمين كما تحدث عن نعمة الله - عز وجل - عليه، وقال في موضع آخر: إن الحديث عن هذه المسألة الدينية المهمة من مميزات كتابي هذا وخصائصه والله الحمد ، وعامة مباحث هذا الكتاب وتحقيقاته مما أنا فاض المولى القدير - عز وجل - على قلب الفقير سوى بعض الأبحاث المعدودة القليلة وهذا ليس خاصاً بهذا الكتاب فحسب بل عامة كتب الفقه زاخرة بالتحقيقـات النادرة والتدقيقـات الرائعة.

**إمامه بعلم الهيئة** قد أرسل فضيلة الشيخ العلامة ظفر الدين اليهارى من أبر وأحب تلاميذ الشيخ الإمام إلى دار الإفتاء بمقر الشيخ الإمام عموداً مقطوعاً من الصفحة الثانية لصحيفة «إكسبريس» الإنجليزية الصادرة في ١٨ أكتوبر عام ١٩١٩م لينظر فيها الإمام ويقرأ ذلك التكهن المذهل الذى أشاعه الخبير بالفلكيات ألبرت الأمريكية، فترجمت تلك المقطوعة إلى اللغة الأردية، وكانت خلاصته كما تلى:

إن سيارة عطارد، والمريخ، والزهرة، والمشترى، وزحل، ونبتون، ستقتربن في ١٧ من شهر ديسمبر، وتحتاج هذه السيارات الستة التي تفوق قوتها قوة جميع

السيارات على الإطلاق، على بعد ٢٦ درجة من الشمس وتجذبها إليها على خطوط متوازية، ولا تزال تقابلها شيئاً فشيئاً حتى تم المقابلة على الصورة الكاملة. وبأيادي معها الكوكب يورينس، ولم يحدث مثل هذا الاجتماع في تاريخ فن الهيئة إلى الآن. وستنشأ بذلك موجة عامة وتيار مغناطيسي قوى، من جرم كوكب يورينس والسيارات الستة هذه، فتشق في وجه الشمس كرمح كبير، وإن قران هذه السيارات الستة العظيمة الذي لم يعهد مثله منذ ألفي قرن، سيعرض الولايات المتحدة بعواصف هوجاء، مدحشة ويدمرها تماماً.

وهذا الكلف سيظهر في وجه الشمس في ١٧ من ديسمبر ويرى مكتشوفا للعيون بلا معاونة تلسكوب، ومثل هذا الكلف لم يعهد في حين من الأحيان وهذه البقعة التي ستحدث في جانب من الشمس ستؤدي إلى هزات عنيفة في الكرة الهوائية وبالتالي تحدث حواصف شديدة والرعد العنيف، والمطر الغزير، والزلزال والهزات، ولا يستتب الهدوء والسكون في كرة الأرض إلا بعد أسابيع.

ولقد أحدثت هذه الإشاعة الكاذبة غير العلمية هرجاً ومرجاً في المجتمع الهندي وأوقعت الناس في قلق عنيف وذعر فظيع، غير أن الشيخ الإمام قد قام برد علمي متين على هذه الشائعة التي نشرها البروفيسور البرت، فهدأت الأحوال وقررت العيون بتحقيق المؤلف العلام.

ونشر هذا التحقيق الممتع في مجلة «الرضا» الشهرية في عدد صفر وسبعين الأول عام ١٣٤٨ الموافق ١٩٢٩هـ وكانت قد نالت هذه المقالة العلمية قبولاً عظيمًا في جميع الأوساط، ويتألف هذا الرد من سبعة عشر دليلاً قوياً.

واستفاد الإمام في ذلك بجميع ما كتب كل من الراهب شيز والعلامة قطب الدين الشيرازي، وأبن ماجة الأندلسي، وهرشل الأول، وهرشل الثاني، وهمست كوسكي، وارجس لانك من خبرات وتجارب وأحاط بجميع تجارب مشاهدات الماضي والحال، كما استعان بذكاءه الحاد وفكره المستثير، وقد أثبتت السابع عشر

من شهر ديسمبر كذب تكهن أليرت وقد أصاب ف ياجتهاده - بفضل الله تعالى -  
الشيخ الإمام.

فإليك خلاصة دليله الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر.

الخامس عشر، لا حاجة لوقوع هذا الكلف في الشمس إلى الاتزان والاجتماع  
فإن السيارات لم تزل على مقربة من الشمس بل تجذبها دائمًا كما زعمتم فعلى  
زعمكم يجب أن تشتعل النيران بصفة دائمة بلا توقف، ولعل قائلًا يقول، بأن  
السيارات لا تستطيع أن تؤثر في جرم الشمس تأثيراً مركزاً إذا كانت متبااعدة  
بخلاف القرآن فإنه في هذه الحالة تتركز قوى الجميع على موضع واحد بشكل  
موحد، وهذا ما يؤدي إلى اشتعال النيران وشبوب الحرائق.

سلمنا، غير أن آثار السيارات لا تكون مركزة على موضع واحد من جرم  
الشمس لأنها منتشرة على مسافة ٢٦ درجة ٢٣ دقيقة فتفع آثار السيارات متفرقة  
منتشرة لا مركزة، فلم قلتم إن الشمس تتضرر، بهذه المسافة التي زعمتموها قصيرة،  
ليست بقصيرة في الواقع، فإننا لو فرضنا خطأً مبتدأً من مركز الشمس مارً بمراكب  
السيارات لبلغ طول الخط إلى أكثر من بليون ميل؛ لأن جرم الشمس يبعد عن  
كوكب نبتون ثلاثة ضعفًا من بعد الشمس عن الأرض فلنطرح الزيادة على  
الثلاثين ولنأخذ الثلاثين فقط فقد بلغ على بعد ما بين نبتون والشمس إلى بليونين  
وسبعين مائة وسبعة وثمانين مليون ميل، ومسافة قطر المدار، خمسة بلايين وخمس  
مائة وأربعة وسبعين مليون ميل، ومسافة المحيط أكثر من سبعين بليوناً وخمس  
مائة و مليونين، ومائتي ألف ميل، ولا شك أن ٢٦ درجة و ٢٣ دقيقة ستتصبح هنا  
بليون ميل ومائتي مليون، وثلاثة وثمانين مليوناً وثلاثة مائة ألف وستة وأربعين  
ألف ميل.

فكيف يسوغ في عقل عاقل تأثير نبتون بشكل موحد في جرم الشمس مع انتشار  
قوته في هذه المسافة المذهلة ولعلك تلاحظ أنت لم تعتبر اختلاف العرض بعد.

بل لو فرضنا اجتماع هذه السيارات على أقرب فلك إلى الشمس وهو عطارد فإنه بعد هذا الفرض البخلي أيضاً تبعد الشمس عن عطارد ثلاثين مليوناً وستة ملايين ميل تقريرياً ثم قطر المدار ثمانون مليون ميل تقريرياً والمحيط سبعة وعشرون مليون ومائة وخمسة وتسعون ألف ميل ولا غرو أن ٢٦ درجة و ٢٣ دقيقة قد أصبحت ستة عشر ونصف مليون، وخمسة وخمسين ألفاً ومائة وثلاثة وسبعين ميلاً، فهل تزعم بعد هذا أن هذه المسافة قليلة؟

بل لو فرضنا تجمع هذه السيارات على قرص الشمس نفسها فإن المسافة لا تزال هائلة بعد إذ المسافة تبقى حيثذاك مائتي ألف تقريرياً لأن دائرة قرص الشمس تساوي سبعة وعشرين مليوناً، وأثنين وعشرين ألفاً، وثلاث مائة وواحد وستين ميلاً.

السادس عشر- سلمنا أن جرم ضعيف المسام بحيث يقبل هذه الضربات المتباudeة الشديدة بعد ثم تسري من قرصها وتتجمع في موضع واحد، نقول سلمنا هذا لكنه لم لم تضرر الشمس بالكواكب التي تجاور الشمس في عامه الأحيان على بعد خمسين أو ستين أو سبعين أو مائة درجة ولم لا تحطم ضرباتها الموحدة جرم الشمس، لو قيل إن هذه المسافة مائعة لوصول موجاتها إلى وجه الشمس، نقول فالمسافة هنا أبعد مما هناك لأن المسافة هنا ١٨٠ درجة.

ثم هذا القرآن الذي ادعاه ألبرت بين يوريش وغيرها ليس أمراً محققاً بل هو حساب تقريري، فلا يتم هذا القرآن على خط واحد بدقة على وجه التحقيق.

السابع عشر- سلمنا أن كلهم مستقيم وصواب ولكن ما علاقة الزلازل والعواصف والرعد والأمطار بثقب الشمس وكلفها، أليس هذا الادعاء مثل تكهنات العرافين وأكاذيب النجوميين الذين يربطون حوادث العالم بالأنواء والنجوم وقد اعترف لهم بيطلانها وهي فعلاً من الأباطيل، ثم هل الشمس صناعة أمريكية أو مواطن أمريكي لشخص أضرارها بالولايات المتحدة ولم لا تتجاوز أضرارها إلى بقية البلدان ولنا على ادعاء المنجم مواجهات أخرى لم نوردها، فيكتفى للسابع عشر من ديسمبر السبعة عشر لما بينهما من التناسب.

وللمؤلف السلام حاشية نافعة تسمى، «المعتمد المستند بناءً شجاعة الأبد»، على كتاب جامع عظيم المقدار في باب العقيدة الإسلامية سمي - «المعتقد المستند»، لصاحب التصانيف الكثيرة العالم الرباني بحر الشريعة والطريقة، العلامة فضل الرسول القادرى البركاتى البدايونى ، رحمة الله تعالى رحمة واسعة ونفعنا الله ببركاته.

وكلاماً باللغة العربية.

وأود أن أتقط هنا بعض المواقف للشيخ الإمام أحمد رضا خان الحنفى من بعض المسائل العقدية التي كثر فيها القيل والقال، واشتد النزاع والجدال، ولم يكن مؤلفنا ليقلد في أمور العقيدة لما كان يتمتع باستقلالية الفكر، واستيعاب للأصول، والفروع، وإحاطة شاملة بمواقف القوم ومسارיהם، فإليكم جانبًا منه.

هل في العقيدة ما يدرك بالعقل المحسن، قال ، إن مسائل العقائد منها ما يدرك بالعقل وحده كقولنا، إن للعالم صانعاً، وله كلاماً والرسول حق، إذ لو أثبتت أمثال هذا السمع لدار، ومنها ما يدرك بالسمع وحده كحشر الأجساد والثواب والعقاب في المعاد، ومنها ما يدرك بكل كتوحيد الله تعالى فافهم.

**موقف المؤلف العلامة في التصوص الموهمة للتتشبيه**، أقول، يجب عليك هنا التنبه للحقيقة، وهو أن الإجراء على الظاهر، قد يطلق، ويراد به الظاهر المفهوم لنا المت Insider إلى أذهاننا، حسب ما نعهد فينا وفي أمثالنا من يد وأصبع من لحم وعظم، ذواتي طول وعرض وعمق وتجز وتركيب، ونزوء، بحركة من فوق ل beneath، وانتقال من حيز إلى حيز وهذا ما أجمع على تفيه أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً، وقد يطلق ويراد به ترك التأويل أي مجرى النص على ظاهره ونؤمن بأن له تعالى يداً تليق به كما يعطيه النص، ولا نقول إن اليد يعني القدرة كما يختاره أهل التأويل ولكن نؤمن أن يده تعالى متعلقة عن الجسمية، والتركيب ومشابهة الخلق، وعن أن يحيط بها عقل أو وهم، بل هي صفة من صفاته القديمة القائمة بذاته

الكريمة لا علم لنا بمعناها وهذا هو مسلك الأئمة المتقدمين وهو المختار المعتمد الحق المبين وهو معنى ما يقال من الجمع بين التنزية والتشبيه، فالتنزية حقيقة والتشبيه لفظاً، وذلك أن لا اشتراك بين شيء من صفاته وصفات خلقه إلا في الاسم ولله المثل الأعلى.

ولقد اشتدت وكبرت في عصرنا مذلة بعض من يدعى البلوغ مبلغ الرجال، ويدعى في العوام من أهل الكمال فادعى أن الإجراء على الظاهر بالمعنى الأول هو الحق من المقال، وبه نقول أئمة السلف والعياذ بالله ذي الجلال، فلا والله ما هو إلا ضلال أي ضلال نستجير بذليل رحمة ربنا من المهاوى والمزال، والحمد لله المجير المتعال.

وقال في موضع آخر، وهو يبدي موقفه من نسبة الفرح والرضا والغضب إلى المولى عز وجل كما وردت في الأحاديث النبوية الشريفة، قال : نفي المبادئ وإثبات الغایيات على ما عليه المؤاخرون فإن للغضب مثلاً مبدأً وهو هيجان الدم وثوران القلب وغاية، وهو إرادة الانتقام وقصد الإسلام فالمراد بالغضب فيه سبحانه هذا لا ذاك - أقول أي من دون حدوث إرادة لأنها صفة القديمة وإنما الحادث ظهور تعلقها بالمراد، والحق عنده، ما عليه أثمننا إنما آمنا به كل من عند ربنا، لا نقول بالظاهر، ولا نخوض في البصائر، ونكل العلم إلى العليم القادر.

هل الغنى عن المؤثر والوجوب الذاتي، متراجدان، قال ، أقول، الغنى عن المؤثر يساوي الوجوب الذاتي . والوجوب الذاتي لا يقبل الشماعه ونفي الغيرية المصطلحة لا ينفيه والحق الحقيق بالقبول المستقر عليه رأي الفحول، كالإمام الرازى والعلامة سعد وغيرهما ما ألقينا عليك من قبل إن الصفات واجبة للذات بالذات لا بالذات مستندة إلى الذات لا على وجه الخلق والأحداث بل على جهة الاقتضاء الذاتي الأزلى، والافتقار في الوجود والقيام والممكن وكذا الحادث الذاتي أعم من الزمانى مطلقاً والقديم من الممكن من وجہ بید أنا لا نطلق الحدوث إلا في الزمانى

كما لا نقول المخلوق إلا عليه لأن الخلق هو الإيجاد بالاختيار فاحفظه فإنه هو الحق وبه تحل الإشكالات جميعاً، وبالله التوفيق.

هل القضاء المبرم يرد بالدعاء، قال، أقول أخرج أبو الشيخ في كتاب الثواب عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - قال، قال رسول الله ﷺ، أكثر من الدعاء فما الدعاء يرد القضاء المبرم، وأخرج дилиمی في مستند الفردوس عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - وابن عساكر عن ثمير بن أوس الأشعري مرسلاً كلامها عن النبي ﷺ قال : الدعاء جند من أجناد الله مجند يرد القضاء بعد أن يبرم .

وتحقيق المقام على ما ألمحني الملك العلام أن الأحكام الإلهية التشريعية كما ثانى على وجهين، (١) مطلق عن التقيد بوقت كعامتها و(٢) مقيد به كقوله تعالى: «فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبَيْتِ حَتَّى يَتَرَفَّأُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» ، فلما نزل حد الزنا، قال ﷺ خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلاً الحديث رواه مسلم وغيره عن عبادة رضي الله تعالى عنه، والمطلق يكون في علم الله مؤيداً ومقيداً وهذا الأخير هو الذي يأتيه النسخ فيظن أن الحكم تبدل لأن المطلق يكون ظاهره التأييد حتى سبق إلى بعض الخواطر أن النسخ رفع الحكم وإنما هو بيان مدته عندنا، وعند المحققين كذلك الأحكام التكوينية سواء بسواء فمقيد صراحة كأن يقال، الملك الموت عليه الصلاة والسلام اقيض روح فلان في الوقت الفلاحي، إلا أن يدعوه فلان، ومطلق نافذ في علم الله تعالى وهو المبرم حقيقة ومصروف بدعاه مثلاً وهو المعلم الشبيه بالمبرم فيكون مبرماً في ظن الخلق لعدم الإشارة إلى التقيد معلقاً في الواقع فالمراد في الحديث الشريف هو هذا أما المبرم الحقيقي فلا راد لقضاءه، ولا معقب لحكمه وإلا لزم الجهل تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً، فاحفظ هذا فلعملك لا تجده إلا منا وبالله التوفيق.

قضية تكفير المنكريين لما علم من الدين بالضرورة، أقول تحقيق المقام: إن أكثر الحنفية ينكرون بيانكار كل مقطوع به كما مصريح به في «رد المحتار» وغيره

وهم ومن واقفهم هم القاتلون بإنكار كل مجتمع عليه، بعد ما كان الإجماع قطعياً نacula ودلالة ولا حاجة إلى وجود النص، والمحققون لا يكفرون إلا بإنكار ما علم من الدين ضرورة. بحيث يشترك في معرفته الخاص والعام المخالفون للخواص، فإن كان المجتمع عليه هكذا كفر منه وإن لا، ولا حاجة عندهم أيضاً إلى وجود نص فإن كثيراً من ضروريات الدين ما لا نص عليه كما يظهر بمراجعة «الإعلام» وغيره فالتحقيق بوجود النص ضائع على القولين فاعرف.

هل النبي سيدنا محمد ﷺ أفضل العالمين، قال الحق أن تفضل نبينا ﷺ على العالمين جميعاً مقدوع به مجتمع عليه، بل كاد أن يكون من ضروريات الدين، فإني لا أعلم يجهله أحد من المسلمين، فاعرف وثبت، وقد بينت في كتابي «تجلي اليقين بأن نبينا سيد المرسلين» إن خلاف المعتزلة أيضاً في غيره عليه السلام، من الأنبياء السابقين فقالوا بتفضيل الملائكة عليهم صلوات الله تعالى عليهم أجمعين، أما هو عليه السلام فأفضل منهم جميعاً بإجماع بلا نزاع، أما الرزمخشي فقد سمه نفسه وجهل منهبه كما نبه عليه العلامة الزرقاني في «شرح المواهب اللدنية».

هل صفة الله عز وجل عين الذات، قال بعد إبراد المذاهب ومناقشة أدلةها، وبالجملة فالذي نعتقد في دين الله تعالى أن له - عز وجل - صفات أزلية قديمة قائمة بذاته - عز وجل - لوازن لنفس ذاته تعالى ومتضمنات لها بحيث لا تقدير للذات بدونها وهي المفتقة إلى الذات لأنها باقتضاءها وقيامتها بها وهي الكمالات الحاصلة للذات بتنفس الذات فلا مصدق لها إلا الذات فلها حقيقة بها هي هي وهي المعانى القائمة القديمة المقتضيات للذات، وحقيقة بها هي وما هي إلا عن الذات من دون زيادة أصلًا، فافهم وثبت وإياك أن تزل فإن المقام مزلة الأقدام وبالله التوفيق وبه الاعتصام.

هل أبووا النبي ﷺ كانوا من أهل الإيمان، قال: ونص الإمام الرازى في «أسرار التأويل» وغيره من المحققين حتى المولى بحر العلوم في «القوائح بأسلام آباء»

الأنبياء وأسلافهم جميعاً من الأقربين إلى آدم وحواره عليهم الصلاة والسلام وقد أثبت ذلك الإمام الجليل الجلال السيوطي في نيسنا ج 1 ص 15.

وللعبد فيه رسالة مستقلة سميتها ... «شمول الإسلام لأصول الرسول الكرام» فهذا الذي نحب أن ندين الله به. أما آزر فعم كما نص عليه الإمام ابن حجر في «شرح أم القرى» وغيره في غيره والعرب تسمى العم أبا : «**قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكُمْ وَإِلَهُنَا إِلَهٌ أُنْتُمْ إِنَّا نَعْبُدُ إِلَهَكُمْ وَإِلَهُنَا إِلَهٌ أَنْتُمْ**». آباءك إبراهيم وأسماعيل وإسحاق».

وقال في موضع آخر، في هذه المسألة، وبالجملة فقد ظهرت لنا بحمد الله تعالى على إسلام الآباء الكريمين رضي الله تعالى عنهم دلائل ساطعة لم تبق لأحد مقالا ولا لريب والشك مجالا، والخلاف لم يخف علينا ولكن إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ولله الحمد.

اجتهاد راشد في آية نيس «كمثله شيء»، قال، وأنا أقول - يظهر لي - والله سبحانه وتعالى أعلم - أن الكريمة كأنها دعوى مع بينة وذلك، أنه سبحانه واجب الوجود - فهو مستحيل الانتفاء - ولو كان له مثل لكان هو مثل مثله بالضرورة، لكنه لا مثل له فوجب أن لا يكون له مثل وإنما انتفاء الواجب وهو محسن، وبعبارة أخرى، في صفات الإله - عز وجل - ما لا يقبل العقل اشتراكه بين الاثنين فلو كان له سبحانه مثل لا تصف بهن فتعالي عن المثلية، وتعالي المثل عن المثلية باطل صريحة فلزم أن لا يكون له تعالي مثل أصلا - فعلى هذا لا زيادة ولا تأويل والله أعلم بمراد التنزيل. موقف المؤلف العلام، من تنزييع كلام الله - عز وجل - إلى النفيسي واللفظي، قوله في هذه المسألة رسالة نفيسة مسماة بـ «أنوار المنان في توحيد القرآن»، قال، والحق عندنا أن التنزييع إلى النفسي واللفظي إنما مال إليه المتأخرون، إفحاماً للمعترضة وإفهاماً للعقل السافلة، كما اختاروا في المشابهات مسلك التأويل، وإنما المذهب ما عليه أئمة السلف.

إن كلام الله تعالى واحد لا تعدد فيه أصلًا لم ينفصل ولن ينفصل عن الرحمن، ولم يحل في قلب ولا لسان، ولا أوراق ولا آذان، ومع ذلك ليس المحفوظ في صدورنا إلا هو ولا يتلو بأفواهنا إلا هو ولا المكتوب في مصاخصنا إلا هو، ولا المسموع بأسمعتنا إلا هو لا يحل لأحد أن يقول بحدوث المحفوظ يتلو المكتوب المسموع، إنما الحادث نحن وحفظنا وأستنا، وتلاوتنا، وأيدينا، وكتابتنا، وأذاننا، وسماعتنا، والقرآن القديم القائم بذاته تعالى، هو التجلي على قلوبنا، بكسوة المفهوم وأستنا بصورة المنطوق، ومصاخصنا بلباس المنشوش، وأذاننا بذي المسموع فهو المفهوم المنطوق المنشوش المسموع ، لا شيء آخر غيره دالا عليه، وذلك من دون أن يكون له انفصال عن الله سبحانه وتعالى أو اتصال بالحوادث أو حلول في شيء مما ذكر وكيف يحل القديم في الحادث، ولا وجود للحادث مع القديم إنما الوجود للقديم وللحادث منه إضافة لتكريم - ومعلوم أن تعدد التجلي لا يقتضي تعدد التجلي.

دم بد م كرلياس كشت بدل ، شخص صاحب لباس راجه خلل عرف هذا من عرف، ومن لم يقدر على فهمه فعليه أن يؤمن بالله وسائر صفاته، من دون إدراك الكنه، وبعض تحقيق المرام في كلمات السادة الأعلام كالمطالب الوفية للمولى العارف بالله سيدني عبد الغني النابلسي وغيرها من كلمات حملة العلم القدسية، رضى الله عنهم ورحمتنا في الدارين بهم ، آمين.

هل يجوز إفراد وصف الله عز وجل بيارادة الشرع، قال، إن مناط المنع إفراد الوصف بيارادة الشر، وعند الجمع لا بأس به، جملة وتفصيلاً، كان يقول إنه تعالى هو الذي يريد الخير والشر، والإيمان والكفر، أو يقول إن الكفر أيضًا لا يقع إلا بيارادته سبحانه وتعالى كالإياع، أو يقول قائل لا إيمان إلا بشيشته عز وجل فتقول ولا كفر، أما أن تبتدئي قائلًا يا مرید الشرور ونحو ذلك فهو المحظور، وفيه المحذور وهذا كله من باب الأدب في الكلام على وزان ما أفاده من جواز أن يقال،

الله الباسط ، القابض النافع الضار المانع المعطي ، السراغن الخافقن ، المعرز المذل ،  
المحبي المميت المقدم المؤخر ، الأول الآخر ، ولا يقال ، الله الضار ، القابض ، المانع  
الخافقن ، المذل المميت المؤخر الآخر كما نقله الإمام البيهقي في كتاب «الأسماء  
والصفات» ، عن الإمامين الحليمي ، والخطيب في «الباسط القابض» وقشت عليه  
النافع الضار ، ثم رأيته رحمة الله صرخ به فيهما وفي كل ما ذكرت نخلا عن  
الحليمي إلا الأخير وهو كما ترى أولى بالمنع من المؤخر ثم هذا القول هو المختار ،  
عندى وبه يشعر كلام المصنف العلام - أى العلامة فضل الرسول القادرى البركانى  
البدايونى رحمة الله تعالى ونفعنا ببركاته حيث قدمه . والله تعالى أعلم .

وأرجو من المولى - عز وجل - أن أكون قد وفقت في نستبي حيث أردت أن  
أوقف القارئ الكريم على بعض المواقف الت婢ة من حياة هذا المجاهد الشجاع الذي  
وهب كل شيء في سبيل حب الله - عز وجل - وحب رسوله الكريم عليه أفضلي  
الصلوات التسليم .

وصلى الله تعالى على خير خلقه وعلى الله وأصحابه وبارك وسلم .

محمد جلال رضا

كلية أصول الدين (قسم التفسير)

جامعة الأزهر الشريف

القاهرة - مصر

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نود أن نوضح للسادة العلماء - أدام الله تعالى بر كاتبهم - أن زيداً الفلسفى قد ألف كتاباً فى فن المنطق، وهو يدعى انتقامه إلى أهل السنة والجماعة، ويزعم انتسابه إليهم بل يعد نفسه أكثرهم علماء وأوسعهم معرفة، ويزدرى العلماء الآخرين ويحقرونهم. ألف الكتاب المذكور وشحنته بخرافات الهيولى وتراثات قدم العقول العشرة وأباطيلها وغير ذلك من الأوهام الفلسفية، ومزاعم الفلاسفة. وأحضر - بصفتى خادماً لسنة المطهرة - بعض الأقوال المتقطعة من هذا الكتاب إلى جانب السادة العلماء نصرة للملة الطاهرة.

القول الأول: التحقيق<sup>(١)</sup> أنها ليست الطبائع كلها مجردة محسنة لكن للطبائع المرسلة في باب التجدد والمادية مراتب إلى أن قال - السابعة مرتبة الماهيات المجردة بالكلية لا تعلق لها بالمادة تعلق التصويم، أو الخلول، أو التدبير، والتصرف، ولا تعلق لها إلا تعلق الخلق والإيجاد مثلاً وهي حقائق المفارقات القدسية كالمعقب

(١) لقد قسم القوم العالم إلى أقسام، ولشرح هذه العبارة أنقل : إن النظر في ملكون السموات والأرض لا يكون إلا بعد معرفة أقسامها وتفصيل الكلام في شرح أقسامها أن يقال كل ما سوى الله تعالى فهو إما أن يكون متخيلاً أو حالاً في التخيير أو لا متخيلاً ولا حالاً في التخيير أما المتخيير فإما أن يكون بسيطاً وإما أن يكون مركباً، أما البساط فهو إما علوية وإما سفلية، أما العلوية فهي الأفلاك والكواكب ويتدرج فيما ذكرناه العرش والكرسى، ويدخل فيه أيضاً الجنة والنار والبيت المعمور والسقف المرفوع واستقصى في تفصيل هذه الأقسام وأما السفلية فهي طبقات العناصر الأربع ويدخل فيها البحار والجبال والمقاور، وأما المركبات فهي أربعة: الآثار المعلوقة والمعادن والنبات والحيوان، واستقصى في تفصيل أنواع هذه الأجناس الأربع وأما الحال في التخيير وهي الأعراض فيقرب أجناسها من أربعين جنساً ويدخل تحت كل جنس أنواع كثيرة ثم إذا تأمل العاقل في عجائب أحکامها ولو ازتمها وأثارها فكانه خاضن في بحر لا ساحل له، وأما القسم الثالث وهو أن الموجود لا يكون متخيلاً ولا حالاً في التخيير فهو قسمان: لانه إما أن يكون متملاً بأجسام بالتدبر والتخيير وهو المسمى بالأرواح، وإما أن لا يكون كذلك وهو الجواهر القدسية المبرأة من علاقات الأجسام أما القسم الأول فاعتلامها وأثرها، الأرواح الشسانية المقدسة الخامدة للمرش كما قال تعالى، «ويحمل عرش ربك فرقهم يومئذ ثمانية». ويتلوها الأرواح المقدسة المشار إليها بقوله سبحانه: «وتقري الملائكة حلقين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم».

القدسى وسائل العقول العشرة<sup>(١)</sup> والحقيقة الواجبة، إلى آخره ملتفطاً من ص ٢٥٠ إلى ص ٢٥١.

وقد تعرض المؤلف المذكور لهذه القضية في رسالة له تسمى «القول الوسيط» فقال «العلة الجاعلة يجب كونها واجبة الوجود أو يمكن كونها ممكنة؟ المشهور

(١) العقول العشرة عند الفلاسفة، كما نقل عنهم حجية الإسلام الإمام الفرازى في كتابه الشهير «تهافت الفلسفه» إن الموجودات تنقسم إلى ما هي في مجال كالأعراض والصور وإلى ما ليست بمحال كالموجودات التي هي جواهر قائمة بأنفسها، وهي تنقسم إلى ما يؤثر في الأجسام وتنسماها فهو إرث وإنما ما لا يؤثر في الأجسام ينبع في التفوس وتنسماها عقولاً مجردة. أما الموجودات التي تخل في المجال كالأعراض فهي حادثة ولها هيل حادثة وتنتهي إلى مبدأ هو حادث من وجده دائم من وجده وهي الحركة الدورية وليس الكلام فيها، وإنما الكلام في الأصول القائمة ينبعها لا في مجال وهي ثلاثة، أجسام، وهي أنسابها وعقول مجردة وهي التي لا تتعلق بالأشياء لا بالعلاقة الفعلية ولا بالانطباع فيها وهي أشرافها وتفوس وهي أوسطها فإنها تتعلق بالأشياء نوعاً من التعلق وهو التأثير والنفع فيها فهي متوسطة في الشرف فإنها تتأثر من العقول وإنما في الأجسام ثم الأجسام عشرة تسع سمات والعشر الماء التي هي حشو مقدم ذلك القمر، والسمات التسع حيوانات لها أحجام وتفوس ولها ترتيب في الوجود كما ذكر، وهو أن المبدأ الأول فاض من وجود العقل وهو موجود قائم بنفسه ليس بجسم ولا منطبع في جسم يعرف نفسه ويعرف بهذه وقد سمي بهذه العقل الأول ولا مشاحة في الأسمى سمي ملكاً أو عقاً أو ما أريد ويلزم عن وجوده ثلاثة أمور عقل، ونفس، ذلك الأنصب وهي السماء التاسعة وجرم ذلك الأقصى. ثم لزم من العقل الثاني عقل ثالث ونفس ذلك الكواكب وجرم ثم لزم من العقل الثالث عقل رابع ونفس ذلك زحل وجرم وجرم ويلزم من العقل الرابع عقل خامس ونفس ذلك المشتري وجرم وهو كلنا حتى انتهى إلى العقل الذي لزم منه عقل ونفس ذلك القمر وجرم.

والعقل الأخير هو الذي يسمى العقل الفعال، ولزم حشو ذلك القمر وهي المادة القابلة للمكون والفساد، من العقل الفعال وطبائع الأخلاق. ثم إن المزاد تتزوج بسبب حركات الكواكب لمزيجات مختلفة يحصل منها المعادن والثبات والحيوان ولا يلزم أن يلزم من كل عقل عقل إلى غير نهاية لأن هذه المقول مختلفة الأنواع فنما ثبت لواحد لا يلزم للأخر. فخرج منه أن العقول بعد المبدأ الأول عشرة والأفلال تسعه ومجموع هذه المبادئ الشريفة بعد الأول تسعه عشر. وحصل منه أن تحت كل عقل من العقول الأول ثلاثة أشياء عقل ونفس ذلك وجرم فلا بد وأن يكون في مبدأه ثالث لا محالة، ولا يتصور كثرة في المحلول الأول إلا من وجده واحد وهو أنه يعقل مبدأه ويعقل نفسه وهو باعتبار ذاته يمكن الوجود لأن وجوب وجوده بغيره لا ينبع منه معانٍ ثلاثة مختلفة والأشرف من المعلومات الثلاثة يعني أن ينبع إلى الأشرف من هذه المسائل فيصدر منه العقل من حيث إنه يعقل مبدأه، ويصدر نفس ذلك من حيث إنه يعقل نفسه ويصدر جرم ذلك من حيث إنه يمكن الوجود بلاته، ذكره الفرازى ورد عليه وسخر منه، تهافت الفلسفه ص ٩٣. محمد جلال رضا.

الثاني فيما بين الحكماء لكن المحققين منهم نصوا أن العلة المؤثرة بالذات هو البارى، والعقول كالوسائل والشروط لتعلق التأثير الواجب بغيرها كيف والماهية الإمكانية إنما وجودها بالاستعارة من الواجب فهو المعطى بالذات الوجودات، فإن إعطاء المستعير ليس إعطاء حقيقة، وإنما هو إعطاء من تلقاه الماكل كما أن استناد إضاءة العالم إلى القمر ليس حقيقة بل بحسب الظاهر وإنما هو مستند إلى الشمس، والقمر واسطة محضة لانتقال ضوءها إلى العالم نالمير بالذات هي لا هو فعلية الممكن ظاهرة مجازية فهذا الوجود الضعيف يصلح علة بمعنى الواسطة والشرط والمتمم والآلية لا مفيدة للوجود حقيقة وقد استوفى التحقيق في مقامه إلى آخره ملخصاً ص ٢.

ويتلوها سكان الكرسي ولهم الإشارة بقوله، «من ذا الذي يُشفعُ عنده إلا  
يُاذنه يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شاءَ  
وَسَعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ». ويتلوها الأرواح المقدسة في طبقات  
السموات السبع، وإليهم الإشارة «وَالصَّافَاتُ صَفَا \* فَالْأَجْرَاتُ زَجْرَا \*  
فَالْتَّالِيَاتُ ذَكْرًا»، ومن صفاتهم أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويسبحون الليل  
والنهار لا يفترون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

تفسير الفخر الرازى المشتهر بـ«التفسير الكبير».

المجلد الثامن سورة الأعراف، ص ٨٣، ٨٢.

محمد جلال رضا

القول الثاني: المسألة القائل بأن كل حادث مسبوق بمادة مخصوصة بالحادث  
الزمانى والمادة حادث ذاتى. إلى آخره مختصرًا ص ٢٥٥.

القول الثالث: الصورة الجسمية والنوعية أيضًا من الحوادث الذاتية ص ٢.

القول الرابع. السرديات، والثابتات الدهرية كالعقل والتفوس القديمة إلى  
آخره ص ١٥.

القول الخامس . كتب وهو يتحدث عن وجود الكلى الطبيعي في الخارج، أعلم! أن الباقر<sup>(١)</sup> استدل على هذا بأن طبيعة الحيوان المرسل ليس متعلق الذات بمادة ومرة فلما يكون ومرهون الوجود بالإمكان الاستعدادي فالإمكان الذى هناك، ملاك فيضان الوجود، فإذا كان هذا الحيوان المتعلق بالمادة فائض الوجود فالمرسل أحق بفضان لاستحقاق الإمكان الذاتي، وحاصله أن الحيوان المطلق مستحق للوجود بإمكانه الذاتي والحيوان الخاص الجزئي يتوقف في وجوده على استعداد ومادة وغواصيتها فالمطلق الكلى أحق بفضان الوجود فلا يرد ما أورده بعض الكتاب بأن الإمكان علة اقتصار علة الجعل فأحقيقة الفيض لا يستلزم الفعلية، لم لا يجوز أن الطبيعة لقصورها وعدم قابليتها ما استفاض الوجود؟ انتهى . ثم هذا القول مردود بوجوه، أن أحقيه الفيض مستلزمة للفعلية لأنه لا يخل من جانب المبدأ الفياض فلو لم يوجد الأحق واستفاض منه غير الأحق لزم ترجيح المرجوح إلى آخره، مختصرًا ص ٣٤٩.

القول السادس: واضح أن الفلسفه قسموا المفهوم إلى جزئي وكلى فوجه إليهم إيراد مؤداء أن الجزئي المجرد لا يدرك إلا بعنوان كلى والمادى لا يمكن ارتسامه فى العقل المجرد والمفهوم ما حصل فى العقل، وقد حاول زيد توضيح هذه القضية بكلام مسهب فقال العواب إننا لا نسلم أن الجزئي المادى يدرك بعنوان كلى بل ذلك هو التحقيق<sup>(٢)</sup>، عندنا لأن العقول العشرة عندهم مبرأة عن جميع شوائب

(١) أقول: إن إطلاق كلمة «المبدأ الفياض» على الله جل جلاله فيه نظر وذلك بوجوه أولاً: «إن لفظ المبدأ لم يرد في الشرع، ولكن ورد لفظ آخر يشبهه شكلاً، وهو مبدئ من باب إكرام ثانياً إن المبدأ يطلق على جانب من امتداد الكم المتصل أو المنفصل الذي يبدأ منه الحركة أو العدد متلاً فكان هذا اللفظ موهماً، ثالثاً، كذلك لفظ الفياض حيث إنه لم يرد في الشرع رابعاً، إن إطلاق صيغة المبالغة على المولى جل جلاله متوقف على السماع، خامساً، إن هذه الكلمة تحمل معنى آخر في اللغة يستحيل على المولى جل جلاله كما في القاموس، فاض، أي هلك، والفياض كثير الهلاكة. سلطان أحمد خان السائل.

(٢) أقول: لا يخفى قلق العبارة هتها، ومقصوده أن الجزئي المادى له تدركه العقول بوجه جزئي بل ذلك إلى آخره، سلطان أحمد خان السائل.

النقص والقبح ومقدسة ومنزهة عن سائر القبائح والنقائص والجهل أشد القبائح فلا يعزب عن علمها ذرة من ذرات الموجود في العالم كلياته وجزئياته ومادياته وب مجرداته فلا يمكن أن لا يعلم العقل الأول مثلاً شخصيات الموجودات وإنما الجهل فيه، إلى آخره، بقدر المقصود ص ٢٠٦.

القول السابع: المذهب المحقق عند المحققين أن الأعدام اللاحقة الزمانية ليست أعداماً حقيقة بل العدم اللاحق غيبوبة زمانية بناءً على ما ثبت من وجود الدهر المغير عنه بذاته الواقع الذي يسع كل موجود وعلى هذا فالاعدام السابقة على الوجود إذا كان الحادث<sup>(١)</sup> متحققاً في جزء من أجزاء الزمان أيضاً غيبوبات زمانية والعدم الحقيقي إنما هو بالارتفاع والبطلان من صفة الواقع فلا يكون العدم باتفاقه عن كل جزء<sup>(٢)</sup> من أجزاء الزمان كما في السردديات المتعالية عن الزمان والسفر وبالجملة على هذا التحقيق لا يكون الزمانيات معدومة عن الواقع بل عن وقت وجوده إلى آخره ملخصاً من ص ١٥.

القول الثامن: قد أشاد فيه بمضامين الكتاب وأثنى عليها ثناء بالغا حتى قال إن لهذا المؤلف من القوة والتأثير ما للملك بل هو ملك نفسه وهذا الكتاب له تأثير فعال في تصفيق اللذهن، ومضامينه نافعة جداً في تنوير الفكر كما أشاد بمحفوبيات الكتاب في خطبته قائلاً: إن محتويات هذا الكتاب باللغة في اكتفاء المحقائق ومتصلة بالتدقيق الفصيح والتحقيق الصريح وسمى كتابه هذا «المنطق الجديد لناطق آناله الجديد» وهو الاسم المطبوع على واجهة الكتاب غير أن اسمه في متن الكتاب

(١) هنا مستغنى عنه بعد ذكر المسألة على الوجود، كما لا يخفى. لا يدلوا ما هبنا في الأصل لعله «أن يقول أو نحوه» والمعنى ثاب بدون ذلك أيضاً محمد أحمد المصباحي.

(٢) أقول، هذا جهل عظيم فإن الزمان لا يوجد إلا في الزمان فإن خلا عن الزمان بجمعه أجزاءه خلا عن الواقع البناء، وقس عليه المكاني إن خلت عن الأمكنة بأسرها كان معدوماً في نفس الأمر وإن لم يكن المكان مكانياً. (سلطان أحمد خان السائل).

يختلف عنه قليلاً فقد ورد اسمه في داخل الكتاب «المنطق الجديـد من ناطق من أنا  
له الجديـد» (أى من «ناطق» بدل لـ«ناطق») والمطلوب توضيـحـه من السادة  
العلماء، هل هذه الأقوال السابقة موافقة لـالحق والصواب أم مجازية عنـهماـ من  
ناحـيةـ النـظرـةـ الشـرـعـيـةـ؟ـ وهـلـ هـذـاـ الشـنـاءـ وـالـإـطـرـاءـ مـتـحـلـيـانـ بـحـلـيـةـ الصـوـابـ أمـ  
عـاطـلـانـ عـنـهـ؟ـ وهـلـ فـيـ تـسـمـيـةـ الـكـتـابـ بـهـذـاـ الـاسـمـ مـحـذـورـ شـرـعـيـ؟ـ

سلطان أحمد خان ففر الله له  
غرة شهر رجب عام ١٣٠٤ من الهجرة

### الإجابة:

الحمد لله الذي رضى له الإسلام ديننا، وأغنانا عن شقاشق الفلاسفة غناءً مُبِينا، وأرسل نبياً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فأتم الحجة وأوضح المعرفة، وتصدح بالحق دفء وجده، فصلى الله تعالى وببارك عليه وعلى الله وصحبه، حماة السنن، ومحاجة الفتن، وكل محظوظ ومرتضى لديه، صلاة تبقى وتدوم بدوام الملك الحى القيوم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك في الخلق والتدبیر والأمر والتقدير والوجود القديم والعلم المحيط وأن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله الآتى بالملة الغراء والحكمة البيضاء المنزهة عن كل خبط وتخليط وإغراق وتفریط، صلوات الله وسلامه عليه وعلى الله وصحبه وكل متمن إلىه آمين ! آمين ! إله الحق آمين !

ثبت الله عز وجل خطأنا على دين الحق، وحفظنا عن آفات التفلسف وعاهاته.

إن هذه الأقوال جميئاً بصفة عامة - شيعة جداً وبالغة غاية القبح والفتاعة، ولقاتلها وعيده شديد وتهديده أليم في الشرع المطهر، وعلى وجه المخصوص، القول الأول، فإن بعض ما يستفاد منه بوضوح أن الباري عز وجل عاطل عن التدبیر والتصرف في الكائنات المادية وفي معزل عن التدبیرات البينة والتصرفات المحكمة والتربيات البدعية التي تتجلى في البدن الإنساني صباحاً ومساءً وليل نهار والعجائب الكثيرة التي تظهر كل وقت وحين، التي تحار في استثناء حقائقها العقول المتوسطة، وأن هذه الصنائع البدعية وتسلك الأفعال الجليلة، وهذه الأمور الجميلة من مبدعات النفس الناطقة ومخترعاتها التي لا علاقة لها بالله عز وجل، ولا تصرف له في شيء منها.

لا إله إلا الله محمد رسول الله - استغفر الله العظيم - والعياذ بالله الكريم، لقد بعد عن الحق وحاد عن جادة الطريق، هل هناك كفر أكبر من هذا؟ سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا وقد تكفل القرآن الكريم بالرد على هذه الترفة الفلسفية

وأغناها عن اللطيا واللتي فاقرأ مستهلات سورة يونس، ورعد، والسجدة تجدها كافية في هذا الباب.

ففي سورة يونس، قال المولى عز وجل : « إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَتَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَسْأَلُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقُسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابُ أَلِيمٍ يَمْا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدْرَهُ مَنَازِلٌ لَتَعْلَمُوا عَدْدَ السَّيِّنَاتِ وَالْحَسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦) ». [يونس ٦:٣].

وفي سورة الرعد يقول المولى عز وجل : « إِنَّ اللَّهَ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمٍّ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفْصِلُ الْآيَاتِ لِعَلَّكُمْ بِلِقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقَنُونَ (٧) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رُوَاسِيَّ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَكَبَّرُونَ (٨) وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَرِزْعٍ وَتَخْيِيلٌ صَنْوَانٌ وَغَيْرُ صَنْوَانٍ يَسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضِلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ (٩) ». [الرعد ٤:٢].

وفي سورة السجدة قال ربنا تبارك وتعالى : « أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لَتُنَذَّرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذْيَرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهَتَّدُونَ (١) إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سَتَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢) يُدَبِّرُ الْأَمْرُ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعْدُونَ (٣) ذَلِكَ عَالِمٌ

**الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ** ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَيَدَا خَلْقَ  
الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَاهُ وَنَفَخَ  
فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْعَدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴿٩﴾،  
[السجدة: ٩:٣].

وفي سورة يومن أيضًا قال الحق جل جلاله : **«قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ**  
**وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَىَ مِنَ الْمَيْتِ وَيُخْرِجُ الْمَيْتَ**  
**مِنَ الْحَىِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ»**، [يومن، ٣١].

أى قل للكافرين من يرزقكم من السماء - بإنزال المطر ومن الأرض بآيات الزرع ومن يملك السمع والأبصار بربط المسابات والعواقب بالأسباب العادية والمبادئ الجارية . ومن يحمل الهواء الصوت بالقرع ويأمره بالحركة فيوصله إلى العصبة المفروضة في الأذن ثم يخلق فيها قوة الإدراك بمحض قدرته الكاملة ولو لم يسألن تشعر الأذن أبداً بصوت الصور المذهل فضلاً عن الأصوات العادية وكذلك العين فإنها لن تدرك المرئيات التي أمامها - وإن انتفت الموانع كلها وتوفرت الشروط العادية كلها (والله أعلم أن ذلك بالانطباع أو خروج الشعاع كما قد شاع أو كييفما شاء) إلا إذا أسر الله الحكيم بالإدراك - فبان لم يسألن تدرك العين المكسوفة الجبل الأشم في ضياء النهار، ومن يخرج الحى من الميت أى المؤمن من الكافر، أو الإنسان من النطفة، أو الطير من البيض، ومن يدبر الأمر، أى هو الذي يتصرف في السماء والأرض، ويدبر كل نشاط من أنشطة الجسم وكل نظام من أنظمته؛ لأنه الذي يوصل الغذاء إلى الجسم ثم يمسكه فيه فيمنحه قوة الهضم ويخلق العطش لتيسير الدفع إلى الخارج ثم يوصل الماء إليه وتحول المادة الغليظة

إلى المادة الرقبيّة ويصيّر المادة الترجمة مادة منزّلة ثم يطرح مخلفات كيلوس<sup>(١)</sup>، إلى الأمعاء ثم يوصل الحالص منها إلى الكبد عن طريق ماساريقا<sup>(٢)</sup>، ويحوله إلى مادة كيموس<sup>(٣)</sup>، ويجعل الغليظ منها سوداء<sup>(٤)</sup>، والزيد صفراء، ويتحول الخام منها إلى البلغم والمطبوخ إلى الدم، ويطرح الفضلة إلى المثانة ثم يصيّبها من باب الكبد إلى العروق، ثم يطبخه هنالك مرة ثالثة ويخرج المخلف منها عرقاً ويمرّ المواد الحالصة النقيّة منها من العروق الغلظية إلى الجداول ومن الجداول إلى السوائل ومن السوائل إلى الشريانين الدقيقتين العقدة ومن متفرّع ضيق إلى أضيق منه ولا يزال يمرّ بها كذلك من المتفرّع الدقيقة حتى يصيّبها من فوهة الشريان على الأعضاء الظاهرة وما يدعى إلى العجب ويبيّث على الاندماش أن يأخذ كل عضو من الغذاء ما له بدون خطأ وإن يصيّب كل جزء ما يناسبه ويوافق طبيعته ووظيفته، ثم تطبخها الأعضاء هنا مرة رابعة لتشكل بشكل عضوي جديد وبذلك يتوفّر بدل ما يتحلل من الجسم لاستمراربقاء الشخص ثم يمنع ما يزيد عن الحاجة النمو، والله عز وجل غنى عن كل هذا، إن يشاء يحسّن بلا غذاء آلاف السنين ويمنح الجسم ثروة الكامل دون احتياج إلى غذاء، ثم يصيّر الفضلة الباقيّة منها ويوزّعه إلى الصلب والترائب ويخلق فيه قوة العقد والانعقاد ويؤلّف بين الرجل والمرأة ويعطى المرأة الشوق الجامح إلى الرجل مع ما تقاسى من مشاق الحمل وصعوبات الوضع ويدبر الأسباب لحفظ النوع البشري من الانقراض ويأمر الرحم بالجذب ثم يأمرها بالإمساك ثم يطبخه ويجعله مضغة ثم ينبت فيها

(١) عبارة عن المواد الغذائيّة التي تجتمع على شكل كتلة عجينة في المعدة قبل أن تدخل الأمعاء الدقيقة.

(٢) اسم لشريان يتدفق من البطن إلى الكبد.

(٣) الحالمة الغذائيّة وهي مادة ليفية يضمها صالة للاستخلاص تستمدّها الأمعاء من المواد الغذائيّة في أثناء مرورها بها.

(٤) عند القدماء أحد الخلطات الأربعة في الجسم وهي: الصفراء، والدم، والبلغم، والسوداء.

الأعضاء ويخلق فيها أنواعاً من العظام ويكسو العظام لحمًا ويكسو اللحم جلدًا واقياً ويشق فيها مئات من الشرايين ويوجد فيها آلاتاً من العجائب ثم يصور فيها كما يشاء ثم ينفتح فيها الروح بقدرته ويوفر فيها الرزق لهذا العاجز المسكين في ظلمات ثلاث ويخلق فيه القوة للخروج ويمسكه لوقت معلوم ثم يحركه للخروج في أجل مسمى ويسهل السبيل للخروج إلى هذا العالم الناطق ثم يبنيه نباتاً حسناً وينوره بالعقل والفهم، فتبارك الله أحسن الخالقين، وهو غنى عن كل هذا إن يشاء يخرج من الحجر الأصم ملايين من البشر ولو شاء لأمطر بلايين من الإنسان من السماء، ولكن سألتهم من يدع هذا كله فسيقولون الله فقل أفلأ تقنون.

آمنا بالله وحده آه ، آه ، أيها المتفلسف المسكين ألم يأن لك أن تؤمن وتتوقع بأن هذه التدبيرات الحكمة وتلك التصرفات البدعية لا يمكن أن تصدر إلا من ذلك الحكيم العليم - جل جلاله وعم نواله - فبأى حديث بعده يؤمنون . لقد ذكر الفقير - غفر الله تعالى له - هذه الكلمات الموجزة - بقدر ما دعت إليه الحاجة هنا في شرح هذه الآية الكريمة وتفسيرها<sup>(١)</sup> ، مع ملاحظة أن هذا كله أقل من قطرة بالنسبة إلى بحره العظيم الذي لا حد له ، وإنما ذكر ما كان من الأزل إلى الآن وما سيكون من الآن إلى الأبد بل إلى أبد الآباد شرح وتفسير لهاتين الكلمتين الموجزتين «يدبر الأمر» وكل ذلك مندرج تحت مفهومهما ، سبحانه ما أعظم شأنه .

فليتأمل المسلم ، أن هذه الأمور العظيمة وتلك الحكم البدعية التي تتجلى ليل نهار في جسم الإنسان - وقد أشرنا إلى بعضها إشارة عابرة - إنها لقطة صغيرة من بحره العظيم الامحدود وصحرائه اللامتناهية ، ومع ذلك لا تستطيع ملايين بل بلايين النسوس الناطقة الاطلاع على شيء منها به الإحاطة . فلن اطلع واحد من الآلاف بعد سنوات من البحث والدراسة ، والجهود المتواصلة المضنية على شيء عجز عن إصلاح عضو إن مرض ، أو تقسيم جزء إن عطل ، فمن

(١) ومن أراد مزيد الاطلاع في هذا الباب فعليه بر رسالة الإمام الغزالى حجة الإسلام المسماة «الحكمة في مخلوقات الله» باب في حكمة خلق الإنسان ، محمد جلال رضا .

أجهل<sup>(١)</sup>، من يسند هذه التدبيّرات المحكمة اللامعدوّدة إلى النفس الناطقة الجاهلة العاجزة؟ فما أحسن المدبر وما أجمل المعتقد ضعف الطالب والمطلوب.

سبحان الله! إن كان هذا حقاً و كان ربنا تبارك وتعالى في معزل عن هذه الأمور بالكلية - كما يدعى هذا الفيلسوف - فياأسفاً على جهالته، و حماقته، فأقول له أيها الفيلسوف ألم تبعد نفسك الناطقة التي تحمل مثل هذه القوة الخارجة وتقوم بإدارة الشئون الجسمانية الخليلة بذاتها، وربنا المستعان على ما تصفون.

وهذا أحد الكفرات الجلية في قول زيد ثم أقول، إنه لا يخفى على المتأمل العارف والمناظر المنصف أن جو الكلام وسياقه ليس وحياناً بل يتبارد ويتجلّى منه مفهوم خالقية العقول وما يقوى هذا التبادر ويؤيده هو ما ذهب إليه القائلون بالعقل من خالقيتها.

فإن كابر مكابر وشكك في هذا التبادر - إذا الخرقاء لا تعلم الحيلة - فلنصرف النظر عن التبادر على سبيل التنزّل فلا مفر عن تعادل<sup>(٢)</sup> الكفتين وتساوي الطرفين

(١) ولا عجب من سفهاء الفلامنة ونظاره الهيئة حيث إنهم يستندون تصوير الجنيين وغيره من الأفعال المفقودة الحكيمية إلى النفس الحيوانية بل ولا يستحبون من إسنادها إلى القرة غير الشاعرة، وقد صدق عليهم وأمثالهم ما على مثلهم بعد الخطا.

(٢) أقول: ما ورضع هذا التبادر من كلامه بمثال سيفي للنصف - إن شاء الله تعالى - ولا عبرة بالنصف إذ المنسف لا تكفي الأشجار، فسلام لوال قال أحد، إن الناس في حلاتهم بالقرآن الكريم على أنواع، منهم من يستطيع الأحكام الشرعية بكلائهم الاجتهادية ومنهم من يصرّ بحزم وإحاطة ومنهم من يقرأ ويطمئن ومنهم من يسمع ومنهم من يتعلم ويسعى وجميعهم لهم علاقة صادقة وصلة قوية بالقرآن الكريم ومن الناس من ليس لهم شيء من هذه الصلات الطيبة إلا علاقة العطولة، والنكتيب بخلاف مصنف النطق الجديدي والمجوس، والهندوس، والنصارى، واليهود.

أجب بصدق وأمانة، إلا يستفاد من سياق هذا الكلام إن القائل قد جعل مصنف النطق الجديدي من مكتبي القرآن الكريم وأعاداته، وإن كان هناك احتمال أن تصرف علاقة التكليف والمداواة إلى ما ذكر بعد «مصنف النطق الجديدي» من المجوس والهندوس والنصارى واليهود وأن تتصور لمصنف «النطق الجديد» علاقة ذهنية أخرى غير السابقة واللاحقة مثل التكهن أو التجارة وتنست إلى القراء الكرام عن التمثيل على هذا التحوّل الخاص وما أردت منه إلا تبيين الحق إذا الإنسان في كلام الخصم دائمًا يميل إلى المعنى الظاهر التبادر وقلما يلتفت إلى الاحتمالات البعيدة ليطرد خصمه فإذا قارنا بين هذا المثال وبين كلام زيد فمن نجده بينهما من فرق في سوق الكلام وصياغته فإذا أثارت صياغة هذا المثال على هذا التحوّل ما قد رأينا من المعنى المبادر منه فلا شك إذ إن ما يبادر من سياق كلامه هو خالقية العقول، والله الهايدي سلطان أحمد خان غفر له.

فإن تنازلنا عنه أيضًا فلا محيد للبتة عن الإيهام الشديد والإيحاء القوي بخالقية العقول، ولا يخفى أن مجرد الإيهام في مثل هذا المقام الخطير منع وحرام شرعاً - كما سيأتي - .

ومهما يكن من أمر فإن كان مقصوده من كلامه هذا <sup>(١)</sup> فكفره جلي بين مستحسن عن أي بيان. قال الله عز وجل : « هَلْ مِنْ خَالقٍ غَيْرُ اللَّهِ » [فاطر: ٢٣].  
وقال المولى عز وجل : « هَبَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرِبَ مَثَلًا فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ » [آل عمران: ٧٣].  
وقال - جلت عظمته - : « أَلَا لِهِ الْخَلْقُ <sup>(٢)</sup> وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » [الأعراف: ٥٤].

وقال الحق جل جلاله : « إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمْتَكِمُ ثُمَّ يُحِسِّنُكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعُلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ » [الروم: ٤٠]، ولقد أشار المولى عز وجل بإشارة موجزة إلى الأفلاك والمعاصر والجمادات والحيوانات والنباتات والأثار العلوية في سورة لقمان فقال : « هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بِلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » [لقمان: ١١] صدق الله سبحانه وتعالى.

والجدير بالذكر أن هذا المعنى - أعني تفرد المولى - تعالى شأنه - بالخلق كان راسخاً ومستقراً في أذهان الناس عامة حتى في عقول المشركين العرب قال جل ذكره : « وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ » [لقمان: ٢٥] الزمر : ٣٨.

(١) كما هو الظاهر المتباور وإن انكر المكابر.

(٢) المفهوم من الخلق هنا، الخلق من المادة كخلق الإنسان من النطفة، والمستفاد من الأمر هو إيجاد الله تعالى شيئاً بأمره «كن» كإيجاد الأرواح.

ولم تكن هذه السخافة الجلية والخرافة العلية في يوم من الأيام إلا من نصيب هؤلاء السفهاء الفلاسفة التي جعلتهم أمراء الحمير «قاتلهم الله أئن يؤذكون».

ها نحن نسلم أن زيداً لم يرد من كلامه هذا المعنى ولم يذهب إلى خالقية العقول بالذات وموجديته بالاستقلال، قصارى ما قصده ونهاية ما أعتقده أن العقول شروط ووسائل لخلق كذا قد يمكن أن يستفاد من كلام زيد «سواء كانت لها علاقة بالخلق أو كانت واسطة في الخلق» وهذا القدر لا مفر عن تسليمه لأنه قد أقر بذلك بل وأكثر من ذلك في رسالة له حيث إنه جعل هذا المعنى منهياً محققاً واختاره مشرياً صافياً، وهذا (جعل العقول وسائل) أيضاً كفر واضح وارتداد فاضح وكفى به كفراً وارتداداً لأن هذا المذهب يستلزم لزوماً بينما أن القادر ذا الحال الغني المتعال تبارك وتعالى غير كاف للخلق والإيجاد وأنه يحتاج ومتضرر إلى غيره في الوساطة والآلية وبذلك يكون قد اعترض وأقر إقراراً صريحاً أن القدير الجيد ناقص في الفاعلية وأن العقول العشرة متممة ومكملة له تعالى شأنه، أي كفر أفحش من هذا؟ وليس هذا كفراً واحداً فحسب بل مستنقع للكفرات متعددة، فعجز الباري - تعالى شأنه - كفر، وافتقاره إلى الغير كفر ثان، ونقصه كفر ثالث واستكماله بالغير كفر رابع، وعدم خالقته بالاستقلال كفر خامس:

فكيف (١) فوق كفر فوق كفر      كأن الكفر من كسر ووفر

كماء (٢) أحسن في نتن دفر      تتابع قطره من ثقب كفر (٣)

(١) فيه توجيهان، الأول أن «من» بما يعده متعلق بالشطر الآتي وخبر كان قوله «كماء» فمن على هذا للتعليل، والثاني أنها هي الخبر بعد تعلقها «بما خود» أو نحوه واللام في الكفر للمهدى أي كان كفره هذا مأمور من الكثر والوفر ياسقاط بعض المعرف منها.

(٢) ماء آسن، متغير الطعم والرائحة، النتن، نتن الشيء تنا وننانة خبرت رائحته، دفر - الرائحة الكريهة المتبعثة من الإبط.

(٣) كفر بالفتح الجيل العظيم، قطر بالفتح جمع قطره، التتابع، التواصل.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم أقول لو استقصيت وتبعـت لوجـدت أن إيحـاءات تعددـ الـخالقـ من كـلام زـيدـ ما زـالتـ مـتجـلـيةـ، فـتـقـرـيرـ «ـالـقـولـ الوـسـيـطـ» وـتمـثـيلـهـ بـالـشـمـسـ وـالـقـمـرـ وـتـرـدـيـدـهـ قـيـدـ «ـبـالـذـاتـ» مـسـارـاـ وـتـكـرارـاـ، إنـ هـذـهـ الـقـرـائـنـ كـلـهـاـ توـحـىـ بـوـضـوحـ أنـ زـيـداـ إـنـماـ يـنـفـىـ عـنـ الـعـقـولـ الـخـالـقـيـةـ الـذـاتـيـةـ دونـ الـخـالـقـيـةـ الـمـسـتـفـادـةـ، وـهـذـاـ الـقـدـرـ (ـالـخـالـقـيـةـ الـمـسـتـفـادـةـ)ـ كـافـ لـصـدـقـ كـلـمـةـ الـخـالـقـ «ـعـلـىـ الـعـقـولـ فـيـ الـوـاقـعـ وـنـفـسـ الـأـمـرـ، وـإـلـاـ فـالـعـلـمـ، وـالـسـمـعـ، وـالـبـصـرـ، وـالـحـيـاةـ بـلـ وـجـودـ الـعـالـمـ نـفـسـهـ مـنـتـفـ بـذـاتـهـ وـخـاصـ بـحـضـرـةـ الـحـقـ جـلـ جـلالـهـ، بـالـرـغـمـ مـنـ ذـلـكـ قـدـ أـسـنـدـ الـعـلـمـ وـالـسـمـعـ وـالـبـصـرـ وـالـحـيـاةـ وـالـوـجـودـ إـلـىـ غـيـرـهـ فـيـ الـقـرـآنـ الـحـكـيمـ فـقـالـ الـمـوـلـىـ - جـلـ وـعـلاـ - بـالـنـسـبـةـ لـلـعـلـمـ: «ـوـإـنـهـ لـذـوـ عـلـمـ لـمـاـ عـلـمـنـاهـ وـلـكـنـ أـكـثـرـ النـاسـ لـاـ يـعـلـمـونـ» [ـيـوسـفـ : ٦٨ـ]ـ، وـقـالـ جـلـ جـلالـهـ عـنـ نـسـبـةـ السـمـعـ وـالـبـصـرـ: «ـإـنـاـ خـلـقـنـاـ إـلـيـنـاسـاـ مـنـ نـطـقـةـ أـمـشـاجـ تـبـتـلـيـهـ فـجـعـلـنـاهـ سـمـيـعـاـ بـصـيرـاـ» [ـسـوـرـةـ الـإـنـسـانـ، آـيـةـ ٢ـ].

وقـالـ جـلـ شـائـهـ عـنـ الـحـيـاةـ «ـوـلـاـ تـحـسـبـنـ الـذـينـ قـتـلـواـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ أـمـرـاتـاـ بـلـ أـحـيـاءـ عـنـدـ رـبـهـمـ يـرـزـقـونـ» [ـآلـ عـمـرـانـ : ١٦٩ـ]ـ، وـقـالـ الـمـوـلـىـ جـلـ وـعـلاـ عـنـ الـوـجـودـ «ـإـذـاـ قـضـىـ أـمـرـاـ فـلـئـمـاـ يـقـولـ لـهـ كـمـ فـيـكـوـنـ» [ـآلـ عـمـرـانـ : ٤٧ـ]ـ وـهـذـهـ الـقـضـابـاـ حـقـةـ وـصـادـقـةـ بـلـ رـيبـ، وـلـاشـكـ أـنـ حـقـائـقـ الـأـشـيـاءـ ثـابـتـةـ أـلـاـ تـرـىـ أـنـ اـسـتـارـةـ الـقـمـرـ بـنـورـ الشـمـسـ - كـمـاـ

اعتقد زيد - لا تعارض قول الله جل جلاله الذي مثل به زيد «جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً»<sup>(١)</sup>، فالقمر نور مع أنه مكتسب من الغير).

ومن الواضح يمكن أن لفظ المجاز كما يقابل الحقيقة يقابل كذلك الذاتي غير أن الذاتي لا يكون إلا حقيقة دائمة وأنه لا يفارق الحقيقة قط. فملكنا ملك مجازي أي حاصل بالعطاء الإلهي غير نابع من ذاتنا وليس معنى ذلك أنه باطل في الحقيقة ونفس الأسر قال تعالى : «فِيهِمْ لَهَا مَا الْكُونُ» [يس - ٧١] وقال عز وجل : «وَمَا مَلَكْتُ أَيْمَانَهُمْ» [الأحزاب : ٥٠]، وبناءً على هذا اعد «وسائل القرية» من المجاز لأن العلم والسمع والقدرة على الجواب التي يصح بها الاستفسار الحقيقي متغيرة هنا وبالعكس من ذلك «سَلَّهُمْ أَيْمَنُهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ» حقيقة دونها أية ريبة لأن العلم والسمع والقدرة متواجدة هنا يقيناً وإن كان مستمدة من المولى جل جلاله.

ولا يخفي على عاقل أن الحقيقة إنما توقف على الثبوت في الواقع فحسب

(١) هذه الآية الكريمة نص صريح في أن القمر مستبرأ ولا في ذاتها بأى طرق كان ثم ينير العالم وهو الراجح من جهة العقل أيضاً وإليه جنح المحققون منهم الإمام الرازى خلافاً لمن ذهب أن القمر إنما ينير ضوء الشمس تحسب بدون استثارته منه كما ظنه بعض الفلاسفة.  
ولكن هل القمر مظلوم في حد ذاته ويستبرأ بضوء الشمس؟ أقول أما هذه القضية فلا تنفيها لعدم ورود السمع بتكتفيتها ولا نقطع بثبوتها لعدم قيام البرهان على تصويبها.  
والدوران ليس في شيء من البرهان وإن ما زعموا أنه بدبيهى ثابت بالحسن كيف ولا قاطع يباطل قول ابن الهيثم في الأهلة وما ذكره من حديث الخسوف فيجوز أن يكون ذلك لأن القادر ينزع منه التور حتى شاء من دون أن تكون الميلولة هي الموجبة له والمعرفة لا تقييد العلية بل هذا الذي لما ذكرنا هو المستفاد من ظواهر الأحاديث وقد رأينا كلّيهم فيكسوف وقع على عهد رسول الله ﷺ لعشر خلون من شوال (العاشر من شهر شوال) مع أن تأديتهم تقضى بأن لا يقع إلا آخر الشهر إذ المقارنة لا تكون إلا إذا ذاك فلما ظهر لنا انتقاد الدوران في الكسوف عس أن يظهر أيضاً في الخسوف على أن في الباب احتمالات آخر لا ينكرها الدليل وبالجملة ما لم يخبر عنه تراه مضطرباً هكذا إلى يوم القيمة فاستفده فإنه منهم نعم أفاد الإمام عبد الوهاب الشمراني في «ميزان الشريعة الكبرى» إجماع أهل الكشف على أن نور القمر مستمد من نور الشمس فمن هذا الوجه نقول به والله تعالى أعلم (المؤلف قدس سره).

بصرف النظر عن أن يكون ذلك الوصف ذاتياً أو مستناداً من غيره ولا يخفي على أي عاقل ذلك التفاوت الحاصل في استعمال الكلمة «تعرف» في هذا الشعر:

**هذا الذي تعرف البطحاء وطاته المُرْبُّ تعرف من أنكرت والمجم**

حيث إن المعرفة استندت إلى البطحاء أولاً وهو مجاز وإلى العرب والمجم آخرًا وهو حقيقة.

لقد بعد عن **الحججة البيضاء**، إن الحقيقة لا تستلزم الذاتية وإنما انتفاء خلق الأشياء حقيقة عن الحق عز وجل بل يستحيل ذلك عليه تعالى - ولن تكون نسبة الخلق إليه - تعالى شأنه - [إذا إلا وهم مجازيّاً، إذ الحالى إذا لم يفدي الوجود حقيقة (بداهة) فلم يكن خالقاً في الواقع. فلو كان الأمر كذلك لم يصدق قوله تعالى : «قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» [طه: ٥٠]. وقس على هذا شناع آخر].

فلا شك إذاً إن مثل هذا المجاز لا يتعارض مع إطلاق الحقيقة وصدقها كما لا يتنافي مع ثبوت الوصف الواقعي، ومن هنا تبين جلياً أن تقرير زيد ينادي بأعلى صوت أن العقول العشرة إنما تنفي عنها **الخالقية الذاتية** فحسب وإنما هي خالقة في الواقع للعالم مثل القمر الذي ينير الأرض.

- وإن كانت هذه **الخالقية** مستمدّة ومستندة (١) من الحق عز وجل - كما يستمد

(١) وأما أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير» [آل عمران: ٤٩]، فلا يخفى على ذي لب أن فيه تبديل الجسم الطبيعي دون إيجاد الجسم التعليمي بل ذلك أيضاً أعنى زوال أبعاد وحدود أخرى إنما هو على طريقة الحكماء القائلين بالكم المتصل، وأما المتكلمون فلم يحدث عندهم في الطين شيء لم يكن ولم يزل عنه شيء قد كان وإنما انتقلت الجواهر الفردية من طول إلى عرض أو بالعكس مثلاً كما صرحو به في الشمعة وهذا هو معنى تصوير الملك الموكيل بالرحم الجثنين فيها وليس إلا إبداء هبات لأجزاء الجسم لا إيجاد لحم أو شحم أو عظم والله تعالى أعلم (المؤلف قدس سره).

القمر من أنوار الشمس سبحانه وتعالى عما يشركون. وخلاصة القول: إن الاعتقاد بانزال البارى - تبارك وتعالى - وانقطاعه عن تدبير أمر من الأمور أو تصرف شأن من الشئون أو إسناد خلق جوهر إلى غيره تعالى شأنه من الكفريات الخالصة التي لا يتطرق إليها من ريب ولا يحوم حولها من شك سواء قال بأنها متحمة لإيجاد البارى تعالى أو لم يقل وهذا من أوضح ضروريات الدين وأجلها بل وأميزها من بينها وجلاءها مفن عن أي بيان.

تبينه - ولا يستبعد من زيد الفيلسوف أن يلتجأ إلى بعض التحايلات الباردة في خصم الوساوس المقلقة والخواطر المشتلة المزدحمة عليه فيقول «إنما قلت هذا كله على طريق الفلسفه دون اعتقاد مني في شيء من ذلك».

أقول: صحيح ما يقال لا تعدم الخرقاء الحيلة، وواضح تمام الوضوح أنه ما كانت هناك حالة إكراه واضطهاد تدعو إلى كتابة هذه الأوهام الشيطانية. و مجرد الإتيان بكلمة الكفر - دون إكراه - كفر، وإن لم يكن بذلك اعتقاد في القلب، ولقد صرخ معظم العلماء في هذا الباب بأنه لا يكفر لدى الخلق فحسب بل يكفر عند الله أيضاً لأنه متلاعِب بالدين وعابث بعظامه - والعياذ بالله تعالى - .

فقد نص الإمام العلامة فقيه النفس فخر الدين الأوز جندي - رحمه الله تعالى - في «الخاتمية» رجل كفر بلسانه طائعاً وقلبه على الإيمان يكون كافراً ولا يكون عند الله مؤمناً وفي الحاوي من كفر باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان فهو كافر وليس بمؤمن عند الله . «وفي مجمع الأنهر» وجواهر الأخلاطى وهذا لفظ المجمع من كفر بلسانه طائعاً وقلبه مطمئن بالإيمان فهو كافر ولا ينفعه ما في قلبه لأن الكافر يعرف بما ينطق به من الكفر فإذا نطق بالكفر كان كافراً عندنا وعند الله تعالى، وفي «البحر الرائق» ، والحاصل أن من تكلم بكلمة الكفر هازلاً أو لاصباً كفر عند الكل، ولا اعتبار باعتقاده ومن تكلم بها خطأ أو مكرها لا يكفر عند الكل ومن تكلم بها عالماً عاماً كفر عند الكل.

وفي «الطريقة المحمدية»، و«الحقيقة الندية» التكلم بهما يوجه (الكفر) طائعاً من غير سبق المسان عالماً بأنه كفر (كفر) بالاتفاق وكذا الفعل ولو هزاً ومزاحاً بلا اعتقاد مدلوله بل مع اعتقاد خلافه (بقلبه) فإنه يكفر عند الله تعالى أيضاً فلا يفيده (في عدم الكفر) اعتقاد الحق (بقلبه) لأن ذلك جعل كفراً في الشرع فلا تعمل النية في تغييره إلى آخره ملخصاً.

أما زعمه بأن قوله إنما هو على طريق الفلسفة فأقول صدق فيما قال ولستا بقائلين أبداً إن قوله هذا على طريقة المسلمين فإن كلمة الكفر أيا كانت إنما تقال في الأغلب على طريقة من طرق الكفار دون المسلمين - والعياذ بالله تعالى - فهذه الحيلة لن تنجيه من حكم الكفر ولن تنقضه من وعيه الشديد حاشا وكلام زيد هنا إذا كان يعتقد أنها من الكفرات فهل في كلامه حرف يشير إلى رفضه ويراثته منها وهل هناك من كلمة يشم منها رائحة الكراهة والتذكر لها، لقد حاد عن الحق وأخطأ الصواب، لن تشر أبداً على حرف يوحى بأنه ناقل أو حalker عن غيره بل على العكس من ذلك تجد أنه أدرج تحت لفظ التحقيق، وفي «القول الوسيط» أشاد بهذه المضامين إشادة فجاء بكلمة «هذا التحقيق» وبهذه الملاحة يكون قد افتضح عواره وانكشفت سوانحه، فإنما لله وإنما إليه راجعون.

حتى لقد صرخ أئمة الدين بل وقد نص منقح المذهب (الحنفي المذهب) حضرة الإمام الربانى أبو عبد الله محمد بن حسن الشيبانى رضى الله عنه أيضاً فقال من قال بلسانه المسيح ابن الله ولم يأت بشيء يدل على حكاية قول النصارى لن يصدق وإن أدعى الحكاية ويحكم ببيانه أمرأته ولقد نقل العلامة بدرا الدين رشيد الحنفى فى رسالة «الألفاظ المكفرة» عن الفتواوى الصغرى وغيرها فقال لو قالت للقاضى سمعت زوجي يقول المسيح ابن الله فقال إنما قلت حكاية عنمن يقوله فإن أقر أنه لم يستكلم إلا بهذه الكلمة بانت أمرأته، وفيها أيضاً قال محمد إن شهد الشهود أنهم سمعوه يقول المسيح ابن الله ولم يقل غير ذلك يفرق القاضى بينهما

ولا يصدقه، - سبحان الله - لما أفتى العلماء بالبيتونة في هذه المسألة التي فيها احتمال كبير لإثبات الزوج بلفظ الحكاية وربما لم تسمعه المرأة أو الشهود.

فأني ينجزو من حكم الكفر شخص يلطف كتابه بتجاهسة الكفر الصريح ويخليه بحلية هذا التحقيق؟ نسأل الله العافية لقد سئل سيدنا الإمام الأجل عالم المدينة مالك بن أنس رضي الله عنه عن شخص قال بأن القرآن مخلوق فقال مالك كافر أقتلوه فقال إنما حكيمه عن غيري قال إنما سمعناه منك ففي «الإعلام بتوسيط الإسلام» سأله رجل مالكم عنمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر أقتلوه فقال إنما حكيمه عن غيري فقال مالك إنما سمعناه منك.

بل لقد صرخ علماء الدين الذين بأن ذكر هذه الكفرات أو أمثلها حرام وغير مشروع وإن كان مقتربنا بلفظ الحكاية والنقل ويستحق الحاكى - وإن كان مصرحاً بالنقل - العقاب والتاديب إلا إذا كان هناك غرض محمود ومهم عند الشرع مثل تحذير الخلق أو إظهار الحق أو إبطال الباطل أو لأجل أمور الدعوى والشهادة حتى يقتل قائلها أو يعاقب وغيرها من الدواعي الدينية الضرورية.

فإذا توفرت هذه الضرورات أو أمثلها واقتربت الحكاية بالتبسيط منها والاستكثار لها والكراهية منها فلا حرج حيث ذلك.

قال الإمام العلامة القاضي عياض المالكي - قدس سره - في كتابه «الشفاء» وقال العلامة شهاب الدين أحمد الخفاجي الحنفي - رحمه الله تعالى - في شرحه «نسم الرياض» أما ما ذكرها على غير هذا الوجه من الرد والإبطال ونحوه مما مر على وجه الحكايات والخوض في قبيل وقال وما لا يعني فكل هذا (المحكى) من نوع (غير جائز شرعاً) وبعضه أشد في المتع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكى له (عن غيره) على غير قصد ومعرفة بمقدار ما حكاه ولم يكن عادته ( وإنما وقع منه نادراً) ولم يكن الكلام الذي حكاه من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر (وبين) ونهى عن العود إليه وإن قوم يبعض

الأدب فهو مستوجب له وإن كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الأدب أشد إلى آخره ملخصاً».

أقول: ولم لا نحكم بالحرمة فيما نحن فيه؟ وقد صرخ العلماء بأن روایة الحديث الموضوع بغير رد واستنكار محمرة شرعاً وهذا ما أخذ به على الحافظين المعاصرین «أبی نعیم» وابن مدنۃ» ولا يخرج الراوی عن عهده ولا تبرأ ذمته بمجرد سرد الروایة كما صرخ به الشمس الذهبي وغيره من أئمۃ الشأن فلما كان الحكم هنا بهذا القدر من الشدة بالرغم من خفته نسياناً مع ما نحن فيه، فإن المثاث من الأحادیث الموضوعة مضامینها صحيحة ونافعة لا تحرم حکایة هذه الاختلافات الملعونة المهلكة؟ وهل يحل ذکر هذه الأوهام المضادة المتناقضة تماماً مع أصول الإسلام؟ وهل يشرع نقل هذه السموم الفتاكۃ الموبیقة؟ نسأل الله العافية.

بل لقد استنكر كثیر من أئمۃ الناصحین - ورحمه الله تعالى أجمعین - وكرهوا إشاعة هذه الخرافات وأمثالها بل الأخف منها بكثیر ولو على سبيل الرد والإبطال وهذا أحد الأسباب التي دفعت العلماء إلى شدة الطعن والرد على كلام المتأخرین من العلماء كما فصل بعضه الفاضل على القاری في شرح الفقه الأکبر حتى قاطع سیدنا الإمام الهمام عماد السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه سیدنا العارف بالله إمام الصوفية حارث المحاسیبی رضي الله عنه، وقال ويبحث أستاذ تحکی بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم أستاذ تحمل الناس بتصنیفك على مطالعة البدعة والتفكير في الشبهة فيدعوهم ذلك إلى الرأی والبحث والفتنة، ولا شك أن الرد على المبتدعین من أهم الفرائض إذا دعت الضرورة إلى ذلك، وهو الإمام أحمد نفسه يؤلف كتاباً في الرد على الجھمية وفي حديث عند الخطیب وغيره، أنه قال : «إذا ظهرت الفتنة أو قال البیع وسب أصحابی فليظہر العالم علمه فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعین لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً».

والحاصل: أنه ما من شك أن كلتا العبارتين كلمتا کفر صريح وليس هناك مبرر مقبول لإدراجهما في كتبه، والله المستعان.

## الرد على القول الثاني والثالث والرابع

ونفس الحكم الذي سبق بيانه مفصلاً في القول الأول عائد في هذه الأقوال أيضاً حيث إنه قد أقر فيها بقدم الهيولي، والصورة الجسيمة والصورة النوعية والعقول العشرة وبعض التفوس وهذا كله من الكفرات بدون ريب فقد نص آئمه الدين أن من اعتقاد غير الله أزلياً فقد كفر بإجماع المسلمين.

ففي «الشفقا» و«انسیم الرياض» من اعترف بالله تعالى ووحدانيته لكنه اعتقاد قديماً غيره (أى<sup>(١)</sup>) غير ذاته وصفاته إشارة إلى ما ذهب إليه الفلاسفة من قدم العالم والعقول) أو صانع للعالم سواه (كالفلاسفة الذين يقولون إن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد) فذلك كله كفر (ومعتقده كافر بإجماع المسلمين) كالإلهين من الفلاسفة والطبائعين إلى آخره ملخصاً.

وقال يقطع بكفر من قال بقدم العالم أو بقائه أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة (ومنهم<sup>(٢)</sup> من ذهب لغيره وقد كفراً بهم أهل الشرع بهذا لما فيه من تكذيب الله ورسله وكتبه) إلى أن قال فلا شك في كفر هؤلاء قطعاً إجماعاً وسمعاً، إلى آخره ملقطاً.

(١) أقول توضيح لا توجيه فإن صفاته سبحانه وتعالى ليست عندها غيره كما هي ليست عندي (المؤلف قدس سره).

(٢) أقول، أو تكون البعضية راجعة إلى الشك فهي إشارة إلى ما حکى عن جاليتوس أنه قال في مرضه الذي توفى فيه لبعض تلامذته اكتب عني أني ما علمت أن العالم قديم أو محدث وأن النفس الناطقة هي المزاج أو غيره قد طعن فيه أقرانه بذلك حين أراد من سلطان زمانه تلقيبه بالفيلسوف - ذكره في شرح الواقع - أقول، إن كان الطعن تردد الأخير فهو بذلك حررى وجدير وإلا فمن العجب أن معتقد القديم يسمى فلسفياً دون الشاك مع أن جهل ذلك مركب وجهل جاليتوس بسيط<sup>(٣)</sup> فإن كان مثل هذا الجهل لا ينافي حكمه الحكم فالبسيط أولى به إلا أن يقال إن الفلسفي هو المتأهّل في الخبرة وذلك في المركب (المؤلف قدس سره).

(٣) الجهل البسيط عدم العلم بما من شأنه أن يكون عالماً والجهل المركب عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع، المعجم الوسيط، محمد جلال رضا.

ويقول العلامة ابن حجر الهيثمي في «الإعلام»، اعتقاد قدم العالم أو بعض أجزائه كفر كما صرحا به وفيه أيضاً «من المكريات القول الذي هو كفر سواء أصدر عن اعتقاد أو عناد أو استهزاء فمن ذلك اعتقاد قدم العالم» إلى آخره ملخصاً.

وفي «طوالع الأنوار من مطالع الأنظار»، القول بالذات القديمة كفر وفي «شرح المواقف»، إثبات المتعدد من الذوات القديمة هو الكفر وفي «شرح الفقه الأكبر»، من يزعم النصوص الواردة في حشر الأجساد وحدوث العالم وعلم الباري بالجزئيات فإنه يكفر.

وفي «البحر الرائق» نقاًلا عن «جمع الجواجم» وشرحه من خرج ببدعة من أهل القبلة كمنكري حدوث العالم فلا نزاع في كفرهم لأنكارهم بعض ما علم مجىء»<sup>(1)</sup> الرسول ﷺ به ضرورة إلى آخره مختصرأ. وفي «رد المحتار» عن «شرح التحرير» للعلامة ابن الهمام، لا خلاف في كفر المخالف في ضروريات الإسلام من حدوث العالم وحشر الأجساد ونفي<sup>(1)</sup> العلم بالجزئيات وإن كان من أهل القبلة الموارث طول عمره على الطاعات وكذلك نقل الإمام أبو زكريا يحيى النوفى في «الروضة»، والفضل السيد أحمد الطحطاوى في هامش « الدر المختار».

ومهما يكن من أمر فإن كتب الآئمة ومؤلفاتهم زاخرة بهذه النصوص وأمثالها ولا مطعم في الاستقصاء.

وقد اتفقت كلمة المبتدئين أنفسهم على هذا الحكم كما يرشدك إليه قوله،

(1) أقول هكذا وقع في الكتاب والصواب إسقاط النفي فإنه هو الكفر إجماعاً والضروري هو الإثبات وكأنه رحمة الله تعالى لما أراد تمثيل مخالفة الضروريات وكان إليه سيلان أحدهما بتعديل المخالفات والأخرى بذكر الضروريات فالتبسيت في البيان إدحاهما بالأخرى نسلك الأخرى في الأولى والأمر واضح فليتبه (المؤلف رحمة الله تعالى).

باجماع المسلمين، قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في «المحصل»، اتفق المتكلمون<sup>(١)</sup> على أن القديم يستحيل إسناده إلى الفاعل<sup>(٢)</sup>.

وقد اجتمعت كلمة أهل الملل عامة على حدوث جميع الأجسام مع أعراضها حتى اليهود والنصارى أيضاً يتفقون فيه معنا، ففي «شرح المواقف»، الأجسام محللة بذواتها الجوهرية وصفاتها العرضية وهو الحق وبه قال المليون كلهم من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس. ولا شك أن إبراد زيد هذه المعانى الكفرية في مواطن الاستشهاد والاستناد وإطلاقه عليها اختيار المذاهب وتحقيق المشارب لدليل صريح على اطمئنانه إليها وقبولها منه وإن تنازلنا عن هذا وافتراضنا أنه لم يرض بها فيما أنه أورد هذه المعانى الفاسدة بغير إكراه قد استحق حكم الكفر وتذكر كل ما قدمنا من الكلام على القول الأول تجد هنالك ما فيه العناي وعليه المועל.

### مستنقع الضلالات القول الخامس

هذا القول خليط عجيب ومعجون مركب من ضلالات عديدة وجهالات كثيرة بل هذا القول معجون الفلسفة قرة العيون. إن زيداً المسكين قد آمن بأوهام الباقر

(١) هو لفظ يعم جميع النظار من أهل القبلة المقتدرين على إثبات عقائدهم التي دانوا بها الله تعالى بإبراد المحجج وإدحاض الشبه سواء كانوا مصنيفين كمعشر أهل السنة والجماعة - حفظهم الله تعالى - أو خاطئين كمن عداهم كما صرخ به في الموقف وغيره فالحاصل «اتفاق المسلمين».

(٢) يعني الفاعل المختار إذ لا فاعل موجباً - عتنا - وهذا هو الذي قالوا إنه أجمع عليه المتكلمون أما أن القديم لا يمكن إسناده إلى الفاعل مطلقاً حتى الموجب لو كان فمسلك خاص للإمام الرازي لم يوافقه عليه كثيرون حتى قالوا : إن القول يشتمل العالم إنما ساغ للفلسفه لقولهم بالفاعل الموجب ولو لا ذلك وأمنوا بالفاعل المختار لأنفسنا بحدوث العالم عن آخره وكذا إيجاب المسلمين حدوث كل مخلوق لقولهم بالفاعل المختار ولو لا ذلك لقالوا بالقديم، قلت المقصود نفس الإجماع على التعميم وهو حاصل وإن كان في الكلام كلام والله سبحانه وتعالى أعلم (المؤلف تلمس سره).

(باقر داماد الشيعي فلسفى النزعة) واطمئن إليها وصدقه في أباطيله المخيلة واستطاب تلك الكفرات واستحلالها، وقد غفل عن تلك الشنائع العظيمة الهائلة التي تستتبع هذه الأوهام.

فأقول وبحول الله أصول، أولاً يلزم على هذا الرعم قدم جميع الأنواع بلا استثناء وذلك حيث إن مجرد الإمكان الذاتي لما كان سلاك الفيضان في الطيابع المرسلة والإمكان الذاتي - أي كونه في محيط القدرة الإلهية - أزلى بلا شك، وإن لزم الانقلاب، ولما كان من المسلمات التي لا مراء فيها إلا يدخل في جانب المبدىء - تبارك وتعالى - ومن هنا وجب أن يكون كل نوع قدّيمًا أزلياً، وهذا الرعم يستتبع وبالتالي جميع الأصول الفلسفية الباطلة من قدم الهيولي وقدم الصورة الجسمية وقدم الصورة النوعية وقدم جميع الأشخاص المندرجة تحت الأنواع وقدم بقية الأفراد المتشرة، ولا شك أن قدم الأنواع والأشخاص يستلزم قدم الأعراض اللاحمة على التفصيل المشار إليه كما لا يخفى.

فها هي الأصول الفلسفية المخرفة قد استبع بعضها البعض حتى تجمعت كلها وكان قد اكتفى الفيلسوف المبتوع بقيد المادة والمدة، وما زاد الطين بلة من المتفلس التابع أنه أضاف صراحة بأن مجرد الإمكان مستلزم للفعالية هيئات ولا عجب في ذلك من المبتوع حيث إنه من أذناب الفلاسفة ومحبي السفسطة من قدّيم - ومن لم يستغن بالقرآن فلا أغناه الله - إنما العجب بكل العجب من هذا التابع الذي يدعى التسن ثم يركب هذا التلون والتفنن نسأل الله الثبات على الإيمان والستنة.

ثانياً: وما هو أشد من ذلك وأقبح مما سبق أن قوله هذا قد استلزم انحصر القدرة الإلهية في الأنواع الموجودة بالفعل فقط أما الأنواع التي لم تخلق بعد فإن المولى عز وجل لا يمكن قادراً عليها وبالتالي؛ إذ لو كان مقدوراً لكان ممكناً ولا شك أن مجرد الإمكان في الطبيعة المرسلة (المطلقة) يستلزم الفيضان عنده - وانتفاء اللازم يدل دلالة قاطعة على انتفاء الملزم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وهذه الشناعة الخبيثة كفر خالص عند المسلمين دونما أية ريبة، وربما لا يستسيغه الفلاسفة أيضاً لأنهم يفرقون بين الكلى معدوم الأفراد والكلى ممتنع الأفراد (مستحيل الأفراد) فالكلى معدوم الأفراد وأقسامه (تقسيمه) قسم لقسم الكلى ممتنع الأفراد - كمثل الحروف العاملة وأقسامها قسم لقسم الفعل أى الحرف المطلق - ولا بد من المنافاة بين الشيء وقسيمه كما صرخ في أسفارهم.

فيما للعجب إن كان باقر قد غفل عن هذا فقد كان المتبرر عاقلاً نبيها ولكن صدق ربنا - تبارك وتعالى : «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» [الحج: ٤٦].

ثالثاً: إن قول التابع والمتبوع - عدم البخل في جهة المبدأ مستلزم للفيضان - لقول معارض لمباديء الإسلام ومضاد لأصول السنة المطهرة. فإن ما اعتقد وأمن به أهل السنة والجماعة أن المبدأ - تبارك وتعالى - جواد كريم وأنه أكرم الأكرمين - جل جلاله وتقدس فعاله - ومع هذا لا يجب على المولى عز وجل شيء عندهم، والحق جل جلاله كان جواداً قبل أن يخلق العالم وهو جواد ولو لم يخلق العالم أبداً ولا يتطرق إليه عيب بعدم خلقه ولا يتعرض كماله الأكمل لنقص بعدم الإيجاد والخلق، فلا يجب عليه إيجاد شيء أو إعدامه.

قال الحق جل جلاله : «ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ \* فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ»  
[البروج: ١٥ - ١٦].

وقال تعالى شأنه : «لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ» [الأنبياء: ٢٣].

وهذا واضح جليٌ عند كل من نور الله بصيرته ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ولا شك أن ذلك الاستلزم ناشيء من تلك الفلسفة الملعونة التي تجعل القادر المختار - تعالى شأنه - فاعلاً موجباً وهذا الاستنتاج مبني على تلك البدعة المنحرفة التي تجعل إيجاد العالم سبباً لكما له، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

رابعاً: وما هو أقبح وأشنع قوله «فإن صدر عنه غير الحق وتخلف الحق لزم ترجيح المرجوح» سبحانه الله ! فلا حق هناك، وليس عقولكم السخيفة بحاكمة على القادر الحميد الفعال لما يريد، وليس عندنا مرجع سوى إرادة المولى تعالى، وإن سلمنا أن هناك مرجحاً سوى إرادته فلا حرج عليه بعد، قال تعالى : «إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ» [الأنعام: ٥٧].

وقال تعالى شأنه : «وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مَعْقُبَ لِحَكْمِهِ» [الرعد: ٤١]، وقال جل جلاله : «وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيرَةُ سَبَّاحَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» [القصص: ٦٨].

وبكلام أوضح، إن خلاصة ما ذهب إليه أهل السنة في هذا الباب أن جميع المقدورات متساوية إلى حضرة المولى - تبارك وتعالى - ولا شيء من الاستحقاق لأحد من ذاته فلا راجح ولا مرجوح هناك.

يقول العلامة السنوسى في «شرح الجزائرية»، إن الذي أوقع المترتبة في الصلالات كإيجاب الثواب و فعل الصلاح والأصلح على الله تعالى، اعتمادهم في عقائدهم على التحسين والتقييم العقليين وقياسهم أفعال الله تعالى وأحكامه على أفعال المخلوقين، وأحكامهم من غير أن يكون في ذلك جامع يقضى التسوية في الأحكام والذى أجمع عليه أهل الحق أن الأفعال كلها متساوية بالنسبة إلى تعلق قدرة الله تعالى وإرادته بها<sup>(١)</sup>.

إنما الترجيح هناك بمجرد الإرادة من ذلك القدير المجيد - عز مجده - فما تعلقت إرادته ترجح، ففي «شرح الطوالع»، تخصيص بعض المقدورات بالتحصيل

(١) أي فيقدر على كل شيء ويفعل ما يريد لا ترجح قبل إرادته وإنما الترجح بإرادته فهو موجبة الرجحان لا هي محرك الإرادة هكذا يبني أن يفهم هذا المقام وقد رأينا تصديق ذلك في تعنى المطشان وطريقى السالك، فأراد الله سبحانه أو لم بذلك (المؤلف قدس سره).

وبعضها بالتقديم والتأخير لا بد له من مخصوص لأن نسبة جميع المقدورات إلى ذاته متساوية وليس هو نفس العلم فإنه تابع للمعلوم ولا القدرة فإن نسبتها إلى الجميع على وثيرة واحدة فلا بد من صفة أخرى من شأنها التخصيص وهي الإرادة إلى آخره ملخصاً.

وإن افترضنا أن هناك مرجحاً سوى إرادة المولى عز وجل فناعلم أنه لا يجب على المولى المقتدر جل جلاله اتباع هذا المرجح وله أن يجعل الراجح مرجحاً ويخلع على المرجوح خلعة الوجود ولا حرج عليه أبداً.

ففي «شرح المواقف» أعلم أن الأمة قد أجمعوا مركباً على أن الله تعالى لا يفعل القبيح ولا يترك الواجب فالأشاعرة من جهة أنه لا قبيح منه ولا واجب عليه وأما المعتزلة فمن جهة أنه ما هو قبيح يتركه وما يجب عليه يفعله وإنما قد بينا فيما تقدم أنه تعالى الحكم بما يريد وي فعل ما يشاء لا وجوب عليه كما لا وجوب عنه ولا استباحة منه «إلى آخره ملتفطاً».

يقول الشيخ الناصح محمد الأفندى البركلى فى «الطريقة المحمدية» وسيدى العارف بالله عبد الغنى النابلسى فى شرحه «الحدائق الندية» لا يلزم عليه تعالى شيء من فعل صلاح أو أصلح أو فساد أو أفساد بل هو الفاعل العدل المختار «ويخلق الله ما يشاء ويختار» إلى آخره مختصرًا.

وفي شرح «العقائد النسفية» ليت شعرى ما معنى وجوب الشيء على الله تعالى إذ ليس معناه استحقاق تاركه الذم والعقاب وهو ظاهر ولا لزوم صدوره عنه تعالى بحيث لا يمكن من الترك بناءً على استلزماته محالاً من سمه أو جهل أو عيب أو بخل أو نحو ذلك لأنه رفض لقاعدة الاختيار وميل إلى الفلسفة الظاهرة العوار.

فانظر في هذه العبارة كيف تحفلت بالرد على هذا الفلسفى الجدد بالإضافة إلى إخوانه القدماء واستأصلت توهם البخل على المولى عز وجل من جذوره والله

المجدة السامية وهذه المعانى الرائعة التى أفادها العلماء فرداً فرداً، جميعها مستفادة من تلك الآيات الكريمة التى تلأها الفقير قبل قليل.

ثم أقول: وإن صرنا النظر عن اللاتي والتي فإن هذه الآية الكريمة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] وحدها كافية لاستئصال هذه الشبهة وأمثالها حيث إن المرجوح شيء وكل شيء مقدر، ولا معنى للقدرة إلا صحة الفعل والترك منه أي لا حرج عليه تعالى في حال من الأحوال سواء فعل أو لم يفعل.

ففي «الطوالع» القدر الذي يصبح منه أن يفعل المقدور وأن لا يفعل إلى آخره فهل يعقل بعد هذا من عاقل أن يلزم ترجيح المرجوح على جانب الباري تعالى شأنه وهل توسيغ هذه التقولات الباطلة على القادر المختار جل جلاله في شريعة من الشرائع؟

و قبل أن نخوض في مبحث آخر نقف هنا أولاً وقفة تساول، وتساءل ما هو المعنى المقصود من كلام زيد - لزم ترجيح المرجوح - هل يقصد من ذلك الاستحالات الذاتية؟ فإن قصد هذا فلا شك في بطلان هذا الوهم بل بطلانه من أبين البديهيات لأن الاستحالة الذاتية - لو كانت - وكانت بالنسبة لقدراتنا القاصرة الباطلة التي تزول وتفنى أما بالنسبة إلى تلك القدرة الباقية التامة الكاملة الدائمة فلا مجال لاستحالة الذاتية هناك فـهذا ما يتعلق بالاستحالة الذاتية، فإن كان قصده أنه مستحيل من جهة كونه عيباً في حقه تعالى فذلك أيضاً باطل كسابقه إذ فيه قياس الغنى الحميد على العبد المخلوق العاجز وذلك لا يجوز في عقل عاقل وأيضاً فيه إعراض عن مثاث من النصوص القرآنية إلا ترى أن أفعالنا منها ما يحسن ومنها ما يفسد أما فعله سبحانه وتعالى فكله جميل دائمًا لو فعلنا ما يفعل (١) المولى تبارك

(١) والله در من غير من هذا المعنى الإيمانى الجميل بهذه الأشعار الرائعة:  
 فديتك قد جبت على هواكـا ونفسى لا تنازعنى سواكـا  
 أحبك لا ببعضى بل بكـلى وإن لم يرق حبك لي حرراكـا  
 ويقبح من سـواكـ الفعل عنـلى ونفسـكـ فيـحسـنـ منـكـ ذاكـا .  
 (محمد جلال رضا).

وتعالى تعرضا للنقاش والمحاسبة ولو فعل هو الفعل الذى نفعل نحن فلا حرج عليه ولا نقاش، الا ترى أنى لو قتلت مسلما لأجل كافر لاستوجب العقاب والعتاب وقد غلب الله تعالى الكفار على المسلمين مرارا ومكثهم من قتلهم فلا شيء عليه ولا لوم على فعله تعالى.

بالله عليك إن هذا الموضع ينسى أن يجيش قلب المؤمن فيه بمحبة المولى عز وجل ويمتلأ فؤاده بعظمته سبحانه وتعالى.

إن شأن الجميل كله لعجب وكل فعل يصدر من الجميل حسن وجميل أن الملابس الوسخة على جسم الإنسان القبيح ل بشعة فإن ارتداها جميل فلا تسأل عن بهجته وعن جماله (ولم تقصد التشبيه من هذا المثال وإنما قصدنا التقرير والتفهيم) والله المثل الأعلى عياذ بالله، لئن أدخل المولى عز وجل عبده المسلم النار - والعياذ بالله - وسئل هذا العبد المسلم ما رأيك في معاملة ربك معك بهذا، فلا شك أنه يبادر بالقول قد عدل ربى وأحسن فيما فعل، ولكن حافيتك أوسع لي - خلاصة هذه التفاصيل، أن قول زيد هذا مستنقع لأنواع أنواع الضلالات والجهالات ومنع للفلسفة والاعتزال، نسأل الله العافية ولا حول ولا قوة إلـ بالله العزيز الحكيم.

### القول السادس

وفي القول السادس قد نقل فيما نقل، أن العقول العشرة مقدسة عن جميع النقاد منزهة عن جميع القبائح وإن علمتها تام ومحيط إحاطة شاملة بحيث لا تخفي عليها ذرة من ذرات العالم بل لا يمكن خفاء شيء منها على العقول وما من شك أن هذا الوصف بهذا الشمول والكمال خاص بحضور المولى عالم الغيب والشهادة جل جلاله قال تعالى: **«وَمَا يَعْزِبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ»** [يوس: ۶۱]. ونسبة هذا الوصف إلى غير المولى عز وجل كفر بلا شك، وليتأمل المسلم في قوله بعدم الإمكان ليتأكد من الكفر الذي يتبعلى منه،

ولا ريب أن هذا معارض لثات من النصوص القرآنية، قال الحق جل جلاله **«وَمَا يَعْلَمُ جِنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**» [المدثر: ٢١] وقال تعالى شأنه : **«إِنَّهُ يُرِدُ عِلْمَ السَّاعَةِ**» [فصلت: ٤٧] ، وقال المولى عز وجل: **«وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ**» [الملك: ٢٥-٢٦] . وقال جل شأنه : **«وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شاءَ**» [البقرة: ٢٥٥] ، وقال تعالى حكاية عن الملائكة: **«سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**» [البقرة: ٣٢].

سبحان الله، وقد قال بعض المتكلفة إن العقول العشرة عبارة عن الملائكة وإن هذا إلا كذب ممحض وافتراء خالص لأن الأوصاف التي يسندها هؤلاء السفهاء إلى هذه العقول لا علاقة لها بأوصاف الملائكة أصلاً لا من قريب ولا من بعيد ومن أكذب من كذبه القرآن نفسه، ألا إنما هي من أوهام هؤلاء السفهاء التي لا وجود لها أبداً.

**«إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ**» [التجم: ٢٣] وإن سلمنا أنها عبارة عن الملائكة وتخيلنا أن كفار اليونان قد أفرطوا في شأن الملائكة إفراطاً وخلوا فيها نزهتهم عن أوصاف الخلق كالمرشكين العرب الذين قد أفرطوا في شأن الملائكة حيث جعلوهم بنات الله.

فلننظر كيف كذبت هذه العقول نفسها هؤلاء السفهاء وكيف تعترف بجهلها وتقر بعجزها في حضرة المولى جل جلاله وكيف تقدس وتسبح لله الواحد القهار صدق الله تعالى : **«سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضَلَالًا**» [مريم: ٨٢] وفي «الإعلام بقواعد الإسلام» من أدعى علم الغيب في قضية أو قضياباً يكفر ومن أدعى علمه في سائر القضايا كفر.

وفيه أيضاً نقلأً عن علماء الحنفية في فصل الكفر المتفق عليه، أو وصف محدثاً بصفاته أو أسمائه. ومهما يكن من أمر فإن حكم هذه القضية واضح وبين، وإنما الأمر الذي يدعوا إلى التأني والتربيث هو تقييد زيد كلامه هنا بـ «عندهم» الذي يدل صراحة على الحكاية والنقل.

أقول ومع غض النظر عن هذا فإن جملة «لا يمكن أن لا يعلم العقل الأول مثلاً» كفر جلي وغير مندرج تحت الحكاية والنقل بل هو استنتاج وتصریح من زيد على التزه تمام السابق المنقول، كما يشهد به سوق العبارة ولا ينفعه قيد «عندهم» لأنّه قد اعترف وأقرّ بعلم المجردات بالجزئيات المادية على سبيل الجزئية ووصفه بأنّ هذا هو المذهب المحقّق ثم استدلّ على هذا الرّعم بالقول السابق المنقول وعلى هذا لم يبق ذلك في موطن النقل والحكاية بل تحول إلى محل الاعتماد والتعويم، وبالإضافة إلى ذلك قد نصب نفسه للدفاع عنه وانتدب للانتصار له فهو محام عنه ومتصرّر له دع عنك الرد عليه والاستنكار له ولا شك أن هذه القرائن من أين وأوّل ضح الأamarات التي تدل على الرضا والقبول، كما لا يخفى على عاقل فضلاً عن فاضل، وزيادة على ذلك فإننا قد حققنا من قبل أن سرد هذه الأقوال وأمثالها ولو بتصریح الحكاية والنقل غير مشروع شرعاً إلا إذا كان مشفوعاً بالبرد ومقروناً بالاستنكار.

ويعد اللتينا وللتي فلا يحوم شك في شناعة هذا القول وبشاعته، فتدبر تدر.

## القول السابع

لقد أثار زيد هذا الكفر البين في القول السابع، حتى تجلّى كالشمس في متصرف النهار، وقد خلع هنا رداء الحياة عن وجه الرياء فجعله حقاً مبيناً وعده في أقوال المحققين، فإليك ما كتب «إن العدم الزمانى ليس عدماً في الواقع والحقيقة،

فكل ما وجد وما سيوجد لم يكن معدوماً قط ولن ي عدم أبداً، قصارى ما هنالك أنه لم يكن أى كان مخفياً وقد عدم أى قد خفى وإلا فلما ينفك الوجود عنه حقيقة في حال من الأحوال في الواقع وتفس الأمر إنما لله وإنما إليه راجعون.

إن الشناعات الشديدة التي تستطيع هذا القول والقبائح التي تستلزم هذا الرحم متفلتة عن نطاق العدو خارجة عن إطار المحصر، غير أن المثل مشهور ما لا يدرك كله لا يترك كله، فأقول وبالله التوفيق أولاً: إن مقاد هذا القول ومضمونه معارضٌ لكثير من النصوص القرآنية الصريحة فمنها قال المولى جل جلاله ﴿أولاً يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾ [مريم: ٦٧] ييد أن زيد المفلسف يقول كان ولكن في ستر الحجاب، وقال الله تعالى شأنه: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَئِي \* وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾ [التجم: ٥٠ - ٥١] ولكن يقول هذا المفلسف بقى وأن الأرواح مرتبطة بالأبدان في الواقع وتفيس الأمر غير أنه خفي عن أنظارنا، ويقول رب تبارك وتقديس: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ﴾ ويبيّن وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴿[الرحمن: ٢٧] . ويقول مفلسفنا هذا سيبقى الجميع، كل في الحجاب والستار وهو في التجلى والظهور.

وهنالك مئات من الآيات القرآنية والأحاديث التبوية الشريفة أمثال ما تلونا الآن التي لن يتسعى عنها الجواب من زيد أبداً، إلا أن يلجأ إلى التأويلات البعيدة أو يلوذ بأذىال التعسفات التي لا تسمن ولا تغنى من جوع فيقول مثلاً في كل موطن من القرآن الكريم أو السنة المطهرة يتحدث عن الخلق والإيجاد أو الإبداع والتكونين أنه يعني الظهور والإظهار وكذلك في الإيمان، والإهلاك والإفشاء والإعدام أو العدم والفتاء والموت والهلاك بأنها محمولة على معنى التغييب أو الغيبة ومن الواضح يمكن أن مثل هذه التصرفات الخائنة في النصوص الشرعية تبدل بحث لا علاقة له بالتأويلات المشروعة من قريب أو بعيد ولا يسانده العرف أو اللغة ولقد ركب الفلسفه الأشقياء هذا النوع من التحرير المعنى نفسه في

مواطن من القرآن العظيم، فالجلة عندهم عبارة من اللذة التفاسانية والنار كذلك عبارة عن الألم الروحاني، ينظرون إلى «تطلع على الأشدة» ويهملون «في عمد مددة» - والعيساذ بالله - وليس بعيد عنهم ذلك اليوم العظيم يوم يدعون إلى نهار جهنم دعا، فيقال لهم، أفسحر هذا أن أنت لا تبصرون، وحيثند سيدزوون وبالهذه التأويلات الباطلة، فانتظروا إنى معكم من المستظرين.

ليس هو وحده فى مستنقع هذا التأويل المبتدع تحسب بل المستدعون جميعا بأسره فى كل مكان وزمان إنما يتلاعبون بالنصوص الشرعية نفس التلاعب، وما منشأ الضلاله وأصل البدعة إلا مثل هذه التأويلات الباطلة، فقدميا قال المعتزلة فى قوله جل جلاله «وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ» [الأحزاف: ٨] قالوا إنما المقصود من الوزن هو الامتحان فلا ميزان بالتالي وفي قوله جل جلاله : «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ تَأْضِرُهُ إِلَيْهَا نَاظِرٌ» [القيامة: ٢٣ - ٢٢] إنما المراد من النظر هو الانتظار والرجاء فلا رؤية للمولى عز وجل إلى غير ذلك من الجهالات الكثيفة والضلالات الخسيفة، فهل نفعتهم هذه التأويلات وهل أنقذهم تلك التعسفات من لقب البدعة كلا، ومع هذا فإن تأويلات المعتزلة بأن المقصود من الوزن هو الامتحان وأن المقصود من النظر هو رجاء الثواب، نقول إن هذه التأويلات الاعتزالية أخف بكثير من تلك الأباطيل وأقرب إلى الصواب منها بدرجات بخلاف هذه التحريريات الغريبية التى يضطر إليها هذا المتكلف لتقويم قوله المترسج وتهليل مذهب المخرج، كما لا يخفى والله الهدى.

ففى «الشفا الشريف» فى الحديث عن الباطنية وغيرهم من الغلاة، زعموا أن ظواهر الشرع ليس منها شىء على مقتضى ومفهوم خطابها وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم إذ لم يمكنهم التصریح لقصور أفهمهم فمضمون مقابلهم إبطال الشرائع وتکذیب الرسل والارتباط فيما أتوا به إلى آخره ملخصاً.

وقد اجتمعت كلمة أهل السنة والجماعة أن النصوص تحمل على ظواهرها عند

خلوها عن القرائن وأن التأويلات فيها محمرة شرعاً وغير مجدية، كما صرخ به في كتب العقائد متنا وشرعاً.

ثانياً: لما كان البقاء في وعاء الدهر وجوداً على وجه الحقيقة وكانت الأعدام الزمانية مجرد حجاب وخفاء لزم بالتالي عجز المولى جل جلاله عن إعدام موجود ولزム تفلت المخلوق عن قبضة الخالق فقصاري ما يستطيع هو تغيبه وإخفائه دون محوه عن صفحة الدهر ورفعه عن الواقع لأنه مستحيل الوقوع ولن يعدم الموجود أبداً، وهذا بين جداً.

والحاصل: أن العدم الحقيقي على هذا هو الارتفاع عن صفحة الدهر - كما اختلف به - وكل ما وجد أو يوجد فإنه مرتسم فيها وإنما المرتفع ما لم يتناوله اسم الوجود من أزل الآزال إلى أبد الآباد فما دخل في الكون ولو أنا قد تناوله اسم الوجود لا يمكن أن يصير التناول لا تناولاً فاستحال العدم الحقيقي، والعياذ بالله تعالى.

ثالثاً: إن المسلم الذي يخرج من النار إلى الجنة بشفاعة سيد الشافعيين عليه السلام أو بمحض الرحمة من أرحم الراحمين كما وردت بذلك النصوص الصحيحة الصريحة يلزم على مذهب زيد أن يكون هذا المؤمن السعيد في النار بعد الخروج منها في الواقع ونفس الأمر وإن قصاري ما حصل من الخروج هو أنه أخفى فيها، وكذلك إبليس فإنه كان في الجنة قبل إيمانه بالسجود، قال تعالى : فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَعْكِبَ فِيهَا [الأعراف: ١٣]، فقد لزم على ذلك أن يكون في الجنة في الواقع ونفس الأمر، وليس الإخراج من الجنة هنا إلا الإخفاء فيها وقد يقول قائل هنا فهل يستمر لهؤلاء المسلمين من ألم العذاب والعقاب بعد الخروج منها نبادرهم بالإجابة، أجل يستمر لهم ألم العذاب، ولا شك في ذلك على مذهب زيد قصاري ما هنالك أنه من وراء الحجاب، وأستغفر الله العظيم، وكذلك فقل في النزاذ الشيطان بنعم الجنة وهو في النار، ومهما يكن من أمر فإن الأمر لا يعود

الخفاء والظهور وإن حاولت أيما محاولة ولا ريب أن ملاك الأمر ليس إلا الواقع  
ونفس الأمر وإنما العبرة به.

رابعاً: وما يستتبع قوله هذا من المفاسد، أن يكون الكافر<sup>(١)</sup> في الجنة في حالة  
الكافر وذلك إذا كان بكر كافراً ثم أسلم فقد تعرض كفر بمكر للعدم الزمانى دون  
الارتفاع عن صفة الواقع وذلك لا يعدو مجرد الاختفاء والغيبوبة وهو غير مناف  
للوجود الحقيقى وما لا شك فيه أن الكافر عرض من الأعراض التي لا تقوم بذلكها  
بل تحتاج لقيامها إلى الموضوع، وتبدل الموضوع مستحيل عند العقلاء جميراً، فإن  
القائم بهذا غير القائم بذلك، فالكافر الموجود في الواقع نفس الأمر لا مقام له في  
شيد سوى زيد، وإن قيام المبدأ يستلزم صدق المثبت وعلى هذا فهو كافر حقيقة  
وكذلك يقال في كل كافر أسلم واعتنق الإسلام فإنه يدخل الجنة بمقتضى حكم  
الشرع، فقد لزم أن يكون الكافر مع كفراه في الجنة ومتنهى القول فيه أن كفراه  
بسبب العدم الزمانى مختلف وإسلامه ظاهر.

خامساً: لما كان الأعدام الزمانية السابقة واللاحقة كلها مجرد احتجاب واحتفاء  
فقد نتج من ذلك أن تكون كل ذرة من ذرات العالم أبدية فزيادة لم يكن بالأمس أى  
كان مختفياً ولا يكون غداً أى سيختفى والوجود الحقيقى دائم سرمدى، إن هذه إلا  
كافر عظيم ولا كفر أكبر منه.

تقريره، أن القدم الذى تخصه بالملك العزيز عزوجل وصفاته العليا ليس بمعنى  
أن لا يمر زمانه إلا وهو فيه أو لا يخلو عنه جزء من أجزاء الزمان فإنه سبحانه  
وتعالى متعمال عن الزمان لا يمر عليه زمان كما لا يحيط به مكان فهو مع كل زمان  
لكن ليس في الزمان وكذلك صفاتاته جلت أسمائه إلا ترى أن الفلاسفة قالوا يقدم  
العقول فأكفرناهم مع أنهم لا يستقدون قدمها بالمعنى المذكور لأنها أيضاً ليست

(١) وكذلك يستلزم أن يكون المسلم مع إسلامه مختلفاً في النار كما في الارتداد والمياذ بالله (المؤلف قدس سره).

عندم من الزمانيات فإذا لا نعنى به إلا أن الشيء لا بداية لوجوده كما تقصد بالأبدية أن لا نهاية لخلوده وهذا ظاهر جلى وقد صرخ به أئمة الكلام كالإمام الرازى وغيره، وإذا كان الأمر كما وصفنا لك والأعدام الزمانية لا تزيد عن ذلك على غيبة وخفاء فإذا ذكرنا ما ظنت أن الحدوث وأن الفتاء ليسا بهما، ولا بهما بداية الوجود، ونهايته وإنما هما آناب بداية الظهور وانتهائه أما الوجود الواقعي فلا أول له ولا آخر إذ ليس في الدهر على القبول به إمكان يسع «يكون وقد كان» فما خلت عنه الصفحة لا يرتسن فيها أبداً وما ارتسن فيها مرة لا ينبع عنها أصلاً فالنتيجة إن كل موجود كان مستقراً فيها من الأزل ويبقى مستمراً إلى الأبد فثبت أن لا بداية لوجود العالم ولا نهاية وهذا ما أردنا الإلزام به.

يقول العبد الضعيف لطف به المولى اللطيف إننا لو أوسعنا المقال في إبطال هذا المجال فعندينا بحمد الله تعالى شوارق بوارق تبهر العماء (هو التجاج لأنهم قليلاً ما يبهتون) وسحائب قواضب قطر الدماء ولشن تصرعنا إلى القريب المجيد لرجونا المزيد وتلنا بعيد ولكن فيما ذكرنا كفاية لأهل الدراءة والحمد لله على حسن الهدایة أيها المسكين ! إن هذا الوصف العظيم عندنا إنما هو لعلم البارى جل جلاله المحيط بجميع الكوائن الماضية والآتية المزه عن الزمان، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وكل ذرة من ذرات العالم كانت في علمه قبل أن يخلق العالم ولم يزل علمه تعالى على حاله بعد أن خلق العالم ولا يزال علمه محيطاً بكل شيء عندما تفني الفانيات حسب الوعد الإلهي، العالم يتغير وعلمه عز وجل لا يتغير، يمر بالأشياء أحوال ثلاثة: العدم، والحدث، والفناء، ولم يزل علمه تعالى محيطاً بالأشياء في أحوالها الثلاثة بصفة مفصلة ولا يزال كذلك إلى الأبد قد تغير المعلوم ولم يتغير العلم أبداً وإنما تعدد عبارتنا عن ذلك الشيء ولغستنا القاصرة التي لا تدور إلا في إطار الزمان ومحيط المكان، فقد نعبر - بـ يوجد ، وقد ثانى بموجود وقد نقول ، كان وجد.

نهاً هو الوجود الذي لا يتطرق إليه التبدل والتغير، فعبر عنه في اصطلاحك إن شئت بوعاء الدهر، وحاق الواقع أو غيره ما يحلو لك ولكن لا يمكن أن يكون هذا الوجود حقيقياً ذاتياً للأشياء كما لا يطلق بحصول الشيء فيه أنه موجود في نفسه وإنما عادت تلك الاستحالات السابقة عن آخرها.

وليس للزمانيات وجود وعدم حقيقة إلا ما يعبر عنه زيد بالظهور والخفاء فإذا أسلم كافر فقد انعدم كفره في نفس الأمر أبنته ولم يبق له قيام بذاته زيد ولا تكون للأعراض في نفسها بل كونها إنما يكون في الموضوع وإذا خرج مسلم من النار فقد انتهت حاليته النارية تلك بمجرد الخروج منها لأنه صرخ من الأعراض وهو زائل باطل بعد انفصاله عن الموضوع وعلى هذا القياس.

باً هذا لو كان الوجود الواقعي بمجرد الوجود العلمي لاستحال عدم أمر من الأمور سوى المتنعات لأنه لا حجر على العلم ولا حرج عليه فإنه يتعلق بالوجود والمعدوم على حد سواء وبالرغم من هذا ليس بخاف على أحد من العقلاة أن الشيء لا يطلق عليه لفظ الوجود بمجرد حصوله في العلم، فإن الطوفان في عهد سيدنا نوح عليه السلام غير موجود الآن في الواقع وهو موجود في علمنا وكذلك يوم القيمة لم يوجد الآن وهو معلوم لأذهاننا ولن يقاس العلم بالواقع فـأين الحكمة من المحكم عنه؟

أيها السفية ! إن المضلالات الفكرية التي تعرضت لها إنما هي ناتجة من سفاهتك نفسك فإنك سميـت الوعاء المخـزع بنفس الأمر ثم جعلـت البقاء فيه حقيقة وجود الأشياء وجعلـت الأعدام الزمانية السابقة واللاحـقة مجرد احتجاجـاب واحتفاء ذليـت النـمل لم تـظر.

وأعـجبـ من ذلكـ أنـكـ جـعلـتـ وـعـاءـ الـدـهـرـ ظـرـفـاـ حـقـيقـيـاـ مـسـتقـلاـثـمـ جـعلـتـ الـوـجـودـ الـدـهـرـىـ لـلـزـمـانـيـاتـ مـسـتقـلاـعـنـ الـوـجـودـ الـزـمـانـيـ حتىـ جـعلـتـ الـبقاءـ مـتـواـصـلاـ بـعـدـ الـانـدـامـ مـنـ كـلـ جـزـءـ مـنـ أـجـزـاءـ الـزـمـانـ ولاـ شـكـ أنـ الـاستـحالـاتـ

البيئة التي تستطيع هذا التقرير من جهة المنهج العقلى ليست بخافية على المشغلين بالفلسفة والكلام المتعودين للجدال والخصام ولا نضيع الوقت في الاسترسال وراء هذه الأوهام فإن منصب الإفتاء يجب احترامه وإجلاله وهذا الجدال والخصام ليسا من مهماتنا ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

تبسيه: قد علمنا أن الكلام هنا سينجر إلى مسألة عوいصة في العلم ولكنها إنما تغتصب على الذين جعلوا قلوبهم وراء ظنونهم أو اعتادوا الجدال وقيل وقال وكثرة السؤال وركض البغال في مضيق المجال أما أهل السنة فهم يحمد الله آمنون فرحبون بفضل الله مستبشرة لا يصعب عليهم شيء من مسائل الذات ودقائق الصفات كيف وأنهم أصلوا أصلاً في أصول الدين فهو وردهم وهو صدرهم في كل حين وذلك أن ما أثبته الشرع فسمعاً وطاعةً وما رده فإليك عنا وماله يخبر عنه فعلمه إلى الله وهم لا يجيزون التقول على الله عز وجل من دون ثبت أو أثارة من علم سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

وأخرج الطبراني في الأوسط وابن عدى والبيهقي وغيرهم عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله» وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله فإن بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك» أخرج أيضًا عن أبي ذر عن النبي ﷺ كلفظ الحلية وزاد «فتهلكوا» نسأل الله العفو والعافية.

### القول الثامن

لقد انضج حكم القول الثامن مما سبق من التحقيقات البالغة في مفاسد الأقوال السبعة السالفة فلتقدس على البستان ربمعه.

هذه هي الكفريات التي كان بها كل هذا الاعتزاز وهذه هي الضلالات التي كان بها كل هذا الاهتمام والاحتفاء ومن الواضح الجلي لدى كل مسلم درجة

القبح التي تستبع هذا المدح والإشادة منه بهذه المعانى الفاسدة وتلك المضامين الباطلة، وإن بغيت التفصيل فأقول وعلى الله التعويل:

أولاً: لقد وصف هذا الكتاب بأوصاف بالغة من التدقير الفصحى والتحقيق الصريح، واكتناء الحقائق وما من ريب أن هذه الكلمات نص صريح في تصحيح الكتاب وتصويب محتواه، مع أنه مليء بمذاهب الفلسفة المكفرة، وقد قال العلماء الكرام من صرح بمذهب من مذاهب الكفار فقد كفر وإن كان مقرأ بالإسلام ومعتقداً له بل وإن كان معلنا للإسلام على رءوس الأشهاد، ففى «الشفا الشريف» يكفر من لم يكفر من دان بغير ملة الإسلام أو وقف فيهم أو شك أو صحيح مذهبهم وإن أظهر الإسلام واعتقده واعتتقد إبطال كل مذهب سواء فهو كافر باظهار ما أظهر من خلاف ذلك، وكذلك نقل الإمام الأجل أبو زكريا النووي رحمه الله تعالى في «الروضة» وأقره بل وقال العلماء العظام من حسن أمراً من أمور الكافرين فقد كفر عند الجميع يقول العلامة السيد أحمد الحموي في «غمز العيون» اتفق مشايخنا أن من رأى أمر الكفار حسناً فقد كفر حتى قالوا في رجل قال: «اترك الكلام عند أكل الطعام حسن من المجروس أو ترك المضاجعة عندهم حال الحيض حسن» فهو كافر إلى آخره، وبمثله في «البحر الرائق» وغيره، وفي «الإعلام» نقالا عن علمائنا في فصل الكفر المتفق عليه، أو صدق كلام أهل الأهواء أو قال عندي كلامهم كلام معنوى أو معناه صحيح أو حسن رسوم الكفار.

وتحمل العلامة ابن حجر أهل الأهواء على الذين نكفرهم بيدعاتهم، قلت وهو كما أفاد ولا يستقيم التخريج على قول من أطلق الإكفار بكل بدعة فإن الكلام في الكفر المتفق عليه فليتبنته.

ثانياً: قد روى أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه «ذم الغيبة» وأبو يعلى في مسنده والبيهقي في «شعب الإيمان» عن سيدنا أنس رضى الله عنه وروى ابن عدي في «الكامل» عن سيدنا أبي هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إذا مدح

الفاسق غضب الرب واهتز لذلک العرش» وقال العلماء وذلك لأن المولى تبارك وتعالى قد أمرنا بالتجنّب عن الفاسق وإبعاده عنا أفاده المناوي.

والحاصل أن الفاسق يستحق الإهانة شرعاً وفي المدح تعظيم، وهنالك فليقطع قلوب المتهورين لما كان مدح الفاسق على هذا القدر من الشدة بسبب مقاربته للمعاصي فما بال المدح لسھذا الكتاب الذي يحمل فى طيه كل هذه الكفریات الصريحة وكم يغضب الرب منها وكم يهتز لها عرش الرحمن، ثم انظر الفرق بينهما فھناك معصية وهذا كفر ثم هناك مقاربة وارتكاب فقط وهذا الحمل والتضمن لأن المعصية لا تكون جزءاً من بدن الفاسق أو روحه بخلاف هذه الكفریات فإنها لحمة الكتاب وسداه وجراه لا يتنفك عنه وهي لازمة في جميع الأحوال في الكتابة والقراءة سا، ذي اللفظ والمعنى، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

ثالثاً: نستوضح زيداً هنا ونستفسر هل يرى هذه الكفریات كفراً أو لا، فإن لم تكن هذه المعانى عنده من الكفریات فقد اعترف بکفره بلسانه وبأيامه بالکفر على نفسه وإن كانت عنده من الكفریات فإن أهون ما يحكم في شأنه وفي قيامه بالتألیف والتحریر والطبع والنشر مع احتواء الكتاب هذه الكفریات والضلالات إن فعله هذا حرام بدون أدنى ريب. فإن لم يعترف بحرمة هذه الأفعال فقد استحل كبيرة من أكبر الكبائر. واستحلال الكبيرة كفر في الشرع، وإن اعترف بحرمتها فقد مدح هذا الأمر المحرم شديد التحرير وعظمته وعلى هذا توجه إليه تلك الفتوى الفقهية بأن مدح المحرم القطعى وتحسينه كفر مبين، والعياذ بالله رب العالمين.

والملفت للنظر حقاً، أن هذه القضية (أنا ملك) لا شك أنها كانت في غاية من الخطورة وبذلك اضطر العلماء إلى إيانة الحكم عنها وإدراجها في باب المكررات مع تضييف من ذهب إلى عدم التكبير، نقول لما كان الأمر بهذا القدر من الخطورة في هذه المسألة مع خفتها نسبياً إلى ما نحن فيه فلتتخيل درجة الخطورة فيمن قال

إن كتابه يجعل البشر ملوكاً، نسأل الله تعالى العافية، ونعم العافية، ودوم العافية، والشكر على العافية وحسن العاقبة، وكمال الإيمان والله المستعان.

### ملاحظات على اسم الكتاب

ولم يبق بعد كل هذا إلا اسم الكتاب، وكان قد استفسر عن حكمه بعد الأحباب الخلاص - كان حفظ الله له نصيراً حسناً - قبل ورود هذه الأسئلة فاقول وبعون الله أقول، في هذا الاسم احتمالات عديدة تنشأ من اختلاف الإضافة ووصف الناطق، غير أنه لا يخلو أى واحد منها عن المحدود الشرعي أما الوجه الأول، فعلى تقدير الإضافة - أهم من أن تكون بتقدير «اللام» أو «من» فالظاهر المتบรรد من «ناطق أنا له الجديد» هو حضرة المولى تعالى وتقديس، فالمعني على ذلك المنطق الجديد لمن قال في القرآن المجيد أنا له الجديد، أو المنطق الجديد من قال أنا له الجديد ولا شك أن القائل بهذا هو مولانا تبارك وتعالى وهذا الوجه يستبع كثيراً من المفاسد الوخيمة، أولاً فيه إسناد هذه المعانى الباطلة والمضامين الفاسدة إلى المولى عز وجل وذلك افتراء بين عليه تعالى، قال المولى عز وجل : «إِنَّ الَّذِينَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ» [النحل: ١١٦] يقول الإمام عبد الرشيد البخاري تلميذ الإمام الظاهري والإمام فقيه النفس القاضى رحمهم الله تعالى كما في خلاصة الفتوى من قال أحسنت لما هو قبيح شرعاً أو جودت كف ، وفي «الطريقة الحمدية» كل تحسين للقبيح القطعى كفر وفيها عن الإمام ظهير الدين المرغينانى من قال مقرئ زماننا «أحسنت» عند قرائته يكفر وفي المحيط إذا شرع فى الفساد وقال لأصحابه «بِيَايِدِ تَايِكَى خوش بز بیم» تعالوا نفرح سوية، كفر.

والفروع الناشئة من هذا الأصل في كلمات العلماء الكرام كثيرة وكثيرة، نسأل الله العافية.

رابعاً: وما يدعوا إلى العجب والاندهاش، هذا الإطراء المنزه وذلك المدح المفرط حيث وصف كتابه بأنه ملكي التأثير بل وصفه بأنه جا عمل الإنسان ملكاً، سبحانه الله، ما هو مستنقع الكفريات ومذلة الخرافات والبطالات تجعل البشر ملكاً<sup>(١)</sup>، قال العلماء العظام لا ينبغي التشبيه بالملائكة وقد يؤدي الإصرار على ذلك إلى الكفر. والعياذ بالله تعالى ففي «الشفاء» ونسيم الرياض، من يمثل بعض الأشياء ببعض ما عظم الله تعالى من ملوكه (من الملائكة والعرش ونحوه) غير قاصد للاستخفاف فيإن تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه وهذا كفر لا مرية فيه إلى آخره ملخصاً.

فلتخيل بعد هذا مدى الوخامة التي تترتب على وصفه هذا المستنقع المتن بأنه ملكي التأثير، ففي «الفتاوى الهندية» رجل قال لأخر أنا ملك في موضوع كذا أعينك على أمرك فقد قيل إنه لا يكفر وكذا إذا قال مطلقاً أنا ملك بخلاف ما إذا قال أنا نبى كلما في «التخار خانية».

وقال عز وجل : **هُوَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا** [الأنعام: ٤٤].

حتى لقد أقى جمهور العلماء في شأن هذا وأمثاله بالكفر على الإطلاق ففي «شرح الفقه الأكبر»، في «الفتاوى الصغرى»، من قال يعلم الله أني فعلت هذا وكان لم يفعل كفر أى لأنه كذب على الله، وفي المحيط، من قيل له يا أحمر فقال خلقنى الله من سوق السفاج وخلقك من الطين أو من الخسأ وهى ليست كالسوق كفر وقال على القارى، أى لافتراه على الله تعالى مع احتمال أنه لا يكفر بناءً على أنه كذب في دعواه، وفي «الذر المختار» هل يكفر بقوله الله يعلم أو يعلم الله أنه فعل

(١) اللهم إلا أن يستند إلى ذلك المنصب المرجح المهجور القائل بأن ليس كان صنعاً من الملائكة فربما سبق من المؤلف القلم فكتب «جا عمل البشر ملكاً» بذلك أن يكتب «جا عمل البشر شيطاناً» أو ربما يطلقون على الشيطان كلمة الملك في اصطلاحهم الجديد حيث إنهم من أنصار المتنق الجديد. سلطان أحمد خان.

كذا أو لم يفعل كذا كاذبًا؟ قال الزاهد، الأكثر نعم، وقال الشمني الأصح لا في «رد المحتار» ونقل في نور العين عن الفتاوى، تصحیح الأول.

ثانيًا: وفي مشابهة كاملة باليهود والنصارى قال تعالى : «فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثُمَّا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ » [البقرة: 79]. وقال النبي ﷺ : «من تشبه بقوم فهو منهم» أخرجه أحمد وأبو دود وأبو يعلى والطبراني في الكبير عن ابن عمر ياسناد حسن وعلقه وأخرجه الطبراني في الأوسط بسند حسن عن حذيفة رضي الله عنه.

ثالثًا: لقد قال العلماء عن مطلق المنطق وأنتوا بتکفير من جعله من تعليم النبي ﷺ بدعاوى أنه أهان علم النبي ﷺ ففى «الحديقة الندية»، الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - لم يكونوا ليشغلوا أنفسهم بهذا الفشار الذى اخترعه الحكاماء الفلاسفة بل من اعتقاد فى النبي ﷺ أنه كان يعلم الشقاشق والهذليات المنطقية فهو كافر لتحقيره علم النبي ﷺ سبحانه الله ا فانتظر هذا المنطق المزخرف الحالى فى طيبة مئات من وساوس الأبالسة ودسائس الفلاسفة الا تكون نسبة كل هذا إلى المولى عز وجل إهانة لحضرته وتنيصًا من شأنه عز وجل والعياذ بالله تعالى.

رابعًا: لا يجوز إطلاق كلمة ناطق على المولى عز وجل لأنه لم يرد هذا اللفظ له عز وجل فى الشرع، والأسماء الإلهية توقيفية ومن هنا لا يجوز إطلاق كلمة «سخى» عليه جل جلاله مع أننا نؤمن بإيماناً جازماً بأنه جواد كريم لأنه لم يرد فى الشرع المطهر، والمسألة شهيرة وفى الكتب سطير وقد يمثل بجحوار الشافى دون الطبيب لعدم الورود أقول ولكن قد ورد فى الحديث الله الطبيب وأنت الرفيق وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه الطبيب أمر ضنى، فليحرر والله تعالى أعلم.

خامسًا: وفي إطلاقه إيهام النقص لأن كلمة «النطق» فى اللغة يمعنى التكلم بصوت وحرف ففى القاموس، نطق ينطق نطقًا، تكلم بصوت وحروف تعرف بها المعانى.

فائلة: من هنا تبين أن إطلاق كلمة الناطق على المولى عز وجل خطأ من ناحية اللغة أيضاً مع صرف النظر عن الورود وعده بخلاف الكلام والقول حيث إنه لا يشترط فيما الحرف والصوت، فقد قال أمير المؤمنين القاروقي الأعظم في حديث السقيفة زورت في نفسى مقالة وفي شعر الأخطل:

**إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا**

ولذا لا يقال نطقت في نفسى، وإن النطق حقيقة هو الكلام مع الحرف والصوت الخاص بالإنسان مثل الصهيل والتهيق الخاصين بأصوات الفرس والحمار ولهذا عرف سفهاء الفلسفة الإنسان بالحيوان الناطق كما عرفا الفرس والحمار بالصاهم والنافق ثم اخترع التأخرون منهم بأن النطق عبارة عن إدراك الكليات ليكون الحد تماماً ولم يسعهم ذلك في الصهيل والتهيق فألقوها على ما هو عليه ذلك مبلغهم من العلم إن هم إلا يخرصون. هذا هو المعنى المتباادر من هذا الاسم على تقدير الإضافة كما قد مر بك مفصلاً.

الوجه الثاني: لا يمكن أن تصح هذه النسبة وتندفع تلك المحذورات السابقة في حال من الأحوال إلا إذا بحث المؤلف إلى التأويل البعيد الذي لا يعني عن شيء يقول مثلاً إن المراد من «ناطق» أنا (المؤلف) بدعاوى إن الإضافة هنا لأدنى ملابسة، غير أنه أولاً، إن العلماء قد عدوا من آفات اللسان أن يريد أحد خلاف المتباادر في المحادثة اليومية العادية بدون أن يكون هناك داع شرعى، ففي «الطريقة الحمدية»، و«الحديقة الندية»، الخامس من آفات اللسان إرادة غير الظاهر المتباادر من الكلام (الذى يفهمه كل أحد) وهو جائز عند الحاجة إليه (كالكذب على الزوجة وبين الاثنين وفي الحرب وما الحق بذلك) ويكره (كرهة تحريم) بدونها إلى آخره ملخصاً.

فما بال الكلام إذا كان الظاهر منه مستنقاً للآفات والمقاصد.

ثانياً: إن الإيهام وحده كاف للمنع، ففي «رد المحتار» مجرد إيهام المعنى المحال

كاف في النع عن التلفظ بهذا الكلام وإن احتمل معنى صحيحا، ولذا عمل المشائخ  
بقولهم لأنه يوهم، إلى آخره.

ونظيره ما قالوا في أنا مؤمن إن شاء الله فإنهم كرهوا ذلك وإن قصد التبرك  
دون التعليق لما فيه من الإيهام كما قوله العلامة التفتازاني في «شرح العقائد» وابن  
الهمام في «المسيرة».

فما رأيك إذا كان من الكلام الممنوع هو التبادر.

ثالثاً: وليس هذا فحسب ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد فقط، بل بقى أن  
نستفسر عن تلك الملائكة التي سوّغت هذه الإضافة وما هي تلك المناسبة بين  
فلسفته هذه وبين تلك المعجزة العظيمة التي منحها الله جل جلاله لنبي جليل  
بقدرتنه الكاملة، والتي يبينها في القرآن الكريم فإن قال بأنّي شبّهت المعانى المغلقة  
بالجديد كما شبّهت توضيحة تلك المعانى بـالآن الجديد فإن قال هذا فلا شك إذ إنه  
مغرور بفلسفته وجزئي على مقام النبوة الرفيع وجسور على منصب الرسالة المنبع  
سبحان الله، فأين هذه المعانى النجسـة الملطخة بكل أنواع الأنجاس والأرجاس من  
تلك المعجزة العظيمة التي وهبها الله عز وجل لنبي عظيم، فأين الأرض من  
السماء وأين الشريا وأين الشريـ وـما التـاسبـ بينـ الـبولـ والـغـسلـ؟

وقد مر بك قريبا حكم التشبيه بالملائكة ولا شك أن الأنبياء عليهم التحيـة  
والثناء أفضـلـ منـ الملـائـكةـ، ولـقدـ صـرـحـ أـئـمـةـ الـدـيـنـ أـنـ شـخـصـاـ هـذـاـ شـائـهـ عـارـ عنـ  
تـوقـيرـ النـبـوـةـ وـتـعـظـيمـ الرـسـالـةـ، وـمـسـتـحـقـ لـلـزـجـرـ وـالـنـكـيرـ وـمـسـتـوـجـبـ لـلـضـربـ  
وـالـتـعـزـيزـ وـمـعـرـضـ لـلـسـجـنـ وـالـجـسـ وـقـالـواـ يـحـسـبـونـهـ هـيـاـ وـهـوـ عـنـ اللهـ عـظـيمـ لـأـنـهـ  
مـنـ الـكـبـائـرـ وـإـنـ لـمـ يـقـصـدـ القـائلـ إـهـانـةـ النـبـيـ وـقـىـ (ـالـشـفـاـ)ـ وـ(ـنـسـيمـ الـرـيـاضـ).

والحاصل، أنه لن يرض مسلم أبدا أن يلوى أحد تلك الآية الكريمة التي قدحـ  
أـحـدـ الـأـنـبـيـاءـ الـمـكـرـمـينـ وـيـلـصـقـ بـذـاتهـ بـالـتـشـبـيـهـ أوـ التـمـثـيلـ وـهـلـ يـعـقـلـ أـنـ يـلـبـسـ تـاجـ  
الـمـلـكـ الـجـلـيلـ الـقـدـرـ الـعـظـيمـ الشـأـنـ أـحـدـ الـأـسـاكـفـةـ أوـ الـزـيـالـيـنـ نـسـأـلـ اللهـ العـافـيـةـ.

**الوجه الثالث:** ومن هنا تبين أنه لا نجاة فيه ولو أردنا من كلمة «ناطق» طلبة النطق أو قراء هذا الكتاب على تقديم «اللام» بين المضاف والمضاف إليه) لأن التشبيه كما لا يجوز لنفسه كذلك لا يجوز لغيره كما لا يخفى.

**الوجه الرابع:** فإن جأ إلى التحاليل وقال بأن المراد من «ناطق أَنَا لَهُ الْحَدِيدُ» هو مبدلنا داود عليه السلام نفيه فإن الإضافة حيث لا شك أنها في غاية من الروعة والحسن بادئ الرأى، غير أن تلك الآفات السابقة سترجع مرة أخرى لأن فيه افتراها مبيناً على نبى من أنبياء الله تعالى وتنقيصاً من شأنه وعلمه العزيز كما يظهر مما قررناه آنفًا فإن حاول الفرار من هذا الافتراض بدعوى أنه لم يقصد حقيقة النسبة بل الأمر هنا على التشبيه كما يقول بعض المتساهلين السفهاء للنعم الجميل بأنه نعمة داودية أو الحسان داودة نقول إن جأ إلى هذا فقد رجعت مفاسد التشبيه المارة بك آنفًا التي تكفى للوعيد والتهديد. والخلاصة أنه لا مفر من المفاسد وإن بلغنا أسباب السماوات والأرض والعياذ بالله تعالى.

تعالوا نستبع الآن تلك القبائح التى تستلزم هذا الاسم على تقدير الوصف أى بتتوين «ناطق» وهذا التقدير لا يسع «من» فى حال من الأحوال إلا إذا ارتكبنا بعض التمحولات وبلغنا إلى بعض التكلفات النحوية بأن نجعل «من» تعليلاً أى «الأجل» وعلى هذا التقدير يراد من ضمير المتكلم فى «أَنَا لَهُ الْحَدِيدُ» مؤلف الكتاب كما لا يخفى ومن «ناطق» الطلبة أو القراء ومن الحديد المعانى الدقيقة ومن الإلابة أيضاً وإيانتها فالمعنى المستند على هذا التقدير، هذا النطق الجديد لأجل الطلبة أو القراء الناطقين الذين أوضحتنا لهم المعانى الدقيقة، ومن الممكن أن لا يشعر الغربى محل دور شرعى غير أن محل دور الشرعى الشديد لا يزال قائماً بعد، فإن استعارة الكلام الإلهى تعالى عظمته لكلام الناس واستعماله فى هذا الموضوع وأمثاله حرام وموجب للنکال والویال حتى أفتى معظم الفقهاء بالکفر والعياذ بالله سبحانه وتعالى، ووجه التحرير بين واضح وليست حضر عظمة ربه نبارك وتعالى في هذا الموضوع أولاً ثم ليتأمل من الذى قال «أَنَا لَهُ الْحَدِيدُ»؟ ومن

المراد من ضمير «نا»؟ وإلى أين يشير الضمير في «اله»؟ وما هو المضمون الذي تفيده الآية الكريمة؟ ثم انظر كيف يستعمل هذا الكلام الرفيع؟ وكيف يستعير ضمير «نا» المعبر عن المولى عز وجل للمهين الحقير وكيف يلوى ضمير «اله» المعبر عن نبي عظيم إلى نفسه؟ وكيف يصرف ذلك الكلام الرفيع إلى هذه الترهات والأباطيل؟ والله ورسوله أعلم ب fasadaها ولقد صدق من قال، إن تاج الملوك لا يليق بالرعاة أو الزيالين.

هذا، وإن الإنسان قلما يقتنع بقول الخصم وإن كان حقاً، لأن النفس دائمًا تنهض للدفاع عنها والانتصار لها ولذا فلستحضر في ذهنه رجالاً غيره ثم ليفكر ليسهل الاقتناع فمثلاً إذا أعطى زيداً عمرو ما لا كثيراً ثم قال إننا أعطيناك الكوثر فلا شك أن زيداً يعد منقصاً ومهيناً لكلام الله عز وجل ورسوله فـأين المولى عز وجل؟ وأين زيد؟ وأين المصطفى ﷺ؟ وأين عمرو؟ وأين الكوثر؟ وأين المال؟ وكذلك لو أرسل زيد عمراً لهمة فقال بكر من أرسلك؟ فقال زيد، أمر من عندنا إننا كنا مرسلين، وعلى هذا قياس غيره من أراجيف جهلة الناس.

أجل، إن مثل هذا الاستعمال يستلزم الكفر والاستخفاف غير أن من العلماء من أزم بالالتزام فكفر ولكن المحققين أفسوا بالحرمة لعدم الالتزام، فائقن هذا فإنه مفید وتحقيق المقام يقتضى المزيد وإن له عند العبد الضعيف بفضل المولى القوى اللطيف تنتيحاً ويسطاً وتوضيحاً وضيطاً يطلب هو وأمثاله من مجتمعنا المبارك إن شاء الله تعالى «العطایا النبویة فی الفتاوی الرضویة»<sup>(۱)</sup>، وبهذا القدر وضح الأمر وبيان الفرق بيته وبين التضمينين فإنه سائع عن الأکثرين وإن ذهب ناس إلى التحرير

(۱) هذه عبارة عن مجموعة مباركة لفتاوی الشیخ الإمام - رحمة الله تعالى - في النسی عشر مجلدًا وهي مطبوعة مشداولة بين المخواص والمعوام في شبه القارة الهندية وما زالت في اللغة الاردية وهناك محاولات لترجمتها إلى اللغة العربية من قبل الطلبة الهندود الشطفاء - حفظهم الله تعالى - وذلك إثراء لمكتباتنا العربية بهذه التحفة الفالیة. محمد جلال رضا.

والله سبحانه بالحق علیم، ففي «الفتاوى الهندية»، جمع أهل موضع وقال «فجمعناهم جمماً» أو قال «وحشرناهم فلم ننادر منهم أحداً» كفر، إلى آخره ملقطاً.

وفيها أيضاً إذا قال لغيره «خانه جنان باك كرده كه جون (والسماء والطارق) أى ظهرت البيت حتى أصبح مثل السماء والطارق قيل يكفر وقال الإمام أبو بكر بن إسحاق - رحمه الله تعالى - إن كان القائل جاهلاً لا يكفر وإن كان عالماً بـكفر، وإذا قال حتى أصبح «قاعاً صفصفاً» بهذه مخاطرة عظيمة وإذا قال لباقي القدر «والباقيات الصالحات» بهذه مخاطرة عظيمة كذا في الفصول العمادية، وفي تتمة الفتوى من استعمل كلام الله تعالى في بدل كلامه كمن قال في ازدحام الناس فجمعناهم جمماً كفر وفي المحيط من جمع أهل الموضع وقال «وحشرناهم فلم ننادر منهم أحداً» أو قال «فجمعناهم جمماً» كفر وقد علل الفاضل على بن سلطان محمد المكي فقال لأنه وضع القرآن في موضع كلامه، وفي الإعلام نقل عن علمائنا في فصل الكفر المتفق عليه أو ملأ قدحه فقال «كأساً دهاقاً» أو فرغ شراباً فقال «فـكانت سراباً» وقال باستهزاء عند الوزن أو الكيل، «وإذا كالوهم أو وزنوهـم يخسرـون».

والحاصل ليس هناك أى احتمال مرضي في هذا الاسم يقبله أرباب العقول وينجحـي واضحـي الاسم من ارتکاب الإثم وذلك بعد التشـيع قدر الوسـعـ.

ولا شكـ أنـ مثلـ هـذاـ الـكتـابـ لاـ يـليـقـ بهـ إـلاـ مـثـلـ هـذاـ الـاسمـ الخـيـثـاتـ للـخـيـثـينـ والـخـيـثـونـ للـخـيـثـاتـ.

نـسـأـلـ مـولـانـاـ العـفـوـ وـالـعـافـيـةـ وـالـنـعـمـةـ الـواـفـيـةـ وـالـرـحـمـةـ الـكـافـيـةـ وـالـهـدـاـيـةـ الشـافـيـةـ وـالـعـيـشـةـ الصـافـيـةـ إـنـهـ هوـ الـغـفـورـ الرـحـيمـ وـلـاـ حـولـ وـلـاـ قـوـةـ إـلـاـ بـالـلـهـ الـعـلـىـ الـعـظـيمـ وـصـلـىـ اللـهـ تـعـالـىـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ وـمـوـلـانـاـ مـحـمـدـ وـآلـهـ وـصـحـبـهـ أـجـمـعـينـ،ـ آـمـيـنـ.

الوجه الخامس: ألا يقصد نقصاً ولا يذكر عيناً ولا سباً ولكنه يتزوج بذكر بعض  
أوصافه عليه السلام على طريق التشبيه به أو على سبيل التمثيل وعدم التسوقي لنبيه صلوات الله عليه  
(التشبيه نفسه به وأين الشريя وأين الشرى) يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم (أنه  
من الكبار) فإن هذا وإن لم تتضمن سباً ولا أضافت إلى الملائكة والأنبياء نقصاً  
ولا قصد قائلها إزراءً ولا غضباً فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة حتى شبه من شبه  
في كرامة نالها أو ضرب مثل بين عظم الله خطره وشرف قدره وألزم توقيره وبره  
فحق هذا (القاتل) وإن درى عنه القتل الأدب (بضرب أو لوم أو زجر) والسجن  
ولم يزل المتقدمون (من السلف وكبار الأئمة) ينكرون مثل هذا من جاء به  
(فليحذر من ارتكاب هذه القبائح الشديدة الوزر العظيمة الإنم فلأنها ربما جرت  
إلى الكفر نعود بالله من ذلك). وقد ألقى الرشيد على أبي نواس في قوله «إن  
عصى موسى بكفى خصيبي» (خصيبي عبد الرشيد ولاه مصر استعار عصيا موسى  
لسياسة حاكهم وقطع ظلمهم ففيه استعارة تشبيه بدبيع لكن فيه سوء أدب لما فيه  
من جعل العصا التي هي معجزة لرسول بكاف خصيبي عبد من عبيد الخلفاء  
وجعل ذلك العبد كرسول من أولى العزم) وقال له (الرشيد لأبي نواس ) يا ابن  
الخناء (هذا مما تشتتم به العرب والخناء هنا أمه من اللحن وهو اللحن فاستعير  
للفاحشة أو للمرأة لم تختتن أى يا دنى الأصل ولثيم الأم تستهزء بعصيا موسى  
(وهي معجزة نبي عظيم) وأمر بإخراجه من عسكره من ليته إلى آخره ملخصاً.



الإفصاح ووقع به التجاذب في إعطاء الكفر البوح، فللفظة «عندهم» في القول السادس - فربما جاء للتبري وإن كان الظاهر ثمة خلاف ذلك عند العارف بأساليب الكلام - وهذا القسمان لا إكفار بهما عند المحققين، أما الثاني فواضح لأن من يشهد بالشهادتين فقد ثبت إسلامه بيقين واليقين لا يزول بالشك وقد روى ذلك عن أئمتنا كما في حاشية السيد أحمد الطھطاوی عن «البحر الرائق» عن جامع الفضوليين عن الإمام الطھطاوی عن الأجلة الأصحاب رضى الله عنهم.

وأما الأول فلما صرخ الأئمة الأثبات أن التكفير أمر عظيم وخطر جسيم كل حم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فيستقى، مسالكه عسيرة، ومهالكة كثيرة فالذى يحتاط لدينه لا يتجرأ عليه إلا بدلائل كشموس بل أجلى حتى إن المسألة إن كانت لها وجهة إلى الإسلام وتسعون وجهة إلى الكفر فعلى المفتى أن يميل إلى الوجهة الأولى فإن الإسلام يعلو ولا يُعلى وإن كان هذا لا ينفع القاتل عند الله تعالى إن كان أراد وجهة أخرى.

وقد قال مولانا العلامة زين بن نجيم المصرى فى البحر، إن الذى تحرر أنه لا يفتى بتکفير مسلم<sup>(١)</sup>، أمكن حمل كلامه على محمول حسن أو كان فى كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة - قال رحمة الله تعالى - فعلى هذا أكثر الفاظ التکفير المذكورة لا يفتى بالتكفير بها وقد ألمت نفسى أن لا أفتى بشئ منها إلى آخره.

قال البحر الخير الرملى، أقول لو كانت الرواية لغير مذهبنا وبدل على ذلك اشتراط كون ما يوجب الكفر مجمعاً عليه إلى آخره، تابعة عليه أبو السعود فى «شرح الأشياء».

وتشد فصل الكلام فى هذه المرام تاج المحققين سراج المدققين سيدنا الوالد،

(١) وقد عثرت خلال مطالعتي على رسالة نفيّة للإمام حجة الإسلام الفرزالي مسماة به «فصل الشرفة» ضمن مجموعة الرسائل للإمام عقد فيها باباً لمناقشة قضية التکفير وضوابطه فعليك بها إن أردت التوسع فيها، محمد جلال رضا.

قدس الله سره الماجد في بعض فتاواه التي شدد فيها النكير على بعض أعلام عصره فلم يردوا شيئاً وكانوا إليه مذعنين ومنها وهو الأكثر، ما لا عذر فيه لزيد ولا مهل، ولا رويد، كالأقوال الأربع الأولى وغيرها فإنه قد ناضل فيها ضروريات الدين وخلع من رقبته رقة اليقين ورأى بما لا تغسله البحار ولا تساعده الحيل ولا الأعذار وقد علمت أنه إذا كان عن علم وعمد وطوع ولا ريب في وجودها هنا فلا تنفع العزائم ولا تمنع التمايم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

واعلم أن العبد الضعيف لطف به المولى اللطيف، لما وصل إلى هذا المقام وحان أوان الحكم على المتكلم بذلك الكلام اعترضت له حشمة كلمة الإسلام، فاستعظم الجزم بالإكفار أيمما استعظام فرقاً من أن تكون هناك دقique عميقه لم يصلها فهمي أو شاذة لم يحط بها علمي ، فاستخرت المولى سبحانه وتعالى وجعلت أراجع الكتب وأقلب الأوراق حتى أكملت الجهد وأنهيت الجهد حسب ما يطاق، وصرفت فيه يومين كاملين، فلم أر شيئاً نقر به العين بل كلما توغلت في تبع الأسفار تابع الأقوال تؤيد الإكفار إلى أن وقفت على معظم المسائل وعامة الفروع في كتب الأمثال من أصحابنا الخفية وعمائد الشافية وزعائم الملائكة والذى تيسر من كلمات الخبرية فإذا هي جميرا كما هي على حدة كأنها ترمى عن قوس واحد فايقنت أن ليس لمرجل محيسن ولا عن الحكم بالإكفار مفيض لهم إلا حكاية ضعيفة عن بعض علمائنا في «الجامع الأصغر» أن عقد الخلد هو المعتبر أوردها ثم ردتها ولكن زدت بها تلعثما ووددت الوقوف هناك تائماً علماً مني بأن الخلاف وإن كان ضعيفاً هنا كاف.

فأمعنت النظر، وأنعمت الفكر حتى فتح المولى تبارك وتعالى أن الإكفار عليه الإجماع وإنما وقع في الكفر النزاع، فلا شك ولا ارتياح أن من تكلم بكلمة الكفر طائعاً عالماً عالماً صاحياً فهو كافر عندنا قطعاً لا يتقطع فيه عنوان ومحرى عليه أحكام الردة ويحرم على أمرائه أن تمكّنه من نفسها ويجوز لها أن تنكح من دون

طلاق من تشاء والسائل تحبسه ثلاثاً ندبها ونجلبه ليرزق توبها، فإن ثاب وإلا فتل  
ورمى بجيفة كجيفة الكلاب من دون غسل ولا كفن لا صلاة ولا دفن وقطعتنا  
ميراثه عن مورثه المسلمين وجعلتنا كسب ردهه فيما جمع الجميع المؤمنين إلى غير ذلك من  
الأحكام المشروحة في الكتب الفقهية.

أما أنه هل يكفر بذلك فيما بينه وبين ربه تبارك وتعالى فقيل لا ما لم يعقد  
الضمير عليه لأن التصديق محله القلب وهذه هي الحكاية التي أشرنا إليها وقال  
عامة العلماء وجمهور الأمانة نعم وإن لم يعقد لأنه متلاعب بالدين وهو كفر  
يقين وقد قضى الله تعالى أن مثل ذلك لا يقدم عليه إلا من نزع الله الإيمان من  
قلبه والعياذ به سبحانه وتعالى: «وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لِيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخْوَضُ وَنَلْعَبُ قَلْ  
أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَهُمْ»، «لَا تَعْتَدُوا رَبُّكُمْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ»  
[التوبه: ٦٦].

وهذا هو الصحيح الرجيع المذيل بطراز التصحيح - فهناك عملت في ذلك  
رسالة جليلة وعجالة جميلة تشمل على غرر الفوائد والدرر الفرائد وسميتها  
«البارقة اللامعة في سوء من نطق بکفر طوعاء»<sup>(١)</sup> ليكون العلم علماً على التاريخ  
كرسالتنا هذه التي نحن الآن مفيضون فيها سميتها «مقامع الحديد على خد المنطق  
المجده».

فعليك بها - فإن حفقت فيها أن إكفار الطائع هو الإجماع من دون نزاع وأقامت  
على ذلك دلائل ساطعة لا ترام وبراهين قاطعة لا تضام، فسكن الصدر واستقر  
الأمر وبيان الصواب وانكشف الحجاب والحمد لله رب العالمين.

\*\*\*

---

(١) هذه رسالة قيمة كتبها المؤلف العلامة - رحمة الله تعالى - بالعربية بأسلوبه الراائع وقد ابتهها كما  
هي، وهي كما ترى كفيلة بالرد على تلك التهمة التي أصبت بالشيخ زوراً وبهتاناً بأنه كان  
متسرعاً في تكفير المسلمين. محمد جلال رضا.

## حكم نهائى فى صاحب الكتاب الفيلسوف

اعلم أن الأقوال المذكورة بعضها حرام موجب للإثم وببعضها بيعة وضلاله ومعظمها كلمات كفرية والعياذ بالله تعالى.

وإن زيداً في ضوء الأحكام الشرعية فاسق وفاجر مرتكب الكبائر، وهو متبع خاسر وضال خادع بأقواله المذكورة. وفي هذا القدر يقين محض لا يشويه شك أو ارتياح وإلى جانب هذا لا مانع من حكم الكفر والارتداد فيما نرى لأن كلمات المذاهب الأربع المخفية والشافعية والمالكية والحنبلية متفقة في هذا الباب بل فتاوى الصحابة والتابعين وأقضيتها جميعاً قد أفادت هذا المعنى، كما يشاهده في «البارقة اللماء».

وإن سلمنا بصعوبيات بالغة بأن هناك سبيلاً من النهاة فعلى أقل تقدير هو كافر عند معظم علماء الدين وجمahir الأئمة الكاملين بصفة عامة وبذلك يجري عليه أحكام الارتداد وإن مات بغیر توبۃ فقد دخل النار، والعياذ بالله القدير الباري وهذا القدر من الحكم بين جداً لا خفاء فيه. العظمة لله، وهل يستهل الكفر؟ ولو لم يتفق الجميع، ففي «الإعلام»، لو تشبه بالعلميين فأخذ خشبة وجلس القوم حوله كالصبيان فضحکوا واستهزءوا كفر، زاد في الروضة، الصواب لا ولا يفتر بذلك فإنه يصير مرتداً على قول جماعة وكفى بهذا خسارة ونفيطاً إلى آخريه ملقطاً.

إلى جانب ذلك قد مرت بك عبارة «الشفا الشريف»، قد لا تكون بعض الأقوال كفراً في حد ذاتها غير أن تكرارها قد يؤدي إلى الكفر وصدرها مرة بعد مرة قد يصبح دليلاً على أن القائل غير مهتم بالإسلام وحيثذا لا يكون من شك في كفره.

سبحان الله إلّا يكون صدور هذه الكثريات الحالصة بكل هذه الاتهامات والحفاوات دليلاً على كفر القائل؟ ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

فمن أوجب الواجبات على زيد أن يجدد إسلامه ويستوب عن هذه الكفريات والصلالات على رءوس الأشهاد، ولا ينفع التلفظ بكلمة الشهادة باللسان سراً بالطرق العادلة فقد كان يرددتها قبل التوبة أيضاً بل يجب عليه أن يصرح جهراً بأن تلك الكلمات من الكفريات التي تخرج من الإسلام وقد تبت منها ورجعت إلى الحق فعندئذ تصح توبته عند أهل السلام ولبيؤمن من جديد بأن لا خالق سوى الله عز وجل ولا قديم غيره - تعالى - وأنه مبدر للعالم جمِيعاً وهو على كل شيء قادر، وليشهد أن هذه العقول من مخترعات الفلاسفة الباطلة إلى غير ذلك من الواجبات التي تظهر بالمراجعة إلى ما قدمنا من المسائل ففي «البحر الرائق» أتى بالشهادتين على وجه العادة لم يفعلا مالما يرجع عما قال إذ لا يرتفع بهما كفره كما في «البزارية» و«جامع الفصولين» كما يجب عليه أن يشهر ويعلن عن توبته ورجوعه عن هذه الكفريات والصلالات كما قام بنشرها وإشاعتها، فالتجوية إنما تكون حسب طبيعة الذنب فالذنب المشهور يجب أن تكون التجوية عنها أيضاً مشهورة، فقد روى الإمام أحمد في كتاب الزهد والطبراني في المعجم الكبير عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا عملت سبعة فأحدث عندها توبه، السر بالسر والعلانية بالعلانية، قلت وإن شاء حسن على أصول الحنيفة.

ولا أقول عن هذا الكتاب المخرب ما قال به بعض العلماء الحنفية والشافعية في شأن الكتب المنطقية بصفة عامة من جواز الاستجاء بأوراقها إذا خلت عن اسم الله عز وجل ورسوله ﷺ ففي «شرح الفقه الكبير» لو كان الكتاب في المنطق ونحوه تجوز إهانته في الشريعة حتى أفتى بعض الحنفية وكذا بعض الشافعية بجواز الاستجاء به إذا كان خالياً عن ذكر الله تعالى مع الاتفاق على عدم جواز الاستجاء بالورق الأبيض الخالي عن الكتابة. إلى آخره ملخصاً.

لا أقول ذلك ولكن أقول إن يمتنع عن إعادة نشره وأن يحرق ما بقى من أجزاءه وأن يسعى جاهدًا ما يمكن لإخمامه ناره وإماتة ذكره لأن المنكر الباطل لا يستحق إلا هذا، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحْبُّونَ أَنْ تُشَيَّعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

سبحان الله، إذا كان على نشر الفاحشة هذا الوعيد الشديد المذهل فما بال نشر الكفر إذا؟ والعياذ بالله العلي العظيم.

\*\*\*

## خاتمة

خاتمة رزقنا الله حسنها - في بعض التنبهات الزاكبات

التبه الأول: أيها الحبيب القد أهلك الإنسان العجب وال الكبراء، يذنب فإذا قيل له تب، أخذته العزة واستكير، فلو كان عاقلا لرأى الهوان والمذلة في الإصرار على الذنب لا في الإقلاع عنه.

يا هذا، إن الرجوع إلى الحق لا ينافي منصب العلم بل العودة إلى الحق هو أول ما يدعو إليه العلم واعلم أن الجدال أسوء من كل جهل لا سيما في الكفرات والعياذ بالله تعالى.

يا هذا إن الإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة، ولا شك أن الإصرار على الكفاريات سيؤدي لا محالة إلى قعر جهنم.

يا هذا، لقد ذم الله رب العالمين شخصاً فقال، «وَإِذَا قِيلَ لَهُ أَتْقَى اللَّهَ أَخْذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسِبَهُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمَهَادُ» [البقرة: ٢٠٦] فبالله عليك ارحم على نفسك ولا تكون مثله.

يا هذا، إن الله عز وجل قد رد على قوم فقال، «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْرَا رَءُوسُهُمْ وَرَأْيُهُمْ يَصْدُونَ وَهُمْ مُسْتَكِبُرُونَ»، [المافقون: ٥] وأنا أدعوك إلى الله وأن تؤمن بالله ولا تحيد عنه.

يا هذا، هل نظن أن الرجوع إلى الحق يمحى من شأنك في أعين الناس وتتخشى أن تصاب علومك الفلسفية بالكساد إذا خضعت للحق.

حاشا، إن هذا إلا وسوسة شيطانية فلا تصح إليها واقراً لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وتب إلى الله وبذلك تكون عزيزاً عند الله تعالى وأن ما ظنت أن الخلق يستهينون بك إنما هو خطأ ممحض، بل الناس يرونك منصفاً إن رجعت إلى الحق وإنما يرونك متكبراً شريراً ومتعصباً مفسداً.

يا هذا، أتخشى أن يصيير هذا المجيب أعلم منك في أعين الناس إن خضعت للحق، حاشا لله، إن اهتدى عبد من عباد الله على يدي فإنه أقر لعيبي وأسر لقلبي بآلف مرة من أن يتتفوق علمي على أحد لدى الخلق.

أجل أجل، إنك إن أعلنت التوبية ورجعت إلى الحق أكتب لك شهادة بفضلك واعترافا بجهلي، يا هذا، ابتعد عن التعصب قليلاً وتفكر في خلواتك هذه الإصرار على الكفر وعاقبته الوخيمة خير لك أم لوم بعض الجهال وتحقيرهم بعد توبتك ورجوعك إلى الحق.

هيئات هيئات، إن عذاب الله لشديد وإنه لا ت إنما أقول لمصلحتك أنت فلا تؤثر النار على العار.

اللهم اجعل نصيحتي نافعة، اللهم اهد عبادك هذا وثبت قلوبنا على دينك، يا واجد يا مساجد لا تزل عن نعمة أنعمتها على بجاه من أرسلته رحمة للعالمين وأقمته شفيعاً للمذنبين المخلطين الهالكين وصلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه أجمعين - آمين -

التبيه الثاني: أعلم إن اشتعلت نار التعصي فيك - لا سمع الله تعالى به - وغفلت عن كل شيء فلا تغفل أننا لا نولى أدنى اهتمام إلى قول فلان هندي ولا علان سندي أبداً إذا خالف عقائد القرآن الكريم أو السنة المطهرة وأن الأحكام الشرعية لا تخصن بشخص دون شخص العزة لله، إن الشرع حجة على الجميع وليس أحد حجة على الشرع فمن صدر منه هذه الكفريات وأمثالها استحق الحكم بقدر السوء كائناً من كان، إنما تتفق مع هذا أو ذاك ما لم يعارض الدين الحق وإلا فررنا منه بل ومن ظله فرار الأسد عيادة بالله.

أعلم أننا إنما نخضع للقول الذي يوافق القرآن والسنة لا لأنه قول فلان بل لأنه يواافق الصراط المستقيم، فإن كان غير هذا فسواء أكان من زيد أو عمرو أو خالد أو بكر نضرب به عرض الماء ونتمسك بسنة رسول الله ﷺ وتلوذ بعتبه.

اللهم لا تبعدنا من بابه لا في الدنيا ولا في الآخرة، آمين اللهم آمين.  
سيدنا محمد العربي رض، عزتنا في الدارين فمن لم يتذلل لبابه فلا نصيب له من  
الكرامة.

### التبيه الثالث، واجب الملاحظة نافع الطلبة:

فليتعظ طلبة العلوم في هذه البلاد في هذا الزمان، ولينظروا إلى تلك الآفات  
المهلكة التي يجرها التوغل في الفلسفة، أليست تلك الأقوال التي جاء الاستفسار  
عنها قد بلغت ما بلغت إلا بسبب تلك الفلسفة الباطلة فقد توقدت نارها الخفية  
 شيئاً فشيئاً في غفلة حتى نطحت لظاماً عنان السماء.

أيها الحبيب، إن أول ما يخدع الشيطان به هو أن ينفث في روع الطالب أن  
المقصود بالذات هو العلم الديني والعلوم العقلية إنما هي وسائل وألات تؤدي إلى  
الغرض المنشود والهدف المقصود فالاشتغال بها لا حرج فيها ولا بأس بها، هيهات  
 وإن سلمنا هذا على إطلاقه، فلننظر إلى أحوال الطلبة واهتمامهم المتراقص  
بوسائلهم ومقاصدهم خجلهم منه مكين في الآلة ليل نهار ناسين المقصود الرئيسي  
نسياناً تماماً، فما أحسن الوسيلة وما أجمل الهدف.

في الصبح تعلم في وضوح، مع من قضيت ليلة العشق في الظلم.

أيها الحبيب، إن كنت تتعلم العلم للأخرة، فوالله إن الفلسفة لضارة جداً في  
الآخرة، وإن كنت تتعلم للدنيا، فلأن تحصل على الشهادة الثانوية أفع لك من هذا  
فإنه قد ينيلك وظيفة تكسب بها الكفاف.

أيها الحبيب، بالله عليك، أنتصف ولا تظلم، إن سنته المصطفى ص تقول إن  
العلم تراث الأنبياء عليهم السلام والعلماء ورثة الأنبياء، فانظر هل هو ذلك العلم  
الذي عكفت عليه أو هو هذا العلم الذي أهملت وغفلت عنه، انظر بعين الإيمان  
وقل بلسان الإسلام، هل نيايتك عن المصطفى ص خير أم تقليلك الأعمى لابن  
سينا والفارابي، انظر الطريق من أين يبدأ وإلى أين ينتهي؟

أيها الحبيب إن الشيطان ليneath في قلوب هؤلاء بأن العلوم الفلسفية هي التي تلقي بيذل الحياة الغالية فيها لأن مداركها عميقه ومسالكها دققة فإن ظفرت بها فالعلوم الدينية ثانية إليك عفوا بلا جهد.

غير أن هذا والله خطأ ممحض، فإنك لم تذق حلاوة هذه العلوم الربانية وإلا لكنت عرفت أن العلوم هي العلوم الدينية التي تحمل في طيها من المفاتئ واللطائف والمشوقات والرغائب أكثر بالف مرة مما في هذه العلوم الفلسفية غير أن الناس أعداء لما جهلوها.

دع عنك هذا كله فقد مرتآلاف السنين وسلسلة التدقيقان النفسية والتحقیقات الرائعة متواصلة لا تكاد تنتهي، ولم ينفع بحث حتى الآن، ولم تصنف قضية بعد وقد قال الناس إن العلم ينضج بتلاحق الآراء غير أن الأمر هنا يختلف تماماً بل تعقدت المسائل هنا بتلاحق الآراء.

ألا ترى أن كل واحد من المتقدمين والمؤخرین يأتي مع كل احتشام بتحقيقاته كأنها الحق الجلى ولم يفارقه الحق الصريح والصواب الراجح ولو لحظة واحدة فلما يخلفه الآخر يأتي بسوهماته الجديدة بنفس الاحتفاء والاهتمام فتسقه العاقل السابق وربما يجعل هذا الجديد ذلك القديم عقبا على رأس، ولا تكاد تعرف هذه السلسل أى حد حتى يأتي أمر الله والمعضلات كما هي لم ينفع شيء منها.

كل من جاء بغير دارا ، ومات عنها فخلفه الآخر يعمرها

فأخبروني ما هي نتيجة هذه الضوضاء؟ وما حصاد هذه المعارك الحامية؟  
فلما حان الأجل وقرب الموت خاب عنه كلي شيء وتبين أن كل ما تعلم إنما  
كان أسطورة من الأساطير لا حقيقة لها.

فمنهم من يضر على مديه تحسناً ونسلماً في حالة الاحتفاض ويقول يا ولتني

ضاع عمرى ولم أحقق شيئاً سوى أن كل ممكן محتاج وأن الإمكان أمر عدم فرحة من هذه الدنيا خاوي الوفاض<sup>(١)</sup>.

الأمر الثاني، أن حصول العلوم الدينية بمجرد حصول العلوم الفلسفية عفوا وتلقائياً لا شك وهم باطل فضيح لا وجود له إلا في أذهانكم فقط صحيح ما يقال أن الاحتياج إلى الشيء يرفع من قيمته ويعلق قدره، ولتكلف أحد من الفلاسفة بأن يحل عشر مسائل دينية فقط عن طريق تفلسفه تعرف مدى أهمية هذه العلوم الفلسفية وإلا فاللسان مطلق العنان في سعة الميدان، والمثل مشهور لا يصف أحد رؤيه بالحموضة.

أيها الحبيب، إن هذه المناهج الدراسية التي تدرس للطلبة في هذه البلاد، ربما يظهرها السفيه متهي العلوم وغایتها، غير أن الأمر على عكس ذلك تماماً لأن هذه المقررات تشتمل على مبادئ العلوم الأساسية ويقصد من ورائها تربية الاستعداد والملكة لدى الطلبة، أما العلم الحقيقي فبعيد جدًا، ولقد صدق من قال، يجب السفر الطويل لتكامل الخبرات العلمية.

الآن ترى أن الطالب المسكين قد هضم الشفا<sup>(٢)</sup>، والإشارات بأكملها ولم يدر بعد من أين تكتسب أصول الدين، ولم يعرف ما يجب اعتقاده في شأن الله عز وجل ورسوله ﷺ فإن علم شيئاً فرعاً عن طريق السمع والتقليد، أما مسائل الحلال والحرام فلا تسأل عنها، من المؤسف حقاً أن واضح المناهج الدراسية إنما قرر عدداً زهيداً من الكتب الدينية وأكثر من الكتب المنطقية ليتعود الطلبة على التفكير

(١) وما أحسن ما يصور هذه الحيرة الفلسفية في آخر لحظات الفيلسوف في الحياة:

لقد طفت في تلك العاشر كلها وسررت طرف بين العالم

فلم أر إلا وأضعا كسف حائر على ذقن أو قارعاً من نادم (محمد جلال رضا)

(٢) الشفا والإشارات كتابان شهيران لابن سينا في الفلسفة والمنطق كان الطلبة الهنود يدرسونهما ضمن المقررات الدراسية بشراعمة في عصر المؤلف - ورحمه الله تعالى - (محمد جلال رضا).

والتأمل لشلا تضرهم فيما بعد الأوهام الباطلة بعد رسوخ المبادئ الدينية بيد أن الأمر قد انعكس كلياً فاجتاحتهم الآفات الفلسفية والاصطلاحات الحرة مثل لم، ولا نسلم، أما المبدأ الأساسي فقد قامت القيامة عليه «أيها العزيز» لقد روى الإمام أحمد والترمذى والنسائي وأبي ماجه وأبن حبان والحاكم والبيهقى وعبد بن حميد والبغوى بأسانيد صحيحة عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ : «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإن هو نزع واسغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه، وهو الران الذى ذكر الله تعالى : «كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون»، الا فاحذر لشلا تشكل هذه الفلسفة المزخرة نكتة سوداء في قلبك ووصمة ظلماء في ذهنك بحيث لا تبقى فيه سعة لاستقبال العلوم الحقة الصادقة الربانية يعده هل تظن أن العلوم الدينية إنما تحصل بمجرد حصول العلوم الفلسفية تلقائياً؟ حياشا، بل الواقع على العكس تماماً، فهو استقرت هذه الأوهام ورسخت أقدامها في قلبك فلن تتطرق إليه العلوم الربانية أبداً لأنها نور والنور لا يتائق إلا في المراة الصافية المصونة.

أيها الحبيب، لا يزدرى العلوم الربانية المتغلبون في الفلسفة الماكفون عليها إلا بسبب تلك النكتة السوداء وبذلك يستهزءون بعلماء الدين ويستجهلونهم، ويرون لقب العلم وقفا عليهم.

لو كانت مرآة قلوبهم صافية مصقولة لرأوا أن هؤلاء العلماء الربانيين هم التواب عن المصطفى ﷺ وهم الورثة الحقيقيون له، وما أنفس تلك الشروة التي يحملونها في قلوبهم والتي أنزل المولى تبارك وتعالى لأجلها الكتب وقضى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعمارهم لتبلغها إلى الناس وتفهيمها لهم، فلا شك أنهم عمائد الإسلام وطرق الجنة وأرواح الهدایة، وهم محبويون ومرضيون لله تعالى، أما الذين ظلموا يستهزءون بهم فسيذوقون وبال أمرهم اليوم أو غداً والغد قريب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

أيها الحبيب، إن النفس المغروبة بذاتها قد ضلت في ملذات أقول واستغرقت فيها فنيت تلك المتع الدائمة التي أودعها الله تعالى في أحاديث الرسول ﷺ ومدارستها وغفلت عن تلك الخلاوة التي تسر القلوب وتقر العيون.

هيئات أين ذلك الفن الذي يقال فيه «أنا أقول»، أو ابن سينا قال «ما يقال فيه قال الله عز وجل» أو قال الرسول ﷺ؟

اعلم أن نفس الفرق الذي تجده بينك وبين المصطفى ﷺ هو الفرق بين «أقول» و«قال» وكذلك التفاوت بين العلمين،

لله در العالم القرشي سيدنا الإمام الشافعى رضى الله عنه الذى قال:

**حُكْمُ الْعِلُومِ سُورَةُ الْقُرْآنِ هُشْبَلَةٌ إِلَّا النَّهِيَّةُ وَإِلَّا الْفَقْهُ فِي الدِّينِ**

**الْعِلُومُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ نَدْعُنَا وَمَا سُورَهُ ذَلِكُ وَسَوْاسُ الشَّيَاطِينِ**

كل ما قال الله عز وجل وقال الرسول ﷺ هو العلم وما سواهما فضلة فاشتغل بالفضلة أيها الفضول، أيها العزيز، فكر بالله عليك هل تسأل يوم القيمة عن العقائد والأعمال أم تسأل عن الكل الطبيعي فهو موجود في الخارج أم غير موجود والزمان قار أو غير قار وهل الحركة يعني التوسط الموهوم، هل تسأل عن هذا أو ذلك.

أيها الحبيب، إنى لا أمنع عن تعلم المنطق والفلسفة الإسلامية وأقسامها البخاثرة مثل الرياضيات والهندسة.

تعلم ولكن بقدر الضرورة ولا تتهكم فيها كلية فتغفل عن المقاصد الأساسية بل عليك بالعلوم الدينية فإنها الصراط المستقيم، هذا، ولا إكراه في الدين والله يهدى من يشاء إلى الصراط المستقيم.

﴿وَرَبَّنَا لَا تُرِغِّبْنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ﴾ [آل عمران: ٨].

وقع الفراغ من تسويد هذه الأوراق لسبع خلون من الشهر السابع من العام الرابع من المائة الرابعة من الألف الثاني من هجرة سراج الأنق إمام الخلق نبى الرفق ذى العلم الحق الحكيم الربانى، صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وكل مشتاق إليه برحمتك يا أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين، والله تعالى أعلم وعلمه جل مجده أتم وأحكم.

كتبه عبد المذنب أحمد رضا عفى عنه محمد المصطفى النبي الأمي .  
لله در المجيب حيث أتى بتحقيق أنيق نسخة العبد المذنب الأولى مجهد لطف الله  
خادم شريعة رسول الله . - محمد لطف الله ١٢٩٨ هـ

لا شك أن هذه المعانى التى نقلها للمجىب عن الرسالة «المنطق الجديد» مخالفة للشرع الشريف ومعارضة لعقائد المسلمين الحقة سلفاً وخلفاً ولقد أبان المجىب المصيب عن مفاسدها وأظهر قبائحها على أحسن وجه فجزءاً من الله سبحانه وتعالى عن المسلمين أحسن الجزاء.

محمد ارشاد حسین احمدی ۱۲۸۴ھـ

卷之三



# التحبير بباب التدبير

تأليف

مولانا الإمام أحمد رضا خان الحنفي

١٩٢١ هـ = ١٣٤٠ م

ترجمة من الأردية

محمد جلال رضا الهندي

قسم التفسير

كلية أصول الدين

جامعة الأزهر الشريف

القاهرة، مصر



## إهتماء

إلى روح الإمام العارف بالله ميد العارفين  
ومن الماكين وفقدهم أولياء وحيدة  
الاصفياء، مولانا الشاه الميد آل رسول المدار هروي  
رحمه الله تعالى. وفقه سره.

الذى أنذر آلف المسلمين من المغواص والغواص ببركانه  
الرواچانية وفيوضه الربانية، وشننهم بشدة إيمانية فوية  
عن طريق التركية والنديمة على المنهج القرآني المكين،  
والطريقة النبوية المطهرة.

ومن الأمة الإسلامية من مربيه أعظم عالم وباصر  
وطبيب ووحلاني أعني الشيخ الإمام أحمد رضا خان  
البنفساني الفلاحي

في زاهما الله خير المزاء ورفع درجاتهما في  
أعلى علية مع النبيين والصديقين  
والشهداء والصالحين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَحْمَدُهُ وَنُصَلِّي عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ

أَمَا بَعْدُ:

نستفسر السادة العلماء عن حكم شخص يدعى خالداً الذي يعتقد أن كل خير وشر بقضاء الله عز وجل وقدره وإلى جانب ذلك يستحسن العمل والتدبير في الأمور الدينية أو الدنيوية. غير أن وليداً يكفر خالداً بناءً على استحسانه العمل والتدبير واعتقاده بالعمل والحركة ويقاطعه مقاطعة كافية ويعرض عن التسليم عليه ورد السلام إذا سلم عليه خالد، ويرفض التدبير في كل أمر من الأمور ويرى التدابيرات من الواهيات الباطلة. ويقول إن الذين يعلمون أولادهم اللغة العربية أو الإنجليزية إنما يضيئون الوقت دون جدوى. بدعاوى أن التعليم والتعلم أيضًا من التدابير.

والمطلوب توضيحه من السادة العلماء، ما هو الحكم الشرعي في تكفير وليد خالداً؟، وهل خالد كافر كما زعم وليد؟  
«المستفتى الشيخ يار خان ٢٠ ذو الحجة ١٣٥٥ هـ»

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قدر الكائنات، وربط بالأسباب المسببات، والصلة والسلام على سيد المتكلمين، سرًا وجهرًا، وإمام العالمين والمدبرات أمراً وعلى آله وصحبه الذين باطنهم توكل وظاهرهم في الكد والعمل.

لا شك أن خالدًا محق في اعتقاده وعقيدته عقيدة أهل الحق من المسلمين بأن كل ما يحدث في العالم من صغير أو كبير إنما يحدث على ما مضى من قضاء الله عز وجل وقدره في الأزل. قال عز وجل : «وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ» [القمر: ٥٣].

وقال تعالى عظمته: «وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْصَيْنَا فِي إِمَامٍ مُبِينٍ» [يس: ١٢].  
وقال عز وجل «وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» [الأنعام: ٥٩]، وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

ولا يعني الإيمان بالقضاء والقدر إبطال التدبير<sup>(١)</sup>، فإن هذه الدنيا عالم الأسباب وقد ربط رب جل مجده المسببات بالأسباب بحكمة بالغة وقد جرت السنة الإلهية في هذا العالم أن يحدث السبب بعد حدوث السبب، واعلم أن التوكل على القضاء والقدر والاعتماد عليها ليس إلا من دأب الكفار الجاحدين كما أن رفض التدبير وتعطيله من أفعال الضالين المكذبين، أو من شطحات المجانين الكاملين، حيث إنه يستلزم تكذيب المئات من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، كما يطعن ذلك في ذوات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - جميعاً ويقدح في شأن الأئمة الأخيار والأولياء الصالحين جيئوا.

ومن يتستى له توكل كتوكل حضرات المرسلين، - صلوات الله وسلامه عليهم

(١) وللمؤلف العلامة رسالة رائعة في حقيقة الإيمان بالقضاء والقدر على غرار هذه الرسالة التي بين أيدينا تسمى بـ«تلع الصدر لإيمان القدر» محمد جلال رضا.

أجمعين - وهل من أحد أوثق إيمانا بقضاء الله تعالى وقدره، من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام؟ ومع ذلك قد أخذوا بالأسباب وعلموا الناس ذلك بل رغبوا فيه بأنواع الترغيبات بل وسعوا في كسب الرزق الحلال الطيب بذواتهم.

١- فها هو سيدنا داود عليه صنع المروع يدبه كما أخبرنا المولى عز وجل بذلك في القرآن الحكيم: **﴿وَعَلِمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسِكُمْ لَكُمْ لِتُحصِّنُكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾** [الأنياء : ٨٠].

٢- وقال المولى عز وجل : **﴿وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ \* أَنْ اعْمَلَ سَابِقَاتٍ وَقَدَرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** [سبأ: ١١/١٠].

٣- وقد قام سيدنا موسى عليه السلام على أجرة لسيدنا شعيب عليه مدة عشر سنوات فقد أخبرنا بذلك المولى فقال: **﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَيِ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرْنِي ثَمَانِي حِجَّةٍ إِنْ أَتَمَّتْ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشْقِعَ عَلَيْكَ سَتْجِدَنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** [٢٧] قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عذر ان على والله على ما نقول وكيل [٢٨] فلما قضي موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آمنت نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطظلون

**﴿القصص** [٢٩, ٢٨, ٢٧]. وها هو سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه يسافر إلى بلاد الشام يمال السيدة خديجة - رضي الله تعالى عنها - على سبيل المضاربة ليتجه فيه، ولا يخفى على من له أدنى إلمام بالتاريخ أن أمير المؤمنين الخليفة الثالث سيدنا عثمان الغنوي، وسيدنا عبد الرحمن بن عوف كانا من التجار المشهورين في عهدهما، وها هو سيدنا الإمام أبو حنيفة النعمان - قدس سره - يباشر تجارة الأقمشة.

بل وليد نفسه الذي يرفض التدبير بأسره، هل هو في معزل عن التدبير في الواقع

في حياته اليومية؟ افترضنا أنه لا يعاشر زراعة أو تجارة ولا يشغل نفسه في وظيفة أو مهنة سلمنا أنه في غنى عن هذا وذلك إلا أنه يقوم بالطبخ أو بطلب تحضير الوجبة من غيره وربما يطمح ويعجن ولا يستغنى عنه بشر فإذا كان كذلك فقد ارتكب التدبير الذي حاول القرار منه، دع عنك هذا أيضاً ولفترض أن الطعام يأتي إليه مطبوخاً جاهزاً بدون طلب أو إشارة أو إيماء غير أنه يتناول وجنته باليد ويرفعها إلى الفم ويمضغ ويبتلع، وهذا أيضاً من التدبير فإن كان وليد حاسماً في إبطال التدبير وجاداً في تعطيل السبب فليهم هذه الأسباب كلها جملة وتفصيلاً.

لأن الحياة إذا كانت مقلوبة في قضاء الله تعالى عز وجل وقدره فسيعيش رغم أنه شاء أم أكل أو لم يأكل.

كما يمتلأ البطن تلقائياً، ويصل الغذاء إلى المعدة بالقضاء الإلهي بدون حركة من العبد، ولا يخفى عليك أن الماء ليس بحرو في حد ذاته وليس الطعام يشبع من نفسه عند أهل السنة والجماعة، بل هذه كلها من الأسباب العادية التي ربطها الخالق القدير الحكيم عز وجل بمسبياتها ويخلق الرى والشبع عقب تناولهما على سته التي أجرتها في هذا الكون وإلا فلن يروى العطشان وإن شرب الجرار ولن يشبع الجوعان وإن التهم الأطنان وقد علمت ما يحدث مع مرض الاستسقاء وجوع البقر فإن الماء الذي كان يرويه قبل لم يعد يجد شيئاً معه، والطعام الذي كان يشبعه قبل لم يعد يعني من الجوع شيئاً وأعلم أن المولى عز وجل لو شاء لن يتقارب الجوع أو العطش سنوات وإن لم يأكل ولم يشرب مطلقاً إلا ترى أن الله تعالى سيحيى المؤمنين بدون طعام وشراب في زمن الدجال اللعين كما أن الملائكة يعيشون بلا حاجة إلى الأكل والشرب غير أن ذلك يعد في الإنسان من قبيل الخوارق وليس ذلك على الله بعزيز، وبذلك لا يكون إبطال التدبير إلا ناشئاً عن الجهل والحمامة ومن هنا قال الفقهاء لو مات أحد بسبب التواكل الكاذب على قضاء الله تعالى وقدره، مهملاً الأكل والشرب مات ميتة محمرة ويلقي الله تعالى

وهو عليه غاضب ولا يخفى أن الموت أيضًا بقضاء الله تعالى وقدره ومع هذا:

٤- قد قال الله المولى عز وجل : **«وَلَا تُنْقِمُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ»** [البقرة: ١٩٥] ولله در القائل أن الموت بالقضاء ولكن لا تلق بنفسك في التهلكة سلمنا أن وليدًا قائم على عهده كاجبل الراسخ وقد هجر الأسباب بأسرها فعلا وقد ودع التدبير وداعا لا عودة فيه فلم يلتجأ إلى سبب لا إشارة ولا كناية وعزم على نفسه ألا يأكل في حال من الأحوال وإن أدى ذلك إلى الموت والهلاك اعتمادا على قضاء الله وقدره ولا شك والحال هذه أن يلتجأ إلى المولى عز وجل بالدعاء والطلب وبذلك يكون قد أخذ السبب من حيث لم يدر أنه أخذ السبب، لأن الدعاء ليس مؤثراً بذاته وإنما هو سبب لحصول المراد، ولم نعن بالتدبير إلا هنا.

٥- يقول المولى عز وجل : **«وَقَالَ رَبُّكُمْ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»** [غافر: ٦٠] وربنا تبارك وتعالى قادر على تحقيق المراد بدون دعاء أو طلب إلا أنه وجه العباد إلى هذا التدبير وأكده بتاكيد بالغ ففي الحديث النبوي الشريف:

٦- «من لم يدع الله غضب عليه» رواه الأئمة أحمد في المسند وأبو يكر بن أبي شيبة في المصطف واللفظ له والبخاري في الأدب المفرد، والترمذى في الجامع وأبن ماجه في السنن والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضى الله عنه.

بل الخلافة والسلطة والقضاء والجهاد والحدود والقصاص وغيرها من الأمور الشرعية الأخرى إنما هي من التدبيرات التي فرضها الله عز وجل لتنظيم شتون العالم وإشاعة الدين وردع المفسدين المعتمدين لتعود منافعها للخلق.

٧- قال تعالى : **«أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْفَرُ مِنْكُمْ»** [النساء: ٥٩].

٨- قال عز وجل **«وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كُلُّهُمْ لِلَّهِ»** [الأنتفال: ٣٩].

٨- وقال تعالت عظمته ﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بِعَضَهُمْ بِعَضًا لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ  
وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

٩- وقال جل جلاله ﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بِعَضَهُمْ بِعَضًا لَهُدَمَتْ صَوَامِعَ  
وَبَيْعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدٍ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠].

فقد لاحظت في هذه الآية الكريمة أن الجهاد إنما فرض ليقضي على الفتنة  
ويخلو الطريق للدين الحق ولি�تشر ضياءه في ربوع العالم ولو لا الجهاد لفساد  
الأرض، ولانطممت المساجد والمعابد.

١٠- وقال المولى تعالى شأنه: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾  
[الأنفال: ٧٣] الفتنة أى ظهور الكفر وفساد كبير أى ضعف الإسلام.

١١- وقال عز وجل: ﴿وَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَئِكَ الْأَلْيَابُ لَعَلَّكُمْ  
تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩] ففي القصاص حياة لأنك يكف أيدي المفسدين عن التطاول  
والاعتداء وبذلك تخنق دماء الأبرياء ولأجل ذلك أمر الله عز وجل أن يشهد  
عذاب المعتدين جماعة من المسلمين ليكون ذلك موعدة وذكرى لهم.

١٢- فقال تعالت عظمته: ﴿وَلَيَشَهَدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]  
بل الصلاة والصيام والحج والزكاة وغيرها من العبادات البدنية والمالية أيضًا تدبر  
من التدابير الدينية الشرعية وسبب من أسباب إرضاء المولى عز وجل ووسيلة من  
وسائل الثواب الجزييل وطريق من طرق النجاة من غضبه وعذابه.

١٣- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانُوا  
سَعِيهِمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

وقال المولى عز وجل: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعَيرِ﴾ [الشورى: ٧]، وقد  
أوجب المولى عز وجل السعي على العباد مع أن كلاماً ميسراً لما خلق له لحكمة بالغة وقال  
المولى عز وجل: ﴿فَسَيِّسَرْهُ لِلْيَسِيرِ﴾ [الليل: ٧] وقال تعالي شانه: ﴿فَسَيِّسَرْهُ  
لِلْعَسْرِ﴾ [الليل: ١٠].

ومن هنا قال النبي ﷺ ما أخرجه الأئمة أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم عن أمير المؤمنين علي - كرم الله تعالى وجهه -

- ٢- قال: «كان النبي ﷺ في جنازة فأخذ شيئاً فجعل ينكث به الأرض فقال ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة قالوا يا رسول الله ألا نتكل على كتابنا وندع العمل (زاد في رواية فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ: ﴿فَأَمَا مِنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ الآية ومن هنا انطبع أن إهمال التدبير مطلقاً يؤدي إلى إفساد الدين وتعطيل الشرائع، وبطلان إزالة الكتب وإرسال الرسل وضياع أداء الفرائض واحتساب المحرمات والعياذ بالله تعالى.

ويذلك يبقى الإنسان مطلقاً العنان، فيختل نظام الدنيا والآخرة جملة واحدة كلّا ثم كلّا، إن التدبير مستحسن بلا ريب بل بعضه متذوب ومستون كالأدبية والأدعية.

والآحاديث التي وردت في باب الدعاء قد بلغت مبلغ التواتر حتى قال النبي ﷺ في أهمية الدعاء وأثره الفعال:

«لا يرد القضاء إلا الدعاء» (ولم يراد هنا من القضاء هو القضاء المعلق) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم بستان حسن عن سلمان الفارسى رضى الله عنه.

- ٣- وقال سيدنا المصطفى ﷺ في حديث آخر «لا يغنى حلزون قدر الدعاء ينفع مما نزل، وما لم ينزل إن البلاء ينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيمة» (أى يمنع الدعاء نزول البلاء) رواه الحاكم والبزار والطبرانى في الأوسط عن أم المؤمنين الصديقة رضى الله تعالى عنها - قال الحاكم صحيح الإسناد. ومن أراد

مزيد الاطلاع على الأحاديث المجملة والمفصلة الكلية والبجزئية في باب الدعاء فعليه بمؤلفات العلماء الكرام من «الترغيب» و«الحسن» والعدة و«الصلاح» وغيرها.

٤- وقال النبي ﷺ: «تداوروا عباد الله فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواءً غير داء واحداً لهم» أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والنمسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن أسامة بن شریث رضي الله عنه بسند صحيح وقد وردت أحاديث كثيرة بشأن تداوى النبي ﷺ بالأدوية وتوجيهه أمره إلى المثاث من الأدوية الناجعة للأدواء المختلفة كما هو مسطور في مختلف الفنون الحديثة من الطب النبوي والسيرة وغيرها بل التدبير يصبح فريضة حتمية في بعض الحالات الخطيرة كالأكل والشرب بقدر ما يسد الرمق حتى أبيح الميتة والخمر في حالة المخصصة وإقامة الفرائض والاجتناب عن المحرمات وكذلك مباشرة ما من شأنه صيانة النفس من الهلاك وطلب الكسب الحلال الطيب لنفسه وهياله فقد قال المصطفى ﷺ.

٥- «طلب الكسب الحلال فريضة بعد الفريضة» أخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان والديلمي في مسنون الفردوس عن ابن مسعود رضي الله عنه.

٦- وقال ﷺ: «طلب الحلال واجب على كل مسلم» أخرجه الديلمي بسند حسن عن أنس ابن مالك رضي الله عنه ولذلك وردت فضائل كثيرة لطلب الكسب الحلال الطيب وقد قال النبي ﷺ كما في مسنون أحمد وصحيح البخاري.

٧- «ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» أخرجهاه عن مقدام بن معدى كرب رضي الله عنه.

٨- «وقال النبي ﷺ: «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم» أخرجه البخاري في التاريخ والداري وأبو داود والترمذى والنمسائى عن أم المؤمنين الصديقة - رضي الله تعالى عنها - بسند صحيح قد سئل رسول الله ﷺ: «أى الكسب أفضل؟ فقال:

- ١٣، ١٢، ١١، ١٠، ٩ - «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور» (والمراد من البيع المبرور هي التجارة التي تخلو عن المفاسد الشرعية) أخرجه الطبراني في الأوسط والكبير بسنده الثقات عن عبد الله ابن عمر وأحمد والبزار عن أبي بردة بن خيار وأيضاً هذان عن رافع بن خديج والبيهقي عن سعيد بن عمير مرسلًا والحاكم عنه عن أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه وروى أن رسول الله ﷺ قال:
- ١٤ - «إن الله يحب المؤمن المحترف» أخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب وسيدي محمد الترمذى في النوادر عن ابن عمر رضي الله عنه وقد رورد أن رسول الله ﷺ قال :
- ١٥، ١٦ - من أ Rossi كالأ من عمل بيده Rossi مغفوراً له» أخرجه الطبراني في الأوسط عن أم المؤمنين الصديقة ومثل أبي القاسم الأصبهانى عن ابن عباس وابن عساكر عنه وعن أنس رضي الله عنه وقال:
- ١٨ - «طوبى لمن طاب كسبه» أخرجه البخارى في التاريخ والطبراني في الكبير والبيهقي في السنن والبغوى والبارودى وأبناء قانع وشاهين ومنذة كلهم عن ركب المصرى رضي الله عنه فى حديث طويل قال ابن عبد البر حديث حسن قلت أى لغيره.
- وقال المصطفى ﷺ :
- ٢٠ - «الدنيا حلوة خضرة من اكتسب منها مالاً في حلها وأنفقه في حقه أثابه الله تعالى عليه وأورده جنته» أخرجه البيهقي في الشعب عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قلت وإنما عند الترمذى عن خولة بنت قيس امرأة سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه بالنظر «إن هذا المال خضرة حلوة فمن أصابه بحقه بورك له فيه» قال الترمذى حسن صحيح قلت وأصله عن خولة عند البخارى مختصرًا.
- وقال ﷺ :

- ٢١- «إِنَّمَا ذَنْبُهُ مَا لَمْ يَكْفُرْ بِهِ إِذْ أَعْلَمُ بِهِ وَمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ إِذْ أَنْهَى إِنَّمَا ذَنْبُهُ مَا لَمْ يَكْفُرْ بِهِ إِذْ أَعْلَمُ بِهِ وَمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ إِذْ أَنْهَى» رواه ابن عساكر وأبو نعيم في الخلية عن أبي هريرة رضي الله عنه.

-٢٢- رأى الصحابة - رضي الله عنهم - رجلاً يسرع نحو عمله فقالوا : يا رسول الله ﷺ «لَيْتَ هَذَا السُّعْيَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فَقَالَ ﷺ : -٢٢- «إِنَّ كَانَ خَرْجٌ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعْفُهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ يَخْرُجُ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صَفَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ يَسْعَى رِيَاءً وَمَفَاخِرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ» رواه الطبراني عن كعب بن عبادة رضي الله عنه وروجاته رجال الصحيح ولذلك ورد نهي واضح عن البطالة وترك الكسب.

ذقال المصطفى

- ٢٣- «ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه»، حتى يصيب  
منهما جميعاً، فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة، ولا تكونوا كلاماً<sup>(١)</sup> على الناس، يصيب  
منهما جميعاً فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة، ولا تكونوا كلاماً على الناس» رواه ابن  
عساكر عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقد تبين من خلال هذه الأحاديث الشريفة أن طلب الکسب الحلال الطيب والسعى فيه لا ينافي التوكل على الله عز وجل بل السعى والعمل بما يرضي المولى عز وجل غير أن شأن المؤمن أن يعمل أولاً ثم يتوكلاً على المولى القدير جل جلاله.

-٢٤- فعن عمرو بن أمية الضمرى الكنانى قال: «يا رسول الله أرسل راحلتي واتوكل قال: بل قيد وتوكل» أخرجه البيهقى فى الشعب بسنن جيد عن عمرو بن أمية الضمرى والترمذى فى الجامع عن أنس رضى الله عنه واللفظ عنده «أعقلها وتوكل». انظر كيف أمر النبي ﷺ بالتدبر والتوكى وجمعهما في كلمتين

(١) كان قد سقط من هذا الحديث الشريف بعض الكلمات في أصل الكتاب وقد كملناه كما في مرجع الحديث الأصلي. محمد جلال رضا.

من كلامه الجامع وفيه قال مولانا - قدس سره - في الثنوى الشريف: «توكى على الله عز وجل ولكن حرك اليدين والرجلين لأن رزقك أسرع إليك منك إليه».

وقد أمرنا المولى عز وجل في القرآن العظيم بالطلب والسعى وحث على التدبير والكسب ووجهنا إلى الأخذ بالأسباب قال تعالى :

١٤- **﴿فَوَتَرْوُدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الرِّزْدَ الْقَوْمَىٰ وَأَتَقْرُونَ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ \* لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّنْ رَبِّكُمْ﴾** [البقرة: ١٩٨، ١٩٧].

وكان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فأنزل الله عز وجل هذه الآية وكان بعض الصحابة الكرام يتحرجون في موسم الحج ويخشون فوات الإخلاص في الحج فنزلت: **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾**.

وكذلك يذكر القرآن الكريم بالأيات المباركة التي تدعوا إلى ابتغاء فضل الله عز وجل ومنها يقول المولى تبارك وتعالى:

١٥- **﴿هُوَ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُرُّا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [المائدة: ٣٥].

فقد رأيت أن الله عز وجل قد وضع أن الفلاح في ابتغاء الوسيلة فلو كانت الأسباب معطلة مهملة لما كانت هناك حاجة إلى ابتغاء الوسيلة، بل التدبير أيضاً من القدر وليس بخارج عنه إذا رأينا المسألة بعين الإنصاف، والأخذ بالأسباب ليس بخارج على القدر ولا هو يبتعد على القضاء.

وقد سُئل النبي ﷺ هل ينفع الدواء من القدر قال:

٢٦- الدواء من القدر ينفع من يشاء بما يشاء **﴿رَوَاهُ ابْنُ السَّنِي فِي الطَّهَارَةِ وَالْدِيْلَمِي فِي مُسْنَدِ الْفَرْوَادِسِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَدَرَهُ عَنْ أَبِيهِ نَعِيمٍ وَالْطَّبَرَانِي فِي الْمُعْجمِ الْكَبِيرِ﴾**.

٢٧- أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسر

لقيه أمراء الأجناد، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام. قال ابن عباس فقال عمر أدع لي المهاجرين الأولين فدعهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عنى، ثم قال: أدع لى الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عنى، ثم قال: أدع لى من كان هنالك من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس، ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادي عمر في الناس: أنى مصيح على ظهر فأصبحوا عليه. قال أبو عبيدة بن الجراح: أفرأى من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبي عبيدة؟! نعم نفس من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إيل هبطت وادياً له عدونا، إدحهما خصبة، والأخرى جدب، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدب رعيتها بقدر الله؟

أخرجه الأئمة منهم مالك وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن عباس - رضى الله تعالى عنهما - .

أجل! إن انهماك الإنسان كلّا في تنظيم الأسباب وتقويمها لمصالحة والاستحواذ على حطام الدنيا بالحلال والحرام بدون اهتمام بالمشروع وغير المشروع وجمع الدنيا بأى طريق متفق لا شك مذموم ومنوع ولا يرتكب هذا إلا من نسى القضاء والقدر وغفل عن مسبب الأسباب واعتمد على التدليس وأسند ظهره إليه وهنا يسادر الشيطان بمحيله وينفع في أذنيه ويملى على مكايده لو عملت هذا فستثال مرامك وإن لا ترى وجه الفشل الكالح وحيثند ينسى الإنسان قضاء الله وقدره ويستسلم للوساوس الشيطانية فيجهد نفسه في اتخاذ كل سبب يراه خادماً لمصلحته فيركب الهوان والدناءة ويتلذّع بالتملق والتحايل ويلجأ إلى المكر

والخديعة ولم يدر المسكين أن هذا الحرص والشره لا يؤديان إلى شيء ولن ينال إلا ما قد كتب له في الأزل فإن الرزق الذي تكفل الله تعالى به لن يخطأه إلى غيره وإن حلى نفسه بعلو الهمة والتزم صدق النية واحترم كرامته وعسك بأحكام الشرع غير أن حرصه وشره قد أهلكا في الدنيا والآخرة حتى خسر الدنيا والآخرة.

وإن جمع بعض الحطام من هذه الدنيا الفانية عن طريق الفساد والتزوير والمكر والخداع وبعد إراقة ماء الوجه فتباً لهذه الثروة مهما كانت ضخمة ولله در القائل:

يُثْنِيَ الطَّاعُونَ حِينَ الدُّلُّ تَكْسِبُهَا الْقُدْرَ مُتَصْبِّ وَالْقُدْرَ مُخْفُوضٌ  
ولذا قال المصطفى ﷺ :

٢٨- «أجملوا في طلب الدنيا فإن كلاماً ميسراً لما كتب له منها» رواه ابن ماجه والحاكم والطبراني في الكبير والبيهقي في السنن وأبو الشيخ في الثواب عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه بإسناد صحيح واللفظ للحاكم وقال ﷺ :

٢٩، ٣٠- «يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها فإن أبطأ منها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذلوا ما حل ودعوا ما حرم رواه ابن ماجه واللفظ له وقال صحيح على شرطهما ويستد آخر صحيح على شرط مسلم وابن حبان في صحيحه كلهم عن جابر بن عبد الله وبمعناه عند أبي يعلى يستد حسن إن شاء الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٣١- ٣٢، ٣٣، ٣٤- وقال ﷺ : «إن روح القدس نفت في روحى أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلب بمعصية الله فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته» أخرجه أبو نعيم في الحلية واللفظ له عن أبي أوّلامة الباهلي والبغوي في «شرح السنة» و«البيهقي» في الشعب والحاكم في المستدرك عن بن مسعود والبزار عن حذيفة بن اليمان ونحوه للطبراني في الكبير عن الحسن بن علي أمير المؤمنين

رضي الله عنه غير أن الطبراني لم يذكر جبريل عليه السلام وروى أنه قال:  
ـ ٣٥ـ «اطلبو المواقع بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير» رواه تمام في فوائد  
وابن عساكر في تاريخه عن عبد الله بن سر رضي الله عنه.

فقد لاحظت أن هذه الأحاديث النبوية الشريفة تدعى إلى السعي والطلب  
وتندب إلى التدبیر والعمل ولكن تحت إلى جانب هذا على التزام الشريعة  
والتحلى بعزة النفس والتمسك بالعفة.

أي لا تشغلو بترتيب الأسباب ذاهلين بل عليكم العمل باليد والقلب معلق  
بذكر المولى الكريم أيديكم بالأسباب وقلويمكم بخالق الأسباب في الظاهر هنا  
وفي الباطن هناك جوار حكم بالأسباب وبواطنكم بحسب الأسباب وعلى هذا  
المنهج ينبغي أن تسير عجلة الحياة هذه هي طريق الهدى وبها قد رضى الإله رب  
العالمين وهذه هي سنة الأنبياء وهذه هي سيرة الصالحين - عليهم جميعا الصلاة  
والشأن - ومهما يكن من أمر فإن هذا هو المنهج القويم في هذا الشأن وهذا هو  
الصراط المستقيم وما سواه من نسيان القضاء والقدر أو إبطاله وتعطيل التدبیر  
وإهماله فما ذلك إلا ضلال مبين وجنون فاضح والعياذ بالله رب العالمين.

اعلم أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تندب إلى السعي والعمل  
كثيرة جداً بحيث يتعدد إحصائهما ويعسر استبعادها بل لا أخشى أن أدعى بأن عدد  
الآيات والأحاديث في هذا الباب ربما يتجاوز عشرة آلاف لو بذلك شيئاً من الجهد إن  
شاء الله تعالى غير أنه لا داعى إلى ذلك:

**وليس يصح في الأذهان شيء إذ احتاج النهار إلى دليل**

ولا نرى من جدوى في الإسهاب والتطويل في هذه المسألة البينة التي يتوقف  
عليها نظام العالم أليس هذا المؤلف بكل الذي أورد فيه العبد الفقير خمس عشرة  
آية من الآيات القرآنية وخمسة وثلاثين حدثاً أي ما بلغ مجموعها إلى خمسين

نصًا من النصوص الشرعية البينة وإلى جانب ذلك قد أشرت إلى المئات بل الآلاف من النصوص وما ذلك بيسير.

وما أسلفنا لك من الأدلة قد تبين بوضوح أن جحود السعي والعمل في غاية من الحماقة التي هي من أخبث الأمراض، وأن الطعن في التدبير إنما هو طعن مباشر في القرآن الكريم والسنّة المطهرة وجراة فاضحة على الله عز وجل ورسوله ﷺ ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

وقد وجب على وليد أن يتوب إلى الله عز وجل من قوله الذي قال وأن يبني مقيدته على مقتضيات القرآن الكريم والسنّة المطهرة من جديد وإلا فليؤثر الضلاله وعواقبها الوخيمة على الهدایة وثوابها الجزيل والعياذ بالله رب العالمين.

أما قوله الشنيع في تعلم اللغة العربية وتحصيل العلوم فإنه كلمة كفر صريحة لو لم يتحمل التأويل إذ القائل رعاً أراد الطعن في أرباب الدنيا الذين يريدون جمع النظام بتعلم العلوم ولا شك أن هؤلاء وأمثالهم يستحقون الطعن والنّم فلولا هذا التأويل لكان وليد مهينا للعلوم الدينية بقوله المذكور في الاستفتاء، وتحقير العلوم الدينية كفر كما هو واضح أما تكفير وليد خالدًا لاستحسانه التدبير مع الإيمان بالقضاء والقدر فإنه أمر شديد يجب الخدر منه ولا يخفى أن الأيمان بالقضاء والقدر واستحسان التدبير هو العقيدة الحقة الصحيحة وما بعد الحق إلا الضلال ونکفیر المسلم ليس أمراً يستهان به فقد ورد في الأحاديث الصحيحة.

٣٦- ٣٧، ٣٨، ٣٩ - إذا قال الرجل لأخيه «يا كافر» فقد باع بها أحدهم.

كما أخرجه الأئمة مالك وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذى عن عبد الله بن عمر والبخارى عن أبي هريرة وأحمد والشیخان عن أبي ذر وابن حبان بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنهم بأسانيد عديدة وألفاظ مبادنة ومعانى متقاربة وهذا هو مذهب أهل السنّة المحقق المنقح في هذا الباب ومع ذلك يجب علينا الاحتياط والخذل من تكفير المسلم والتکفیر لأجل هذا القول منع

وغير مناسب لأن الأحاديث السالفة تحتمل احتمالات عديدة وقد عمل بظاهر هذه الأحاديث مئات من الأئمة كالأمام أبي بكر والأعمش ومعظم فقهاء بلخ وغيرهم - رحمهم الله تعالى أجمعين - حيث قد كفروا من كفر مسلما كما فصلنا كل ذلك في رسالتنا «النهي الأكيد عن الصلاة وراء عذر التقليد» ولكن يجب على وليد أن يأْتِ بكلمة الإسلام من جديد ويجدد النكاح إن كان صاحب زوجة.

ففي «الدر المختار» عن شرح الوهابية للعلامة حسن الشرنبلاني ما يكون كفراً اتفاقاً يبطل العمل والنكاح وأولاده أو لاد زنا وما فيه خلاف يؤمر بالاستفسار والتوبة وتجديد النكاح.

ويجب على وليد أن يلعن عن التوبة وتجديد النكاح كما نشر هذه الكلمات الشنيعة فإن رسول الله ﷺ قد قال «إذا عملت سبعة فأحدث عندها توبـة السر بالسر والعلانية بالعلانية» رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد والطبراني في المعجم الكبير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه بسند حسن،

والله أعلم

\*\*\*

# القمع المبين لأمال المكذبين

١٣٢٩هـ

تأليف

مولانا الإمام أحمد رضا خان المنفي

١٢٧٢هـ ، ١٤٤٠ م

ترجمة إلى العربية

خالد محمد بعث

قسم التفسير

كلية أصول الدين

جامعة الأزهر الشريف

القاهرة، مصر



## إلهام

يَا أَنْبِيَاءَ دُوَّمِ الْإِيمَانِ الْمُبَاهِدِ الزَّاهِدِ،  
الْطَّبِيبِ الرَّوْحَانِيِّ وَالْمَكِيمِ الرَّبَانِيِّ مِيرِ السَّيِّدِ  
عَلَى الْمُهْمَانِيِّ، وَحَمَّهُ اللَّهُ نَعَالِمُ الَّذِي هُدِيَ  
الْوَطْنَ وَالْأَهْلَ لِتَبْلِيفِ الْإِسْلَامِ، وَنَشَرَ الْأَخْلَاقِ النَّبُوَيَّةِ  
وَالصَّلَوَكِ الْمَهْمَدِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ فِي بَلَادِ  
الْهَنْدِ، وَوَفَقَ حَيَانَهُ لِحَيَاءِ الْفَلَوْبِ بِالْإِيمَانِ وَالْأَخْلَاقِ وَنَبَغَةِ  
فِي رَضْنِ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ وَرَضْنِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ صَلَوَاتُ  
اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ  
فَاحسِنُ اللَّهُ جِزَاءَهُ وَأَجِزِّلْ مُثُوبَتَهُ، وَأَكْرِمْ نَزْلَهُ عَنْهُ

عَلَيْهِ مَلَمَّدْ بَشْ



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيد المرسلين سيدنا وشفيينا  
محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربِه إلى يوم الدين.  
أما بعد، .

فما أسعد اللحظات في حياتي حين تعرفت على هذه الشخصية الموسوعية  
رئيسة المقام، أعني مولانا الإمام الشيخ أحمد رضا خان القادرى الحنفى، إمام  
الصوفية في الهند، الذي أخرج المئات من الكتب. وما أسعدهي حين أقدم هذه  
الشخصية الفذة وأفكاره مترجمًا إلى العربية إلى سادة العرب الناطقين بالضاد  
بطريق مؤلف قيم له في مجال العقيدة الصحيحة من عقائد الإسلام، وهو كتاب  
معنون بـ «القمع المبين لأمسال المكذبين» تصدى فيه المؤلف العلامة للرد على  
نوايات خاطئة للذين يفترون على الله الكذب ويرون في ظنهم الباطل أن الله  
يستطيع أن يكذب لكنه لا يكذب كما أن عنوان الكتاب يشير إلى مضمونه.

وكان المؤلف المفضل يحرص أشد الحرص على حفاظ العقيدة الإسلامية  
والشعائر الدينية والدفاع عن أهل السنة والجماعة، لذلك نراه تعرض لكل مسألة  
عقدية هامة التي أراد بها بعض الضلال التحريف أو التأويل أو التخصيص  
واستصال الفتن التي انتشرت في شبه القارة الهندية في أيام حياته، كفتته منكرى  
حتم النبوة وغير ذلك وكان أسلوبه في إثبات الحق وإبطال الباطل وإقامة الحججة  
ودحض الشبهة رائع وكان له باع طويل في العقيدة والكلام، وإبداع في الاستدلال.  
ويملأ قلبي سروراً، وأنا أحمد الله تعالى على أنه وفقني على هذا العمل الذي  
تم أثناء قيامي بمصر وأنا دارس بالأزهر الشريف إذ له فضل عظيم.

وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

غلام محمد بت

بسم الله الرحمن الرحيم

الفتوى:

استفسر محمد صادق على سخان من محافظة «أكابر آباد» الهند، سنة ١٣٢٩ هـ

قائلاً:

ما هو رأي العلماء الكرام في رجل يقول: «قلت الكذب نقص والتفص عليه تعالى محال فلما يكون من المكبات.. إلخ. قوله والنقص عليه.. إلخ. لا يخفى أنه موقوف على كونه مختلفاً بالذات، ولا نسلم ذلك إذ لو كان مختلفاً لما وقع الكذب من أحد فهو مختلف بواسطة أنه مناف لكماله تعالى فيكون مختلفاً بالغير، والاختلاف بالغير لا ينافي الإمكان الذاتي».

(حاشية عبد الحكيم السياكوتى)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإجابة:

الحمد لله الواحد الواجب الصدق، المستحبيل الكذب، المحال عليه بذاته كل شخص وشين، فمن تقول عليه بإمكان كذبه وتطرق إليه بخلاف وعيده فقد استوجب لعنة الله عليه في الدارين «قُلْ صَدِيقُ اللَّهِ هُوَ»<sup>(١)</sup> «وَمَنْ أَصْدَقَ مِنَ اللَّهِ فَسِلَامًا»<sup>(٢)</sup> «وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْأَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا»<sup>(٣)</sup> «وَإِنَّكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ سِجِّنْتُمْ بِعِذَابٍ»<sup>(٤)</sup> «إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلَحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»<sup>(٥)</sup>، «وَمَنْ أَظْلَمَ مِنَ الْفَسَرِي عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذِبَ بِأَيَّاتِهِ أَوْ لَئِكَ يَعْرُضُونَ عَلَى رِبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رِبِّهِمْ إِلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»<sup>(٦)</sup>.

«هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره  
الشركون»<sup>(٧)</sup>، صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وصحبه وبارك وكرم كلما  
ذكره الذاكرون، وكلما غفل عن ذكره الغافلون، والحمد لله رب العالمين.

نحوه بالله عز وجل من غضبه، ثم نعوذ بحبيبه الأكرم الذى عمت رحمته العالمين جمِيعاً. إن من الأمثال السائرة في اللغة الأرديَّة «إذا أراد الله أن يتزعزع إيمان قوم سلب صقولهم قبله لأن العقل السليم لا يقبل الباطل بعون الله الكريِّم، ولو أراد الشيطان في بعض الأحيان أن يخدعه سرعان ما يتبهَّ خداعه ويشعر بـكائنه

<sup>٩٥</sup> (١) سورة آل عمران:

٢٢٣ (٢)

(٣) الامراء :

۷۱:۶ (۴)

(٥) التحلل: ٦٦٧، ٦٦٨.

۱۸۴ (۲)

النوعية : ٣٣ (٧)

كما أخبر الله عز وجل بذلك في هذه الآية الكريمة «تذكروا فإذا هم مبصرون»<sup>(١)</sup> أما إذا انعدم العقل (تعنى بالعقل هنا الوعي الدينى والشعور الإسلامى لا المهارات الفائقة في أمور الدنيا والعلوم العصرية) صار الإنسان صورة حية ومصداقاً كاملاً لهذه الآية الكريمة «لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون»<sup>(٢)</sup> وأصبح لعبة في أيدي الشياطين وبذلك لا يبقى الإنسان إلّا صورة وشكل، أما في الباطن فهو بمثابة الحمار الذي ضرب الله به مثلاً في القرآن الكريم إذ يقول «كمثل الحمار يحمل أسفاراً»<sup>(٣)</sup> «كأنهم حمر مستنفرة»<sup>(٤)</sup> فمن كان متصرفًا بهذه الصفات الشنيعة وطالع كتاباً فلأشك أنه لا يطالعه إلّا لأشاع أغراضه الفاسدة، وتحقيق مصالحه الشخصية مثله كمثل الخنزير والتنزه في الحديقة، حيث تفوح رائحة الزهور وتتفتح البراعيم وتلاعب أيدي النساء بأوراق الأشجار وترفرف الأرائك وتغوص الفوارس فيضاً وتصدح البلبل صدحاً وتغنى الطيور في المتزهه، أما الخنزير فلا شأن له في المتعة والسرور بل همه ترق النجاسة فيها لييلعها، هذه هي حال الضلال عندما يطالع الكتاب الذي يحتوى على آلاف من الأبحاث المفيدة والمنافع القيمة لا يلتفت إليها، بل بدأ يبحث عن موضع الخطأ فيه فإن عشر عليه تمسك به وإن كان الخطأ في حد ذاته لا يخدم مصالحه في الواقع، وبهذه الميزة قد فاق على الخنزير الذي من دأبه أكل النجاسة التي تصلح لأكله، أما المطالع لأغراض فاسدة فلا يميز بين ما يصلح لأهدافه من الخطأ وما لا يصلح لها.

انظر إلى هذا الجاهل كيف غفل عن حقيقة إيمانية واضحة بأن الأنبياء عليهم الصلوات والثناء هم المعصومون ولا يشاركون في هذا الوصف أحد من البشر.

(١) الأعراف ٢٠١.

(٢) البقرة ١٧٠.

(٣) الجملة ٥.

(٤) المدثر : ٥٠.

ومن الطبيعي حدوث أخطاء ووقوع زلات من غير مقصود، ومن هنا اشتهرت تلك الجملة الرائعة التي كانت تتردد على لسان السلف الصالحين وأئمة الدين الحنف وأهل الحق مؤكدة لتلك الحقيقة البينة حيث قالوا: «كل مأخذٍ من قوله ومروءٍ عليه إلا صاحب هذا القبر»<sup>(١)</sup> «وبذلك كلما عثروا على أمر قد كان على خلاف ما كان عليه أهل الحق والجمهور تركوه على غارب صاحبه واعتقدوا ما كان عليه أهل السنة والجماعة؛ لأن الجماعة قد وردت في فضلها آثار كثيرة ومنها «يد الله على الجماعة». «ابعوا السواد الأعظم» ولم يبالوا أدنى مبالغة بالطرائف المنطقية واللطفاً تف العقلية التي اخترعها مدمنوا النطق والفلسفة وما صاروا وراءها خطط عشواء؛ لأن الاتباع بغير علم والتقليل بغير فهم هو دأب العمي الملاعين أو الشياطين التمردين، يقول الله فيهم «وَإِن يَرُوا سَبِيلَ الرِّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرُوا سَبِيلًا غَيْرَ مَاهِيَّا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ»<sup>(١)</sup> تتميز الفرق الضالة في هذا الوصف بصفة عامة وتتميز الفرقية الديوبندية في هذا الشأن بصفة خاصة وإنما حصلت لهم هذه الميزة وهذا الوسام عقاباً لهم بما نسبوا للكلب إلى كلام الله تعالى. أما فرقة إسماعيل الدهلوi لها الأولوية والسبق في نسبة الكلب إلى الله عز وجل حيث بدأ هذه المأساة العقدية إسماعيل الدهلوi في مكتوبه «يكروزى» وكذلك الديوبندة هم منقسمون في هذا المعتقد حيث زينه وزخرفه مرشدتهم «جنجوهي» في كتابه «البراهين القاطعة» وما يبعث على الغرابة هو تقليد هذه الفرقة بجنجوهي عمياناً حيث قد ثافت عمامتهم على خطط عمي القلوب جميعاً ولو كانوا على شيءٍ من بصيرة ما تبعوه عمياناً، ليتهم عرفوا

إن الكلب الذي يقول عنه المولوى السيالكوتى بأنه يمكن بالذات بل ويصفه بأنه واقع هو الكلب المطلق أيا كان قائله سواء كان هذا الكلب من وحشى أو جبلى

---

(١) الأعراف ١٤٦.

أو دهلوى أو جنجوهى فلا بحث لنا فى إمكانه وحدوده ولا شك فى إمكان هذا الكذب المطلق بل ولا ريب فى وقوعه بعدد الملايين.

انظر إلى عبارته حيث يقول: لو كان ممكناً لما وقع الكذب من أحد، وتوضيحه بهذا أن هذا الكذب المطلق لو كان في حد ذاته كاجتمام التقىضين وارتفاع التقىضين لما استطاع أحد أن يكذب ولكن الناس يكذبون فقد ثبت بأن الكذب ليس محال في حد ذاته، أما إذا نسبته إلى الله عز وجل فهو محال بلا ريب؛ لأن ذات الله تقتضي جميع الکمالات وتنافي جميع التقائص، فالكذب محال عليه بالذات. ولا شك أن هذه الاستحالة ناشئة من قبل ذات الله عز وجل التي تنافي كل عيب. أما الكذب المطلق الذي هو الكل العام الشامل لكل كذب، وكذب كل شخص فباستحالة فرد منه قد عرض نوع من الاستحالة للمطلق الكل، وذلك لأن حكم الفرد إنما هو من حيث طبيعته المطلقة. ولا تعتبر هذه الاستحالة ذاتية في الكذب المطلق لأن هذه الاستحالة لم تنشأ من ذات المطلق وإنما هي ناشئة من الإسناد إلى ذات الله عز وجل، ومثله كاجتمام التقىضين سواء بسواء؛ لأن الاجتماع المطلق بين شيئاً لا يستحيل في حد ذاته إذ لو كان مستحيلاً في حد ذاته، ما اجتمع شيئاً أبداً، أجل إن اجتماع التقىضين محال بالذات بلا ريب حيث إن ذات التقىضين تنافي مع الاجتماع. أما الاجتماع المطلق الذي يشمل الاجتماع بين شيئاً بصفة عامة والذي قد أصبح محالاً في هذه القضية المخصوصة، ففي هذه الاستحالة لا تعد ذاتية له بل هي ناشئة بخصوص ذات التقىضين، فمطلق الاجتماع الذي هو عبارة عن الحقيقة المطلقة لا شك يمكن بذلك، بل واقع في ملايين من الأماكن لن يكون بسببه اجتماع التقىضين ممكناً، لأنه محال بالذات قطعاً، وكذلك المطلق الكذب الذي هو عبارة عن الطبيعة المرسلة يمكن بالذات بلا ريب بل موجود فيآلاف من الأماكن ولن يكون بسببه كذب الله تعالى ممكناً، والعياذ بالله، لأنه محال بالذات قطعاً.

ويهذا قد اتضحت فحوى إيراد المولوى السىالكوتى وكذلك اتضحت الجواب وضوها  
ناما بأن الكلام هنا أراد فى الكذب الخاص لا فى طبيعة الكذب مطلقا، ولا يستلزم  
إمكانية الكلى إمكان جميع أفراده. لقد بدرت هنا من السىالكوتى هفوة عقلية بأنه لم  
يفرق في محل النزاع أن النقاش إنما كان في إمكان الفرد هنا غير أن السىالكوتى قد  
تطرق إلى إمكان الطبيعة.

وأما الديابنة فقد ترددوا في كفرهم واستدلوا به على إمكان كذب الله  
تعالى (والعياذ بالله) وبذلك حاولوا بأن يرموا بکفر رأيهم رأسه وينسبوا كفرهم  
إليه. فليجب الديابنة على حذر حيث تتساءل هل عبارة السىالكوتى هذه ما فهمتم  
منها هو حق عندكم أم باطل؟. وإن قلتم هو باطل فلماذا تحبسون عن الحق  
متجاهلين وتضللون المسلمين الغافلين. وإن قلتم هو حق فقد عدتم بالكفر على  
أنفسكم وأقررتם بضلالةكم بالستكم، بل أصبحتم أضل من المشركين وقد عدتم  
معبودا من صنعكم وانحرفت عن الله عز وجل. ولو أتيتم بها نحن نثبت لكم  
بالدلائل أن العبارة التي استدللتم بها على إمكان كذب الله. فإن نفس العبارة على  
نفس المنهج تصلح للاستدلال على إثبات شريك الله وإمكانه، بأنه لو كان وجود  
الشريك محالا لما كان أحد شريكيا لأخر، فيكون شريك الله محالا، بأنه ينافي كماله  
تعالى. معناه هو ممتنع بالغير والامتناع بالغير لا يتنافي مع إمكان ذاتي، وكذلك في  
ضوء هذا التصرير يمكن مسوقة وفباء بأن تقولوا: لو كان الموت محالا لما سات  
أحد، فموت الله ينافي كماله وبذلك هو مستحيل بالغير، ومن هنا يكون مسوقة  
وفباء يمكننا بالذات، فلم يق واجب الوجود ومن لم يكن واجب الوجود لا يكون  
الله بل يكون شيئا من صنعكم (الا لعنة الله على الظالمين)<sup>(1)</sup>.

وكان في هذا القدر من الرد كفاية لشرح هذه العبارة ونفض الغبار عن وجهها  
غير أن الفقير يود أن يوصل هذا النقاش إلى أعلى درجة من الكمال والإ تمام بعون

(1) هود: ١٨.

الله القدير ويكشف وجه المكذبين كمثل (جنجوه) و(الديابنة) فيما أرادوا من مخادعة المسلمين بعبارات المسائره وشرح المواقف كما أشن عليه غارة روحانية فنقول (وبالله التوفيق): إن الاستناد بهذه العبارات من المسائره وشرح المواقف أضعف بكثير من الاستشهاد، غير أن المكذبين لله عز وجل إنما قصارى هدفهم وشغلهم الشاغل خداع الجماهير السنج من المسلمين وتحقيق مشابهتهم باليهود، نقول تحذيرا لهم « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »<sup>(١)</sup> فأقول وبالله التوفيق:

أيها المسلمون الكرام: - إنما العقائد تؤخذ وتتلقى عن سيد المرسلين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعن الصحابة وعن التابعين وعن السلف الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين، وقد صفت المسوون في كتب العقائد لبيان هذه العقائد المسلمين بصفاء طويتهم كانوا يؤمنون بها بغير تردد وتعليل يذكر، أما عندما كثروا الضالون وبده، وايشارون عقائدهم الباطلة مستلدين عليها نقاًلا وعقلاً ليخدعوا الجماهير المسلمين السنج، فمن هنا شعر علماء أهل السنة والجماعة بالحاجة الملحة إلى الرد على أدلة الضالين الباطلة، واقامة الدلائل الدامغة على عقائد هم الحق، ومن هنا وضع حجر الأساس لكلام المتأخرین وانفتحت بوابة الاستدلالات والنقاش والمناظرات على مصراعيها حتى شعر التكلمون بالحاجة إلى الفحص والنقد في دلائلهم وردودهم أيضاً، وما لا شك فيه بأن الناس تختلف أذهانهم ثم أفكارهم، والباحث لا يستبعد عنه الإصابة والخطأ في بحثه واستنباطه وهي غريزة لا تنفك عنه، قد يقيم أحد الباحثين دليلاً على صحة مذهبه أو يرد على لقدي وجه إليه وبأى الآخر ناقداً على هذا الدليل ويقول أن هذا الدليل غير قوى لإثبات المدعى، فإن للخصم أن يرد فيه بكل ذلك، وأثر هذا النقاش لا يتتجاوز دليله والرد عليه وذلك إذا كان صحيحاً فضلاً عن أن يكون قصور في هذا الدليل والرد عليه، كما

(١) الشعراو: ٢٢٧.

يعرف به الباحث نفسه، أو ربما اخطأ الباحث في النظر والتأمل مع أن الدليل والرد عليه كانا سالحين، ولا يعني هذا بأن المذهب المحقق هو باطل أو ضلالة الخصم حق (معاذ الله) والمعرف عنده كل من له أدلى مسكة من العقل بأن القضية الأصلية لا يمكن إبطالها بإفساد دليل قام به أحد على هذه القضية أو بإفساد رد شخص على دليل هذه القضية وبالتالي لا يتغير هذا الباحث عقیدته خارجاً عن مذهب أهل السنة والجماعة ظناً منه بأنه باطل. هذا الأمر معتمد عند جميع أهل السنة وغيرهم، مع كل ذلك أن في الأزمنة القريبة بخير القرنين كان الاعتدال والوسطية في هذا النقاش والجدل قائمين أما إذا وقع فن الكلام في أيدي فلاسفة المؤاخرين فاشتد الجدل في كل قضية بوجه أو بغير وجه وما كان الغرض وراء هذا إلا إبداع الذكاء في النفي والإثبات والدفع والجذب والمنع والنقد وكان يطبع صاحب الجدل أن يبرز مؤهلاته العقلية فحسب، وما كان غرضه الرجوع عن مذهبة وإبطال عقائده أبلة حاشا لله ثم حاشا لله ألف مرة. ومن المعروف عند أصحاب العدل أن ما صنف الشارحون والمحشيون من المؤاخرين لم يكونوا يعتقدون به بأنفسهم فضلاً عن أن يكون ذلك مثلاً عن عقيدة أهل السنة والجماعة، إنما العقائد ما وضعت في المدون والمسائل دون الشروح والحواشي الفرعية، أما ما كتبوا في الحواشى إن كان يوافق المتن فهو حق وإن كان يجافيه فإنما هو باب المناوشات الذهنية والرياضيات العقلية والمنافسات القلمية، وقد اعترفوا بذلك بلفظ صريح بأنفسهم، يقولون بأنهم لا يرعنون فيها قواعد أهل السنة والجماعة ويفوضون الأمر إلى معرفة القاريء، حيث إنه يعرف عقائد الحق فيراعيها بنفسه هذا إذ دعت الضرورة إليها. ففي المواقف أنت تعرف مذاهب أهل الحق فإنما لا تتعرض لأمثاله للاعتماد على معرفتك بها في مواضعها وفي شرطه فعليك مراعاة قواعد أهل الحق في جميع المباحث وإن لم تفرج بها وفي شرح المقاصد كثيراً ما تورد الآراء الباطلة للفلاسفة من غير تعرض لبيان البطلان إلا فيما يحتاج إلى زيادة بيان.

وجاء مثل ذلك في حاشية (حسن جلبي على السيد) أن عقائد المحققين المتكلمين هي ما اتبسوها في المتن وصرخوا بها مرارا وتكرارا في مختلف الأوان دون ما تطرقوا إلى ذيول عقوبة.

أما الكلاميون الذين أصطبغوا بصبغة الفلسفة على وجه الخصوص وخاصوا في الجدل وبالغوا فيه ولم يميزوا بين الأغوار والأشناد ولا الجبال والوديان ولا بين ما يجوز فيه البحث وما لا يجوز، وقد تجدهم يتفوهون في المناوشات بما يلزم من أن نعود بالله العظيم منه. ففي شرح الفقه الأكابر يقول الإمام الشافعى رحمة الله عليه لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء مما ظنت مسلما يقوله أن مؤلاء المحققين قد اطمئنا إلى أن البحث ليس مهمينا على المذاهب، وعقائدهنا معروفة ومعلومة وما يرد في الجدل خلافها فإن القاري يدركها بنفسه، وقد نبه على ذلك كثير من أكابرهم غير أن المضل المغوى فلا دواء له حيث أن شغفهم الشاغل تتبع مثل هذه الفرص لكي يشوش على الناس عقائدهم، فيقع العami في التردد لأنه لا معرفة له بقواعد أهل الحق ليراعيها. هذه الأمور التي جعلت هذا النوع من كلام المؤلفين مهانا ومحترقا عند أئمة الدين حتى قال الإمام أبو يوسف رحمة الله عليه (من طلب العلم بالكلام تزندق) وقال الفقهاء الكرام لاحظ للمتكلمين من المال إذا أوصى به للعلماء ولا تعد كتب الكلام من كتب العلم فقد نقل في الفتاوی الهندية عن المحيط: لا يدخل في هذه الوصیة المتكلمون. وفيه كذلك عن الإمام أبي القاسم الصفار رحمة الله تعالى عليه كتب الكلام ليست كتب العلم.

ونقل في منح الروض الأزهر عن الفتوى الظهرية أوصى لعلماء بلده لا يدخل المتكلمون ولو أوصى أن يوقف من كتبه كتب العلم أفتى السلف أنه يباع ما فيها من كتب الكلام وفي الطريقة الحمدية عن الشافعية عن الإمام الحافظ أبي الليث السمرقندى: من اشتغل بالكلام محى اسمه من العلماء. وفي الحديقة الشندية فلا يقال له عالم. ونظائر هذا في نظر الفقير كثيرة ووافرة.

وفي هذه العجلة السريعة نعرض بعض الأمثلة من هذه الكتب الثلاثة المذكورة التي تمسك بأبحاثها الزائدة والفروع العقوبة مكتبوا الله عز وجل الذين تركوا القرآن الكريم والتصوّص الصربيحة التي زينت بها متون كتب العقائد وراء ظهورهم، وبذلك لم يبالوا بإجماع السلف والخلف، فأنهم قد تمسكوا بعبارات المسائرة وشرح المواقف، وهي بضاعة الديابنة وجل اعتمادهم عليهم، والعبرة الثالثة من حاشية السيالكتوي التي مرت بك في السؤال وما بعدها، فلا شيء في أيدي هؤلاء المكذبين فهم صفر اليد (ولله الحمد) وبعد كل هذه لم تبق لديهم إلا وسيلة إيليس المردودة، وتنطبق على هؤلاء هذه الآية «وَيْلٌ يوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ»<sup>(١)</sup>.

**المثال الأول:** – يقول المولوى عبد الحكيم السيالكتوي ناقلاً عن منهية الخيالى أن تعلق علم الله عز وجل بالأمور غير المتأهية مفصلاً من نوع، لقد نقل الملا المذكور هذا الوهم الفاسد عن (منهية الخيالى) وصدقه حيث قال قوله فتأمل، نقل عنه وجه التأمل أن علمه تعالى الشامل إنما يشتمل ما لا يمتنع العلم به كما أن قدرته الشاملة إنما تشتمل ما لا يمتنع وجوده وإمكان تعلق العلم بالمراتب الغير المتأهية مفصلاً من نوع، انتهى.

فإن قيل يلزم الجهل على الله تعالى، قلت الجهل عدم العلم بما يصح تعلق العلم به كما أن العجز عدم تعلق القدرة بما يصح أن تتعلق به فشامل. إلخ.. إنه قال: إن علمه.. من نوع، ولو أنه أمعن النظر في هذا القول الذي هو بمثابة الوسوسه الباطلة من عدو مبين أعادنا الله تعالى من شره وما في طياته من الآفات القاهرة لما لوت لسانه بهذا القول فأقول أولاً، بتسائل لا لكلا المولويين أن يجيب لي إلى أي قدر من سلسلة العداء قد وقف علمه في علم الله عز وجل، بحيث لا يعرف العدد القادم من هذا الخد؟ وكم من أيام الآخرة يعلمها الله ولا يعلم بعدها؟ وكم كمية

---

(١) المرسلات: ٣٧.

من تعيم المخان وعذاب النيران في علم الله ولا يعرف زيادته؟ هل يمكن أن تصدر مثل هذه الأقوال من مسلم عاقل؟ حاشا وكلا طبعاً، لا. فانظروا كيف صرَّ الإمام الشافعى رضى الله عنه بهذا، وقد صدق ما قال: فما ظنت مسلماً يقوله غير أنه رضى الله عنه قال: اطلعت على شيء، ونحن نقول وقد اطلعنا على أشياء، إذ فسد الزمان وإلى الله المشتكى وعليه التكلان.

ثانياً: وليس حد في هذه السلسلة من الأعداد هذا يفرق بين سبقها ولا حقها، ولبيان السبب لماذا حصل العلم إلى هذا الحد ولم يحصل إلى ما وراءه؟ وأعلم أن الوجود الخارجي لا يشترط في العلم، وإنما لزم الجهل عن الغد به الآخرة، والعياذ بالله، بل لزم الجهل المطلق عن كل ما سوا الأزل، وبالتالي يستحيلخلق، ومهما يكن من أمر فإن الوجود لا يشترط في العلم فيتعلق العلم بالمعلوم، ولا فرق بين معلوم ومعدوم، فوقف العلم عند حد معين ترجيح بلا مرجح، وهذا بخلاف علوم العالم حيث إن المرجح الإرادة الإلهية أعطى ما شاء من شيء لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاءه<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: أي حد إذا قررت، مثلاً إذا تحدد الأيام والإيام والإنعامات لا بد التجاوز من الحد، لأنها لا تقف عند حد. أما الأيام والإيام والإنعامات التي تأتي بعد هذا الحد يعلمها الله أم لا؟ لو قلت لا، فيلزم الجهل، والعذر الذي اعتذر به زاهق ومردود، لأنه قد أصبح معلوماً للعباد الآن، مع هذا من يخلقهم؟، هو الخبر والشهيد فلا معنى لعدم العلم «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير»<sup>(٢)</sup>، وإن أجبت في الإنعامات بأن علمه لم يكن من قبل فعلمته حادث إذا، هل تظن أن أهل السنة يعتقدون بهذا؟ بل يعتقدون بما قال الله عز وجل «وكان الله بكل شيء عليما»<sup>(٣)</sup> والعقيدة هي ما كتب السياكتى بنفسه، في شرح العقائد الجلالى

(١) البقرة: ٢٢٥.

(٢) الملك: ١٤.

(٣) الفتح: ٢٦.

ال المعلومات في نفسها غير متناهية لشمولها الموجودات والمعدومات. وفي الشرح أعلم أن المتكلمين يفسرون الوجود الذهني ويشتتون علم الله تعالى بالحوادث الغير متناهية، بل تجد في حاشية السيالكوئي على الخيالي نفسه يقول: هذه التعلقات قديمة غير متناهية بالفعل ضرورة عدم تناهى متعلقاتها، أعني جميع ما يمكن أن يعلم من الأمور الكلية والجزئية الأزلية والتتجدد لشموله الممكن والممتنع والواجب.

والعقيدة هي ما قال في المقاصد وشرحه علمه تعالى لا يتناهى ومحيط بما لا يتناهى كالاعداد والأشكال ونعييم الجنان وشامل بجميع الموجودات والمعلومات المكتبة وجميع الكليات والجزئيات سمعاً وعقلاً.

**العقيلة** ما صرَّح بها في المواقف وشرحه: علمه تعالى يعم المنهومات كلها المكنته والواجبة والممتنعة، والمخالف في هذا الفصل فرق، الأولى من قال لا يعلم نفسه إلى أن قال .... الرابعة من قال لا يعقل غير المتأهي.

الحقيقة ما صرخ بها في الحديقة الندية قائلاً: المعلومات موجودة أو معدومة  
في حالة أو مكانة قديمة أو حادثة متناهية أو غير متناهية جزئية أو كلية، وبالجملة  
جميع ما يمكن أن يتعلق به العلم فهو معلوم لله تعالى.

والعقيدة هي ما بيته أنا الفقير إلى رب القدير في (الدولة المكية بالمادة الغبية) (١) الذي زينه علماء الحرمين الطيبين بتصديقاتهم الجليلة، قلت فيه: أن ربنا تبارك وتعالى يعلم ذاته الكريمة وصفاته الغير متناهية والحوادث التي وجدت والتي توجد غير متناهية إلى أبد الآباد، والممكبات التي لم توجد ولن توجد بل

(١) كتاب قيم للمؤلف العلامة كتبه باللغة العربية أثناء قيامه في الحرمين الشريفين، وقد صرخ فيه أن علم الله تعالى ذاتي ولا متناهي وليس له القناء غير علم المصطفى ﷺ إنما من إعطاء الله تعالى ومتناهٍ، وبطراً عليه النساء والخدوث، ولقد حظى هذا الكتاب القبول العام من قبل علماء العرب والمعجم، بل وقد قدم له كبار الشخصيات من علماء العرب يصل عدده التعاريفات عليه إلى تسع وخمسين وقد طبع هنا هذا الكتاب متقدماً ومحقاً حالياً من باكستان (غلام محمد بت).

والحالات بأسراها فليس شيء من المفاهيم خارجا عن علمه سبحانه وتعالى يعلمهها جميعاً تفصيلاً تماماً أولاً وأذاته سبحانه وتعالى غير متناهية، وصفاته غير متناهية، وكل صفة منها غير متناهية، وسلسل الأعداد غير متناهية، وكذلك أيام الأبد وساعاته وأناته وكل نعيم الجنة وكل عذاب من عقوبات جهنم وأنفاس أهل الجنة والنار ولحاظهم وحر كائهم وغير ذلك كلها غير متناهٍ، والكل معلوم لله تعالى أولاً وأبداً يلاحظه تامة تفصيلية، ففي علمه سبحانه وتعالى سلسل غير المتناهيات بمرات غير متناهية، بل له سبحانه وتعالى في كل ذرة علوم لا تنتهي، لأن لكل ذرة مع كل ذرة كانت أو تكون أو يمكن أن تكون نسبة بالقرب والبعد، والجهة مختلفة في الأزمنة باختلاف الأمكنة الواقعة والممكنة من أول يوم إلى ما لا آخر له، والكل معلوم له سبحانه وتعالى بالفعل، فعلمته عز جلاله غير متناهٍ في غير متناهٍ في غير متناهٍ، كأنه مكعب غير المتناهى على اصطلاح الحساب وهذا جميماً واضح عند من له من الإسلام تصريب.

**والعقيدة** ما نقلته في تعليقاتي المسمى بـ(الف gioض الملكية على الدولة المكية) حيث كتبت على قولـي: (بل له سبحانه في كل ذرة علوم لا تنتهي) الحمد لله هذا الذي كتبته من عندي إيماناً بربـي ثم رأيت التصريح به في التفسير الكبير إذ يقول تحت الآية الكريمة وكذلك نرى إبراهيم<sup>(١)</sup>، سمعت الشيخ الإمام الوالد عمر ضياء الدين رحمة الله تعالى، قال سمعت الشيخ أبو القاسم الانصارى يقول سمعت سمعت إمام الحرمين يقول: معلومات الله تعالى غير متناهية ومعلوماته في كل واحد من تلك المعاومات أيضاً غير متناهية، وذلك لأن الجوهر الفرد يمكن وقوعه في انحياز، لا نهاية لها على البديل ويمكن اتصافه بصفات لا نهاية لها على البديل الخ..

**المثال الثاني:**ـ أن العقيدة الأصلية في المسائرة هي ما يعتقد بها أئمة أهل السنة والجماعة. أن الخالق الحقيقي لكل شيء هو الله لا غيره، والأفعال الاختيارية للعباد

(١) الأنعام: ٧٥.

كذلك بتمامها وكمالها مخلوقة لله تعالى، أما العبد فهو كاسب لها، ووضع هذا بالدلائل العقلية والنقلية حيث قال: الأصل الأول العلم بأنه تعالى لا خالق سواه فهو سبحانه الخالق لكل حادث جوهر أو عرض كحركة كل شرة وكل قدرة فعل اضطراري كحركة المرتعش والنبيض، أو اختياري كأفعال الحيوانات المقصود لهم أصله من النقل قوله تعالى «الله خلق كل شيء»<sup>(١)</sup> وقوله تعالى «والله خلقكم وما تعلمون»<sup>(٢)</sup> ومن العقل أن قدرته تعالى صالحة للكل لا قصور لها عن شيء منه فوجب إضافتها إليه بالخالق. مختصرًا.

ولما كتب أهل الكلام المتأخرن كلاما في البحث والنقاش على طريقة الجدل في القضاء والقدر، مع أنه كان مسلما لما خاض في هذا البحر العميق أى مسألة القدر، ليكشف عن السر الإلهي الذي منع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصديق وعمير الفاروق رضي الله عنهمما عن الخوض فيه، ونتج عن هذا الخوض ما كان منه مرجوا بحيث كان صاحبه اللؤلؤة ولكن وقعت يده على الخزف الذي لا يسمن ولا يغنى من جوع، فقالوا ما خلاصته: أنا نخصص العزم عن التصوص العامة ثم عرضوا شبّهات المعتزلة في هذا الباب، وقال لقائل أن يقول:

فلنفي البغير المحسن وتصحّح وجوب التخصيص التكليف وجوب التخصيص، وهو لا يتوقف على نسبة جمّيع أفعال العباد إليهم بالإيجاد لأى كما فعلت المعتزلة، بل يكفى أن يقال جمّيع ما يتوقف عليه أفعال الجوارح من الحركات وكذا التروك التي هي أفعال النفس من الميل والداعية والاختيار بخلق الله تعالى لا تأثير لقدرة العبد فيه، وإنما محل قدرته عزمه عقب خلق الله تعالى، هذه الأمور في باطنها عزما مصمما بلا تردد توجيهه توجيهها صادقا للفعل طالبا إياه، فإذا أوجد العبد ذلك العزم خلق الله له الفعل فيكون منسوبا إليه تعالى من حيث هو حركة وإلى العبد

(١) الزمر: ٦٢.

(٢) الصافات: ٩٦.

ذلك من حيث هو زنا ونحوه إلى أن قال: وكفى في التخصيص لتصحيح التكليف هذا الأمر الواحد، أعني العزم المصمم وما سواه مما لا يحصى من الأفعال البشرية والتروك كلها مخلوقة لله تعالى متأثره عن قدرته ابتداء بلا واسطة القدرة الحادثة المسائرة عن قدرته تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم. ولا ينخدع من قلت عنده مؤهلات الفهم ببيان صاحب المسائرة بأنه مذهب الأحناف حاشاهم. بل مذهبهم هو الذي صرخ به إمامهم آئمه الأنام سيدنا الإمام الأعظم رضي الله عنه في (الفقه الأكبر) وفي وصاياه الشريفة: أن أفعال العباد جسمياً على الإطلاق برمتها بغیر تخصيص وبغير استثناء مخلوق لله تعالى.

وعبارة المسائرة تعترف بنفسها بأن هذا النقاش بما جاد به الطبيع وليس مذهبها منقولاً وفي الحقيقة لا يعتقد به صاحب المسائرة بنفسه، ليس البحث عقيدة لأن العقيدة لا يقلل بها هذا الأسلوب بأن لقائل أن يقول. أن عقيدته هي التي بينها هنا في أصل المسألة، وكتبه في آخر الكتاب في قائمة عقائد أهل السنة والجماعة، وسنذكر هذه العبارات قريباً إن شاء الله في الصفحات الآتية، أما هنا فأورد أن أين هذا البحث مهملاً لا طائل تحته، أما ما تمس به الحاجة إلى هذا البحث فستتجده في رسالة لعبد فقير تسمى (ثلج الصدر للأيمان بالقدر) وهذه الرسالة طبعت في مجلة شهرية (التحفة الحتفية) فإنها كافية وشافية وبينت عدم جدوى هذا البحث في تعليق المسائرة وعليك ما هنا لك: قوله فإذا أوجد العبد ذلك العزم، أقول: معاذ الله أن نقول بأن العبد يخلق شيئاً واحداً ولا عشر عشير معاشر شيء (الله لا يخلق والأمر تبارك الله رب العلمين) (أفمن يخلق كمن لا يخلق) (ما كان لهم الحيرة) (هل من خالق غير الله) وكون هذا قليلاً بالنسبة إلى مقدورات الله تعالى لا يجدهي ففعاً فإنه كثير في نفسه جداً فإن الإنسان لا يحصى ماله من العزمات في يوم واحد فكيف في عمره فكيف عزائم الأولين والآخرين من الإنس والجن والملك وغيرهم، فتخرج هذه الكثرة التي تقني دون عدد بعضها الأعمار عن مخلوقات

العزيز الغفار بلا واسطة، وتدخل في مخلوقات العبيد فيكون جواب (هل من خالق غير الله)<sup>(١)</sup> بالإيجاب، والعياذ بالله أى بلى هناك ألف مؤلفة خالقون غير الله ولم تثبت المعتزلة أكثر من هذا إذ شنعوا عليهم ألمتنا من مشايخ ما وراء النهر وغيرهم رحمة الله تعالى قاتلين إنهم أقرب من المجرم حيث إن المجرم لم يقولوا إلا بخالقين اثنين فما أثبتوا إلا شريكاً واحداً، والمعتزلة أثبتوا شركاء لا تخصي، وذلك أنها إنما قالت بخلق العبد فعله اختياري وكل فعل اختياري لا بد له من عزم، فعدد العزمات والأفعال سواء، بل ربما تكون العزمات أكثر إذ قد يعزם العبد على فعل ثم يصرف عنه فلا يقع. قال سيدنا على كرم الله تعالى وجهه: عرفت ربى بفسخ العزمات، فإن كانت العزمات يشملها اسمًا واحدًا وهو العزم، فكذلك الأفعال يتنظمها اسم واحد وهو الفعل. فلا طائل تحت ما قدم الشارح ويأتي آنفًا للمصنف أنه يكفي إسناد جزئي واحد إلى العبد وهو العزم، بل لو فرضنا أنه واحد بالشخص فالله تعالى مت兀 عن أن يشاركه أحد في خلق شيء ولو جزئياً واحداً، أما اعتذار المصنف بأن البراهين أى الآيات الناصحة باختصاص المخلق به تعالى عموميات تحتمل التخصيص، وقد أوجبه العقل إذ إرادة العموم فيها تستلزم الجبر المحسن المستلزم لضياع التكليف وبطالة الأمر والنهي وتعلق القدرة بلا تأثير أى كما تقوله الأشاعرة لا يدفعه، لأن موجب الجبر ليس سوى أن لا تأثير لقدرة العبد في إيجاد فعل إلخ.. ملخصاً، فاعتذر منه القاري في (منع الروض) بأن ذلك العزم المصمم داخل تحت الحكم العام إلخ.. أقول هذا من اعجب ما سمع من الرد. فابن الهمام متى انكر دخوله تحت العام، ولو أنكره فما كان يحوجه إلى التخصيص، بل النظر فيه بما يستسمع بتوفيق الله تعالى.

فأقول: أولاً بل الآيات عمومات لا تحتمل التخصيص أئمة السنة على إجرائها على سنتها وأن المخلق مختص بالله تعالى لا حظ فيه للعبد فماذا ينفع كون اللفظ

(١)آل عمران: ٩٥.

في ذاته محتملاً للخصوص مع الإجماع على أن لا خصوص، ومن كان في ريب  
ما قلنا فليتنا بنقل من الصحابة أو التابعين أو من بعدهم من أئمة السنة المتقدمين  
قبل حدوث هؤلاء المتأخرین يكون فيه أن للعبد أيضاً قسطاً من الخلق والإيجاد لن  
يأتی به حتى بوب القارظان ويمكن التكليف بإرجاع ما للقارئ إلى هذا أى  
الإجماع قائم على عدم التخصيص فذلك العزم أيضاً غير مخرج من الحكم، وثانياً  
لا حاجة بنا إلى تخصيص النصوص وإثبات منصب إفاضة الوجود لمن لا وجود له  
في حد ذاته بل تتدفع الحاجة على وزان ما تزعمون اندفاعها هامنا بإثبات تأثير  
القدرة الحادثة في شيء دون الوجود كما هو مذهب الإمام أبي بكر الرازي أن  
للإنسان قدرة مؤثرة لكن لا في الوجود بل في حال زائدة على الوجود، وقد  
ارتضاه جمع من المحققين ذاهبين إلى أن تأثيرها في القصد، والقصد حال لا  
موجود ولا معدوم أى هو من الأمور الاعتبارية التي وجودها بمناسبيها والخلاف في  
الحال لفظي كما في (الفصول البدائع) وغيرها فليس إفاضتها خلقاً فأنه إفاضة  
الوجود بل هو أحداث، والأحداث أهون من الخلق كما في (المسلم والفوائع)  
وعليه تدور كلمات الإمام المحقق صدر الشريعة في التوضيح، والعلامة الشمس  
الفناري في (الفصول البدائع) وتبصره العلامة قاسم تلميذ المحقق ابن الهمام في  
تعليقاته على المسيرة وغيرهم رحمة الله تعالى وهم مع تنوع منازعهم يرجعون  
إلى ذلك الحرف الواحد ولم أر أحد منهم يرضي بتخصيص العموميات لهم إلا  
ما حكى عن الإمام أبي المعالي على الاضطراب فيه، فتارة يثبته وتارة ينفيه كما في  
البواقيت عن الشيخ أبي الطاهر القزويني، بل الكلام في ثبوته عنه كما سألني،  
والمقول عن الخفيف في كتب المتأخرین هو هذا القدر أعني أن للقدرة الحادثة أثراً  
في القصد أما أنه خلق وإيجاد، والنصوص مخصصة، فكلا لا يوجد هذا إلا  
للمحقق، وقد قال الإمام صدر الشريعة في التوضيح بعد ما استقرأ وسعه في  
التوضيح والتنقیح فالحاصل أن مشايخنا رحمة الله تعالى يتفقون عن قدرة

الإيجاد والتكتوين فلا خالق ولا مكون إلا الله تعالى لكن يقولون أن للعبد قدرة ما على وجه لا يلزم منه وجود أمر حقيقي لم يكن بل إنما يختلف بقدرته النسب والإضافات فقط كتعين أحد المتساوين وترجيمه. أهـ. فهذا النص صريح في أن مذهب الله على خلاف ما بحث المحقق. ولو لا نسجه الكلام على منوال الالتزام لقلت أنه أبداه نقضاً على القدرية الشام بأنه لو سلم أن الحاجة إلى تصحيح التكليف والجزاء، تؤدي إلى ذلك ولا بد فهى تندفع بشيء واحد وهو القصد، فلم تلزم في جميع الأفعال بخالقة العبد ولعمري هذا قاطع لهم لا يمكنهم خروج عنه، هذا و قال الإمام محمد السنوسى رحمه الله تعالى في (شرح أم البراهين) مقدمته في التوحيد، وبالجملة فليعلم أن الكائنات كلها يستحيل منها الارتفاع لأثر ما، بل جميعها مخلوق لولانا جل وعز، ويفتقر إليه أشد الافتقار ابتداء ودواها بلا واسطة فبها شهد البرهان العقلى ودل عليه الكتاب والسنة وبيان جميع السلف الصالح قبل ظهور البدع. ولا تصح بأذنكم لما ينقله بعض من أولئك بنقل الفت والسمين على مذهب بعض أهل السنة مما يخالف ما ذكرناه لك فشديده على ما ذكرناه فهو الحق الذى لا شك فيه، لا يصح غيره واقطع تشوقك إلى سماع الباطل تعش سعيداً. وثبت إن شاء الله تعالى طيباً رشيداً والله المستعان. قال محثيه الفاضل محمد الدسوقي أشار بهذا إلى ثلاثة أقوال نقلت عن أهل السنة قول القاضى بتأثير قدرة العبد فى حال الفعل. وقول الأستاذ الأسفرائى تؤثر فى اعتبار لأن الأستاذ يقول بالأحوال، وقول إمام الحرمين فى ذات الفعل على وفق مشيئة رب، وهذه الأقوال غير صحيحة لمخالفتها لاجماع السلف الصالح، فإن قلت كيف يصح من هؤلاء الأئمة مخالفة الإجماع؟، قلت قال فى شرح الكبرى لا يصح نسبتها لهم، بل هى مكذوبة عنهم، ولكن صحت فأئمأ قالوا فى مناظرة مع المعتزلة جر إليها الجدل. ملخصاً، أقول أما مخالفة ما نقل عن أبي المعالى للإجماع ظاهر وقد صح عنه خلافه كما مستسمع، أما قول إمام أهل السنة الباقلانى والأستاذ

الإمام أبي إسحاق على ما نقل هنا فليس فيه رائحة خلاف ما استقر عليه الإجماع والاتفاق لما علمت أنه ليس في شيء من الإيجاد والتكتوين على الإطلاق، وقال العلامة في شرح المقاصد الشهور فيما بين القوم والمذكور في كتبهم أن منصب أمام الحرمين أن فعل العبد واقع بقدرته وإرادته كما هو رأى الحكماء، وهذا خلاف ما صرخ به الإمام فيما وقع إلينا من كتبه قال في الإرشاد اتفق أئمة السلف قبل ظهور البدع والأهواء على أن هو الله ولا خالق الخالق سواه وأن الحوادث كلها حدثت بقدرة الله تعالى من غير فرق بين ما يتعلق قدرة العباد به وبين ما لا يتعلق، فإن تعلق الصفة بشيء لا يستلزم تأثيرها فيه كالعلم بالمعرفة والإرادة<sup>(١)</sup>

(١) أقول إرادة فعل الغير وإن لم تكن من الإرادة المبحوث عنها أهني صفة من شأنها تخصيص أحد المقدورين، كما لا يخفى بل بمعنى المحبة والهوى لكنه يزيد الاستياضاح بصفات آخر إلا ترى أنه ذكر العلم ثم التقييد فعل الغير ليكون أوضح وأظاهر وإن لا فارادة فعل نفسه أيضاً غير مؤثرة في الفعل إنما شأنها التخصيص والتأثير شأن القدرة كما نص عليه في المسابقة غير أنه يتوجه لهم الجواب بأن الكلام في القدرة، وليس من شأنها إلا التأثير عند تعلق الإرادة أما العلم والإرادة فبمعزل عن التأثير وكأنه لهذا أعدل عنه الإمام حجة الإسلام في «قواعد المقادير» فاستند ب بنفس القدرة إذ يقول وليس من ضرورة تعلق القدرة بالقدر أن يكون بالاسترجاع لقطع إذ قدرة الله تعالى مستقلة في الأزل بالعالم، ولم يحصل الاسترجاع بها إذ ذلك وعند الاسترجاع تتعلق به نوعاً آخر من من التعلق فبطل أن القدرة تختص بإيجاد المقدور، أهـ، وأنت تعلم أن القدرة إنما تؤثر على وفق الإرادة وإنما تعلق الإرادة في الأزل أن توجد الكائنات في أوقاتها المخصوصة فيما لا يزال فلا تسلم أن القدرة تعلقت مع العراء عن الاسترجاع بل أثرت وانجبرت على وفق الإرادة أما هنالك تعلق بلا تأثير أصلاً فلم تكن إلا اسمًا بلا معنى ولقطا بلا معنى وهذا حاصل بما ناقشه به في المسابقة أقول ولا أرى هذه العقدة تفك إلا بأحد أمرين الأول ليست القدرة ما تؤثر حتى ولو مع الإرادة ولا محيد عنه للممتنعة أيضًا، إلا ترى أن الكفرة بذلك جهلهم في إيماء النبي ﷺ وهو بما لم يتأثروا ورد الله الذين كفروا بغيرهم، فإنما القدرة صفة من شأنها التأثير وتؤثر مع الإرادة لولا مانع وقد قال في المسابقة شرح المسابقة: أعلم أن الاشعرية لا يرون من القدرة الحادثة إلا التأثير بالفعل لا بالقوة لأن القدرة الحادثة عندهم صفة شأنها التأثير والإيجاد لكن تختلف أثرها في أفعال العباد مانع هو تعلق قدرة الله بإيجادها كما حقق في شرح المقاصد وغيره، أهـ قلت وصرح به الأمدي ثم رأيت في شرح المقاصد من بحث القدرة الحادثة من مقصد الأعراض نسبة له ولم يأت بتحقيق يزيد على ما مر، أقول وفيه حزارة والقلب لا يطمئن به ولا يسكن إليه وإن لا لكان كل إنسان بل كل حيوان ولو أحسن ما يمكن وأحسن منه قادرًا على الخلق والإيجاد وإن لم يستفق له ذلك لعرض مانع وهو سبعة الخلق الإلهي، وما إذا تفعل الأشياء الأقل من بدلائهم أن لو قدر العبد على فعله لقدر على خلق =

بفعل الغير فالقدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها أصلاً واتفقت المعتزلة ومن تابعهم من أهل الزيغ على أن العباد موجدون لأفعالهم مخترعون لها بقدرتهم ثم التقى ممن منهم كانوا يمنعون من تسمية العبد خالقاً لقرب عهدهم بإجماع السلف على أنه لا خالق إلا الله تعالى، واجترأ المتأخرون فسموا العبد خالقاً على الحقيقة. هذا كلامه ثم أورد أدلة الأصحاب وأجاب عن شبهة المعتزلة وبالغ في الرد عليهم وعلى الجبرية وأثبت للعبد كسباً وقدرة مقارنة للفعل غير مؤثرة فيه. فهذا أصرح نص على أن معتقده رحمة الله تعالى هو معتقد أهل السنة سواء قيل يبق أحد تسايره المسابقة. أقول ولكن العجب كل العجب من العلامة بحر العلوم الكنوى عفا الله تعالى عنا وعنه جنح في الفوائح إلى ما يلى في المسابقة مع تصريحه فيها قبله بأسطر بما نصه (وما فهموا) أي المعتزلة بل هؤلاء الجهلة أيضاً (أن الإمكان ليس من شأنه إفاضة الوجود) فإن من هو في نفسه باطل الذات يحتاج في الواقعية إلى الغير، وكل (١) على مولاه كيف يقدر على إيجاد الأفعال من غير احتلال بالنظام الأجدود، وهذا ظاهر لمن له أقل حدس من أصحاب العناية الإلهي (٢) (لكن من يجعل الله له نوراً فما له من نور) (٣) (وعند

=الأجسام والجواهر إذا لا مصحح سوى المحدث والإمكان وما مشتركان انطلاقاً إن كل إنسان وحيوان حتى الخناس والديدان يقدر على خلق السموات والأرض وإن لم يقع لهم سبيلاً خلق الله تعالى وقد نص الأشعرية أن ليس للعبد من الفعل إلا الملحمة تسلب وانصف، والثانية أن المحادثة تحدث ولا تخلق وكفى به تأثيراً وهذا هو الذي حمل الحفظية والقاضي الأستاذ وجمعها من المحققين على القول بأن للمجادلة تأثيراً فيما دون الوجود، والحق أن العقل لا يستغل بإدراك تلك الحقائق فنؤمن بما أتى به القرآن وشهدت به الضرورة، وأدى إليه البرهان أن الفرق بين الإنسان والحجر وبين حركتي البطن والارتعاش والصعود والهبوط والوثبة والسقوط يديه، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى [الترجم: ٢٩] وأن لا خالق لشيء إلا العلي الأعلى وأن لا مشيئة للإنسان إلا بشيئته الله تعالى ولا تزيد على هذا ولا تنتهي بحراً لا تقدر على سباته (المؤلف رحمة الله).

(١) استعمله بمعنى المحتاج، وإنما هو بمعنى التقبيل والله تعالى أن يكون أحد، كلام عليه (للمؤلف).

(٢) لم يلم من خطأ الناسخ والوجه الإلهية (للمؤلف).

(٣) النور: ٤٠.

أهل الحق) أصحاب العناية الذين هم أهل السنة الباذلون أنفسهم في سبيل الله بالجهاد الأكبر (له قدرة كافية) فقط لا خالقة الخ، فكيف رضى مع هذا بأن جعل الممكن الباطل بالذات خالقا لعزماته مع أن قول التأثير في أمر اعتباري كان برأي عبيه وقد كان بيته هو بنفسه على وجه كاف ولم يتعقبه، فإن كان مختارا ولا بد فكان اختيار ما عليه جمع من المحققين وليس فيه مخالفة نص ولا إجماع أولى وأخرى، ولكن الله يفعل ما يريد<sup>(١)</sup> هذا وتلميذه المحقق العلامة كمال بن أبي شريف وإن ساير هذا شيخه رحمها الله تعالى، لكنه أشار بعده إلى أن هذا خلاف ما عليه أهل السنة، حيث قال في المسامة عند قول المصنف قدمنا أن للمكلف اختيارا أو عزما يضم ما نصه (اختيارا) على ما عليه أهل السنة (أو عزما) على ما اختاره المصنف. وتلميذه الآخر العلامة الدين بن قطويغا في تعليقه على المسامة لم يرض به أول الأمر وقال الطريق الذي سلكه المصنف أنه المرضى عنده الرفع للجبر، ولم يندفع به سأنبه عليه ثم أورد طريقا اختياره العلامة الفناري في الفصول واقرءه، ومحصله هو التأثير في الاعتباري ولو لا غرابة المقام لأوردته مع ما يريد عليه. أقول وبما ذكرنا ظهر أن الفرق بين ما سار في المسامة وقضى به السفاسي كالفرق بين الغرب والشرق فما قال في المسامة إن حاصل كلام المصنف رحمة الله تعالى تعویل على مذهب القاضي الباقياني وتبعه على القاري في منع الروض الأزهر فقال ما اختاره هو قول الباقياني من أهل السنة الخ.. فهما لا وجه له نعم إنما وافقه في لفظ وهو أنه يكون منسوبا إليه تعالى من حيث هو حرفة وإلى العبد من حيث هو زنا ونحوه وقال القاضي وقدرة الله تعالى تتعلق بأصل الفعل وقدرة العبد بوصفه من كونه طاعة أو معصية فمتعلق تأثير القدرتين مختلف كما في لطم البتيم تأدinya وإيذاء فذات اللطم واقعة بقدرة الله تعالى وتأثيره، وكونه طاعة على الأول ومعصية على الثاني بقدر العبد وتأثيره المتعلق ذلك بعزم المصنف. فبما الاشتراك في نسبة صفة الفعل إلى تأثير قدرة العبد وأين ما ادعى المحقق من خلقه عزمه. أقول ما ذكر من الصفة أثر قدرة العبد حق بلا مرية لكن لا

(١) البقرة: ٢٥٣.

على الوجه الذي قرر المصنف بل الأمر أن المولى تعالى أجرى سنته بأن العبد إذا أراد فعلًا يخلقه الله تعالى فيه ، فالإرادة بخلق الله تعالى والفعل بخلق الله تعالى وليس للعبد من الخلق شيء لكن كون الفعل إراديا يتوقف على إرادة العبد توقفا عقليا قطعيا إذ لو خلق الله فيه الفعل من دون أن يخلق فيه إرادته له لكان كحركة الحجر بالتحريك فلم يكن إراديا ، والفعل لا يكون طاعة ولا معصية إلا إذا كان إراديا فهلهذه الصفة للفعل لا تحصل إلا بإرادتنا ، أي لكونه مصحوبا بالإرادة خلق الله تعالى فينا ولو لا ذلك لم يكن طاعة ولا معصية قطعا ، ثم أني رأيت المحقق ذكر في التحرير ، أما الحنفية فالكسب صرف القدرة المخلوقة إلى القصد المضم فتأثيرها في القصد ويخلق سبحانه الفعل عنده بالعادة ، فإن كان القصد حالا غير موجود ولا معدوم فليس بخلق وعليه جمع من المحققين وعلى نفيه فكذلك (أي ليس الكسب بخلق أيضا) على ما قبل (أي قول صدر الشريعة) الخلق يقع به المقدور لا في محل القدرة ويصبح انفراد القادر جاء المقدور والكسب يقع به في محلها ولا يصبح انفراذه بإيجاده ولو بطلت هذه التفسرة (بين الخلق والكسب) على تعذره أي بطل (أي بطلانها) وجب تخصيص القصد المضم من عموم الخلق بالعقل . باختصار مزيدا ما بين الهلاليين من شرحه التقرير والتحبير لفهميه المحقق ابن أمير الحاج رحمة الله تعالى فقد أبان البون بين ما بحثه في المسابقة وبين ما ذهب إليه إمام القاضي وظهرت بحمد الله تعالى منه على قائمة نفسية وهو أني كنت كتبت على المسابقة قبل هذا بعنوان: أربع سنين ما نصه: نرجو أن المصنف رحمة الله تعالى رجع عنه إذ لم يذكره في فذلك ما يعتقد إلا ما عليه أهل السنة كما سيأتي ونرجو أن المولى سبحانه وتعالى جعل هذه الزلة الواحدة وإن عظمت مغمورة فيما أولاه من بحاز الحسنات الجميلة، وسائل الله الثبات على الحق وهداية الصواب في كل باب وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآل و وسلم أبدا (أمين).

فيحمد الله تعالى قد حقق الله رجائى وظهر رجوع المحقق عن اختيار ما بحثه  
 إذ علقه هنا على تuder التفرقة بين الخلق والكسب، وصرح ببطلان التuder فإذا بطل  
 المبني وجب تهدم البناء، والله الحمد وتصنيف التحرير متأخر عن تأليف المسيرة  
 كما لا يخفى على من طالعه وذلك قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت  
 في الحياة الدنيا وفي الآخرة والحمد لله رب العالمين، أما ما أورد الشيخ على الإمام  
 أبي بكر أبا قلاتى كما نقله في اليواقيت الإمام الشعراوى مقرأ عليه أنه يقال له هذه  
 الحال مقدورة لله تعالى أم لا؟ على الثاني لا محالة تكون مقدورة للعبد وهو  
 مذهب المعتزلة بعينه وعلى الأول لم يكن للعبد شيء ألبته وذلك هو مذهب  
 الجبرية بعينه فلا فائدة للتمسك بالحال. باختصار أقول وتلك شكاوة ظاهر ذلك  
 عارها ولما يتسرأ ظاهرا أن هذا سؤال عام الورود ولا محيمص عنه لشيء من  
 الأقوال، فشأن من اثبت للقدرة الحادثة تأثيرا ما في شيء من عين أو حال فيقال له  
 كما قلتم فإن قال إن ذلك الشيء ليس مقدور الله تعالى فهو الاعتزال، أو قال  
 مقدور له لم يبق للعبد شيء وهو الجبر، ومن لم يثبت كصادتنا الأشعرية فقد أفصح  
 بالشق الأخير من الأول فيقال إذن لا شيء للعبد بتة فهو الجبر بعينه وذلك لأنه  
 إنما يريد إنكم بخاتم إلى هذا نفيا للجبر فإذا اعترفتم أنه واقع بقدرة الله تعالى  
 بقدرة العبد لاستحالة إجماع مؤثرين على أثر فقد انتفى الملجأ ولزم القرار على ما  
 منه الفرار، فالمعنى هو الجبر بعينه عندكم، بل لما أقول يختار أنه مقدور الله تعالى  
 بل ومراده أيضا لكن أراد أن يريد العبد فيكون فلا جبر ولا اعزال وإلى منحي هذا  
 ينحو ما في المسيرة، غاية ما فيه أنه تعالى أقدر على بعض مقدوراته تعالى، كما  
 أنه أعلمنا بعض معلوماته سبحانه تفضلا إلخ، وبالجملة لا تناهى بين كونه مقدور  
 الله تعالى ومقدور العبد بأقدار حتى يقال لم يكن للعبد شيء، وأيضا لا يلزم من  
 كونها مقدورة للعبد الاعزال، لأنهم يقولون بخالقية العبد، والخلق إفاضة الوجود  
 والحال غير موجود، هذا، ولیعلم أنني لا أريد بالدفاع عن هذا القول أن أقول به إنما

أقول إنني لا أعلم ما يرد من نص أو إجماع وقد رأوا أن هنا ثلاثة أشياء حالت بين عيني إرادة العبد وفعله وتعلقها به فإن لم يكن للعبد تدخل في شيء من ذلك خرج من بين قطعاً وهو الجبر حقاً، كما الزم به الحنفية الأشعرية، بل قصد نصت الأشعرية، أنفسهم في بحث عقلية الحسن والقبح أن فعل العبد اضطرارى غير اختيارى فوجب أن لا يوصف بحسن ولا قبح عقلاً، ونص الإمام أبو الحسن الأشعري أن العبد محل الفعل فحسب، وصرح كبراء الأشاعرة كالإمام الفخر العلامة سعد في آخرين أن المآل هو الجبر وأن العبد مجبور في صورة مختار، وتبعهم القارى في منح الروض فجعله الأنصاف، ومن المعلوم قطعاً وإجماعاً وسمعاً أن ليس للعبد شيء من الإيجاد فإرادته كقوله ليست إلا خلق ربه تبارك وتعالى فلم يق إلا التعلق المسمى بالقصد، فقالوا هذا ما أقدر عليه ربه وليس من الخلق في شيء كما عرفت، فهذا نزاع سادتنا الحنفية في هذا الباب، أما أنا فكما ذكرت في الفيوض الملكية تعليقات كتابي الدولة الملكية، لست من بخوض في هذا، وإنما إيمانى ولله الحمد ما ثبت بالقرآن وأجمع عليه الفريقان وشهدت به البداية وأدى إليه البرهان أن لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين وسررت أسرد فيه الكلام إلى أن قلت فالتكليف حق والجزاء حق والحكم عدل والاعتراض كفر والاستبداد ضلال والتحجج جنون والجنون فنون ولا حجة لأحد على الله تعالى لما فعل والله الحجة البالغة لا يسأل عما يفعل وهم يسائلون، فهذا إيماننا وإن سألنا عما وراءه فلنا لأندرى ولا كلفنا به ولا نخوض بحراً لا تقدر على سباحته، نسأل الله الشبات على دين الحق والحمد لله رب العالمين.

ثالثاً: الخلق لغة وعرفاً وشرعأً هو الإيجاد بالاختيار، قال تعالى (الا يعلم من خلق)
فأفاد أن العلم لازم للخلق وذلك هو الإيجاد بالقصد، فإن الموجب لا يجب أن يعلم الموجب من جهة كونه موجباً، وأن علم علمه من جهة أخرى، وأما ما نوزع فيه بأن الدلالة بالتنمية وهو اللطيف الخبير، فأقول كونه لطيفاً خيراً كاف، فلو لم

يكف الخلقيّة لكان إتحاماً من خلق مستدركاً على أنه قد تواتر من القراء الوقف على من خلق، فهي جملة مستقلة وتوقف لها على ما بعدها والحق أن الكل دليل مستقل، فلو كان توصلنا بخلقنا لكان يقصدنا، وكل أحد يعلم من وجده أنه إنما يريد الفعل لا أنه يريد أن يريد ثم يريد.

ورابعاً: لا يخالف ملي حتى المعتزلي أن الإرادة الكلية فيما ليس بخلقنا بل خلق ربنا خالق القبول والقدر، فلا يكون لنا إن كان إلا القصد الجزئي. أقول، وليس كثرة الإرادة المخلوقة في عبد أنها نوع تخته أفراد بل هي صفة شخصية قائمة بشخص، وإنما كليتها يعني على الإطلاق عن التعلقات، فكلما تعلقت بمقدور معين سميت جزئية، فما القصد الجزئي إلا خصوص تعلق تلك الصفة الشخصية بفعل شخصي، والتعلق أمر إضافي لا وجود له في الأعيان، فإن أستد إلى العدل لم يكن في شيء من الخلق، فلم عدلت عن قبول الحقيقة وملتم إلى تخصيص النصوص.

وخامساً (١): هب أن القصد بالقصد فلا بد من الانتهاء إلى قصد ليس بالقصد وإلا تسلسل في الأعيان، لأن وجودي عندكم، وإذا انتهى الأمر إلى الإيجاب انتهى الاختيار لزم القرار على ما كان منه الفرار أما قولهم الوجوب بالاختيار لا ينافي الاختيار بل يتحقق، أقول: ليس هذا وجوهاً بالاختيار بل اختيار بالوجوب أي لا يستطيع أن لا يختار وهو ينافي الاختيار بمعنى التمكّن من الترک قطعاً فيعود المحذور وارداً على القائلين بالتأثير في الحال أيضاً، ولا محيس بما قالوا أن القصد اعتباري فليتسلسل، وذلك لأنه في المبدأ محال ولو في الاعتبارات، أقول لأن سر

(١) آنول وهنا دليل آخر يمكّن له الجواب عنهما، فالسادس «وما تشارون إلا أن يشاء الله» فمشتنا ليست بمشتنا بل بمشتبه ربنا، والسابع ورد مرفوعاً واعتقد إجماع المسلمين على قوله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلو لم يشاً مشتبه لما كانت لكن كانت فقد شائناها والجواب عنها مشتبه بمشتبهه أن تكون مشتبه وبخصوص الأول أن المعنى لا تشارون شيئاً من أفعالكم إلا ما شاء الله أن يخلقه عند مشتبهكم (المؤلف).

تجويزه هو انقطاع الاعتبار، وهبنا حيث انقطع ما تمحى لانعدام العلة فينعدم الفعل، ولا بان قصد القصد عين القصد، فإن الحاجة كيف يكون عين الحاجة إليه، ولا بأنه عدمي فلا يحتاج إلى مؤثر فبان كل متجدد لا غباء له عن مؤثر ولو عدانياً كالعمى، ولا بأن اختيار المختار لا يعلل كإيجاب الموجب، أقول، نعم لا يسأل لم خصص هذا لذاك ، كما حفته في رسالتي (الإفهام المصحح للترجيع بدون مرجع) التي الفتها بعد ورود هذا الاستفتاء، أما نفس التخصيص فمتجدد وليس له عن المؤثر محيض.

فإن قال الكل لا تزيد بالاختيار إلا ما يقع بالاختيار أو عند الاختيار وإن لم يكن الاختيار بالاختيار، قلنا أن دفع قول الشعري أن فعل العبد اضطراري ولكن أين المحيض؟ من ثبوت الحجة للعبد في المعاصي، فإنه يقول ما خلقت وإنما قصدت وما كان قصدي أيضاً بال اختياري فما ذنبي؟، واعلم أن الكلام هنا ينجر إلى عويسة أخرى وأمر أدهى، لا تخل بتأمل الأفكار إلا بتفقيق العزيز الغفار، ولصعوبة هذا سكت عنه مثل السيد الشريف في موضوعين من شرح المواقف، وألتزم مصيبيه البحر في الفوائح والعياذ بالله تعالى، وتبعط كلمات التكلمين والأصوليين من جميع مظان هذا البحث فاجتمعت لي منها ثمانية أجوبة لا غباء في شيء منها، ثم المولى سبحانه وتعالى فتح بفضله وهداني للجواب الحق كما أوردت كل ذلك في رسالتي (تحبير الحبر بقصص الجبر) التي الفتها بعد ورود هذا الاستفتاء قبل أن أنهى الجواب عنه فتكل هذا البحث إليها، وتفصي فيما كنت فيه فنقول لهم تبين أن ما زعمتم أن الحاجة تتدفع به فيما حملكم على تخصيص النصوص، وأنت تعلم أن هذا كما يكفي للرد على الحق رحمة الله تعالى، كذلك رد كل ما يدعى العبد خالقاً له من فعل أو عزم غير ذلك للخلاص من هذه الورطة الظلماء، فإن الكلام يجري في الكل ولا يزال يتسلل إلا بالإنتهاء إلى الإلقاء وهذا ما نقل في شرح المقاصد وغيره عن المحققين أن المال هو الجبر ثبت

بالبرهان أن إسناد خلق شيءٍ إلى العبد مع كونه مخالفًا للقرآن العظيم والاجماع القديم والدين القويم لا يسمن ولا يغنى من جوع، فوجب حمل كلام الله تعالى على عمومه، والإيمان بأن لا خالق إلا الله تعالى، ثم البداهة شاهدة بالفرق بين البشر والجدر، فلا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين ولا يلزم للعلم بأحقية شيء العلم بحقيقة كما بيته في (ثلج الصدر في الإيمان بالقليل) وهذا هو العلم الموروث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن رام فوقه فليأتني بروم خرط اقتاد، أقول ومن الدليل القطع على بطلان كل كلام أريد به حل هذه العقدة ما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم من نهيه الأمة حتى أجله الصحابة الكرام الذين كانوا أعقل وأعلم وأفهم من كل من بعدهم عن الخوض فيه. وقد أخرج الطبراني في الكبير عن ثوبان رضي الله تعالى عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتمع أربعون من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ينظرون في القدر والجبر فنفهم أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم، فنزل الروح الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد أخرج على أمتك فقد أحدثنا فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم ملتمعاً لونه متوردة وجنته كأنما تفتأ بحب الرمان الحامض فتهضوا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حاسرين أذرعهم ترعد أكفهم وأذرعهم فقالوا ربنا إلى الله ورسوله فقال أولى لكم إن كدتم لتوجبون أثاني الروح الأمين فقال أخرج إلى أمتك يا محمد فقد أحدثت.

افترى أن هذا الغضب الشديد والنهي الأكيد كان لأن أبياً بكر وعمر وسائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم لم يكونوا أهلاً لأن يعرفوا كلمة سهلة خفيفة أن العزم لكم والباقي لربكم أو غير ذلك مما يزعمه زاعم كلام بل هو دليل قاطع على أن الأمر سر لا تبلغه العقول ولا يحيط به البيان وأن لا خير للأمة في كشفه عليهم وإلا لما ضن الله به ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، فالحق الناصع ما عليه أئمه السلف أن الأمر بين لا ولا، ولا مصدر لنا لأن فوق ذلك وما نحن من المتكلفين الحمد لله رب العالمين .

فابن الجملة القول: أن هذا البحث يخالف النصوص والإجماع والأشاعرة والحنفية والوجودان والبرهان. هل يعتقد به أهل السنة؟، أو هل يأخذه إمام ابن الهمام حاش لله، العقيدة هي ما قال الله تعالى («هل من خالق غير الله») <sup>(١)</sup> وقال («إلا له الخلق والأمر») <sup>(٢)</sup> وقال («أفمن يخلق كمن لا يخلق») <sup>(٣)</sup> وقال: («لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون») <sup>(٤)</sup>.

العقيدة هي ما كتب الإمام ابن الهمام بنفسه في مستهل هذا الأصل: أن الله لا خالق سواه، والعقيدة هي ما صرحت بها الإمام المدحور بنفسه في آخر كتابه المسائر حيث عرض قائمة لأصول عقائد أهل السنة ودعا الله تعالى أن يثبته على العقيدة إلى أن يلقاه، إذ يقول: ولنختتم الكتاب بياضاح عقيدة أهل السنة والجماعة وهي: أنه تعالى واحد لا شريك له منفرد بخلق الذوات وأفعالها (إلى أن قال) عليه الرحمة ذي الجلال، والله سبحانه نسأله من عظيم جوده وكرمه أن يتواتانا على يقين ذلك مسلمين أنه ذو الفضل العظيم وهو حبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

العقيدة هي ما صرحت بها الإمام صدر الشريعة في التوضيح كما مر بـك خلال التحقيق .

والله تعالى أعلم بالصواب

\*\*\*

- 
- |                |                  |
|----------------|------------------|
| (١) فاطر: ٣.   | (٢) الأعراف: ٥٤. |
| (٣) التحل: ١٧. | (٤) التحل: ٢٠.   |



## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٩	شكر واجب
١١	إهداء
١٣	أمل الآمال
١٧	تقدير لفضيلة الدكتور صافي
٢٣	مقدمة للمترجم
٥٣	القول الأول
٥٥	القول الثاني إلى الخامس
٥٦	القول السادس
٥٧	القول السابع والثامن
٥٩	الإجابة
٧٠	خلاصة القول
٧٠	تنبيه
٧٠	أقول
٧٣	أقول
٧٤	الرد على القول الثاني والثالث والرابع
٧٦	القول الخامس
٧٧	ثانية
٧٨	ثالثاً
٧٩	رابعاً
٨١	ثم أقول
٨٢	القول السادس
٨٤	القول السابع
٩١	تنبيه
٩١	القول الثامن

الصفحة	الموضوع
٩٤	ملاحظات على اسم الكتاب
٩٤	الوجه الأول
٩٧	الوجه الثاني
٩٩	الوجه الثالث
٩٩	الوجه الرابع
١٠٢	الوجه الخامس
١٠٣	تبية النبیہ
١٠٧	حکم نهائی فی صاحب کتاب الفیلسوف
١١٠	خاتمة
١١٠	التبیہ الأول
١١١	التبیہ الثاني
١١٢	التبیہ الثالث
١١٩	التحیر بباب التدبر
١٢١	إهداء
١٢٢	استفتاء
١٣٩	القمع المیین لآمال المکنیین
١٤١	إهداء
١٤٣	مقدمة
١٤٤	الفتوی
١٤٥	الإجابة
١٥٣	المثال الأول
١٥٦	المثال الثاني
١٧٣	فهرس الموضوعات









**To: www.al-mostafa.com**